من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الرابع

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية



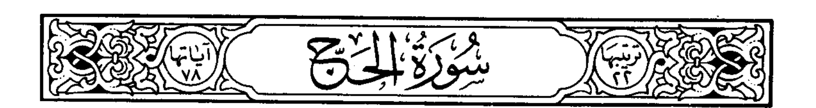
مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب:
ص ب ٥١١٥ - ١١٤. - برقياً: الكتبكو.
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكَتُ وَالعُيُونُ
تَفْسِيرُ المَاوَرْدِي

بسم الله الرحمن الرحيم



مدنية كلها ، وقال ابن عباس إلا أربع آيات مكيات، من قوله سبحانه ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول** ﴾ إلى آخر الأربع . وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها إلا آيتين من قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ وما بعدها ، لأن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ مدني و ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ مكي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ في زلزلتها قولان :

أحدهما : أنها في الدنيا ، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها .

والثاني : أنها في القيامة[١] .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها نفخ الصور للبعث .

---

(١) واختاره ابن جرير (١١١/١٧) وابن كثير (٣/٢٠٤ ـ ٢٠٥)

والثاني : أنها عند القضاء بين الخلق .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ يعني زلزلة الساعة .

﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ وفيه أربعة أوجه :

أحدها : تسلو كل مرضعة عن ولدها ، قاله الأخفش .

والثاني : تشتغل عنه ، قاله قطرب ، ومنه قول عبد الله بن رواحة[٢] :

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

والثالث : تلهو عنه ، قاله الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس :

أذاهِلٌ أنت عن سَلْماك لا برحت أم لست ناسيها ما حنّت النيبُ

والرابع : تنساه ، قاله اليزيدي ، قال الشاعر :

تطاولت الأيام حتى نسيتها كأنك عن يوم القيامة ذاهل

﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ قال الحسن : تذهل الأم عن ولدها لغير فطام ، وتلقي الحامل ما في بطنها لغير تمام .

﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾ قال ابن جريج : هم سكارىٰ من الخوف ، وما هم بسكارىٰ من الشراب .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يخاصم في الدين بالهوىٰ ، قاله سهل بن عبد الله .

والثاني : أن يرد النص بالقياس ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ

(٢) بيت من رجز قاله عبد الله بن رواحة حين دخل النبي ﷺ مكة لأداء عمرة القضاء والخبر بطوله في سيرة ابن هشام ص وزاد المسير (٥/٤٠٤) وفتح القدير (٣/٤٣٥) .

﴿ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُم فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني آدم .

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني ولده .

﴿ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ﴾ يعني أن النطفة تصير في الرحم علقة .

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ يعني أن العلقة تصير مضغة ، وذلك مقدار ما يمضع من اللحم .

﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن المخلقة ما صار خلقاً ، وغير مخلقة ما دفعته الأرحام من النطف فلم يصير خلقاً ، وهو قول ابن مسعود .

والثاني : معناه تامة الخلق وغير تامة الخلق ، وهذا قول قتادة .

والثالث : معناه مصورة وغير مصورة كالسقط ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : يعني التام في شهوره ، وغير التام ، قاله الضحاك ، قال الشاعر(٣) :

أفي غير المخلقة البكاءُ فأين العزم ويحك والحَياءُ

(٣) فتح القدير (٣/٤٣٦).

﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ يعني في القرآن بدء خلقكم وتنقل أحوالكم .

﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال مجاهد : إلى التمام .

﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ وقد ذكرنا عدد الأشُدّ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني قبل أن تبلغ إلىٰ أرذل العمر .

والثاني : قبل بلوغ الأشُدّ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : الهرم ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : إلى مثل حاله عند خروجه من بطن أمّه ، حكاه النقاش .

والثالث : ذهاب العقل ، قاله اليزيدي .

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يستفيد علماً ما كان به عالماً .

الثاني : لا يعقل بعد عقله الأول شيئاً .

ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : أنه لا يعمل بعد علمه شيئاً ، فعبر عن العمل بالعلم [لافتقاره إليه لأن تأثير الكبر في العمل أبلغ من تأثيره في العلم][*].

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : غبراء ، وهذا قول قتادة .

والثاني : يابسة لا تنبت شيئاً ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها الدارسة، والهمود : الدروس ، ومنه قول الأعشى[٤] :

قالت قتيلة ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات همّدا

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وفي ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ وجهان :

(*) هذه العبارة مطموسة في الأصل وقد أخذناها من القرطبي (١٠/ ١٤١)

(٤) ديوانه : ٢٢٧ ،والطبري (١٧/ ١١٩) وفتح القدير (٣/ ٤٣٧)

وفي الطبري سائيا بدلاً من شاحباً وفي فتح القدير . . باليات هموداً بدلاً من باليات همّدا .

أحدهما : معناه أنبتتْ ، وهو قول الكلبي .

والثاني : معناه اهتز نباتها واهتزازه شدة حركته ، كما قال الشاعر :

تثني إذا قامت وتهتز إن مشت   كما اهتز غُصْن البان في ورق خضرِ

﴿ وَرَبَتْ ﴾ وجهان :

أحدهما : معناه أضعف نباتها.

والثاني : معناه انتفخت لظهور نباتها ، فعلى هذا الوجه يكون مقدماً ومؤخراً وتقديره : فإذا أنزلنا عليها الماء رَبتْ واهتزت ، وهذا قول الحسن وأبي عبيدة ، وعلى الوجه الأول لا يكون فيه تقديم ولا تأخير .

﴿ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني من كل نوع ، وهو قول ابن شجرة .

والثاني : من كل لون لاختلاف ألوان النبات بالخضرة والحمرة والصفرة .

﴿ بَهِيجٍ ﴾ يعني حسن الصورة .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لَاوِي عنقه إعراضاً عن الله ورسوله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : معناه لَاوِي عنقه كِبْرا عن الإجابة ، وهذا قول ابن عباس .

قال المفضل : والعِطف الجانب ، ومنه قولهم فلان ينظر في أعطافه أي في جوانبه . قال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث .

﴿ لِيضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تكذيبه للرسول وإعراضه عن أقواله .

والثاني(*): فإذا أراد أحد من قومه الدخول في الإسلام أحضره وأقامه وشرط له وعاتبه وقال: هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد، حكاه الضحاك.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ (١٣)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني على وشك وهو قول مجاهد، لكونه منحرفاً بين الإيمان والكفر.

والثاني: على شرط، وهو قول ابن كامل.

والثالث: على ضعف في العبادة كالقيام على حرف، وهو قول علي بن عيسى.

ويحتمل عندي تأويلاً رابعاً: أن حرف الشيء بعضه، فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ وهذا قول(٥) الحسن.

الثاني: أن ذلك نزل في بعض قبائل العرب وفيمن حول المدينة من أهل القرى، كانوا يقولون: نأتي محمداً فإن صادفنا خيراً اتبعناه، وإلا لحقنا بأهلنا، وهذا قول ابن جريج، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾.

ويحتمل وجهين آخرين:

(*) يوجد بالأصل ثلاثة كلمات مطموسة.

(٥) وفي الأصل هناحروف لم تمكننا من معرفة القول وقد استفدنا من تفسير القرطبي قال: قال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه.

أحدهما : اطمأن بالخير إلى إيمانه .

الثاني : اطمأنت نفسه إلى مقامه .

﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ أي محنة في نفسه أو ولده أو ماله .

﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ يحتمل عندي وجهين :

أحدهما : رجع عن دينه مرتداً .

الثاني : رجع إلى قومه فزعاً .

﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ ﴾ خسر الدنيا بفراقه ، وخسر الآخرة بنفاقه .

﴿ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي البيِّن لفساد عاجله وذَهَاب آجله .

قوله عز وجل : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ يعني الصنم ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن المولى الناصر ، والعشير الصاحب ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : المولى المعبود ، والعشير الخليط ، ومنه قيل للزوج عشير لخلطته مأخوذ من المعاشرة .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يرزقه الله ، وهو قول مجاهد . والنصر الرزق . ومنه قول الأعشى :

أبوك الذي أجرى عليّ بنصره   فأنصب عني بعده كل قابل

والثالث : معناه أن لن يمطر الله أرضه[٦]، ومنه قول رؤبة[٧] :

إني وأسطار سطر ن سطرا   لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا

وقال أبو عبيدة : يقال للأرض الممطرة أرض منصورة .

﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ ﴾ والنصر في الدنيا بالغلبة ، وفي الآخرة بظهور الحجة .

ويحتمل وجهاً آخر أن يكون النصر في الدنيا علو الكلمة ، وفي الآخرة علو المنزلة .

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فليمدد بحبل إلى سماء الدنيا ليقطع الوحي عن محمد ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ أي يذهب الكيد منه ما يغيظه من نزول الوحي عليه ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه ، ثم لِيَخْنَقَ به نفسه فلينظر هل يذهب ذلك بغيظه من ألا يرزقه الله تعالى ، وهذا قول السدي .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكرمٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ومن يهن الله فيدخله النار فما له من مكرم فيدخله الجنة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ من ثواب وعقاب ، وهذا قول يحيى بن سلام .

---

(٦) لاحظ أن التأويل الثاني لم يذكر .

(٧) اللسان (سطر) وفيه : إني وأسطار سُطِرن : يا نصر نصراً نصراً .

والثاني : ومن يهن الله بالشقوة فما له من مكرم بالسعادة .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾ من شقوة ، وهذا قول الفراء وعلي بن عيسى .

ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : ومن يهن الله بالإنتقام فما له من مكرم بالإنعام ، إن الله يفعل ما يشاء من إنعام وانتقام .

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ** ﴾ والخصمان ها هنا فريقان ، وفيهما أربعة أقاويل :

أحدها : أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر ، وهذا قول أبي ذر ، وقال محمد بن سيرين : نزلت في الثلاثة (٨) الذين بارزوا يوم بدر ثلاثة من المشركين فقتلوهم .

والثاني : أنهم أهل الكتاب قالوا : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن خير منكم ، فقال المسلمون كتابنا يقضي على كتابكم ، ونبينا خاتم الأنبياء ، ونحن أولى بالله منكم ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وعطاء .

والرابع : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لنقمته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، وهذا قول عكرمة .

---

(٨) هم حمزة عم النبي وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بارزوا من المشركين عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة والوليد بن عتبة رواه البخاري (٨/٣٣٦) والطبري (١٧/١٣١) ومسلم (٣٠٣٣) من حديث ابن ذر .

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ معناه أن النار قد أحاطت بهم كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم ، فصارت من هذا الوجه ثياباً ، لأنها بالإحاطة كالثياب .

﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ ها هنا هو الماء الحار ، قال الشاعر :

كأن الحميم على متنها إذا اغترفته بأطساسها
جُمان يحل على وجنةٍ علته حدائد دوّاسها

وضم الحميم إلى النار وإن كانت أشد منه لأنه ينضج لحومهم ، والنار بانفرادها تحرقها ، فيختلف به العذاب فيتنوع ، فيكون أبلغ في النكال .

وقيل إنها نزلت في ثلاثة من المسلمين قتلوا ثلاثة من المشركين يوم بدر حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة ، وعليّ بن أبي طالب قتل الوليد بن عتبة ، وعبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة[٩] .

قوله تعالى : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يحرق به وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : يقطع به ، وهو قول الحسن .

والثالث : ينضج به ، وهو قول الكلبي ومنه قول العجاج[١٠]:

شك السفافيد الشواء المصطهرْ

والرابع : يذاب به ، وهو قول مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صهرت الألية إذا أذبتها ، ومنه قول ابن أحمر[١١] :

تروي لقى ألقى في صفصفٍ تصهره الشمس فما ينْصهِر

﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ والمقامع : جمع مقمعة ، والمقمعة ما يضرب به الرأس حتى لا يعي فينكب أو ينحط .

---

(٩) سبق تخريجه في التعليق السابق .

(١٠) السان « صهر » الطبري (١٧/ ١٣٤) .

(١١) اللسان « صهر » الطبري (١٧/ ١٣٤) روح المعاني (١٧/ ١٣٤). واقتصر على الشطر الثاني لكن فيه : يصهره الشمس ولا ينصهر .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه قول لا إله إلا الله ، وهو قول الكلبي .

والثاني : أنه الإيمان ، وهو قول الحسن .

والثالث : القرآن ، وهو قول قطرب .

والرابع : هو الأمر بالمعروف .

ويحتمل عندي تأويلاً خامساً : أنه ما شكره عليه المخلوقون وأثاب عليه الخالق .

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الإسلام ، وهو قول قطرب .

والثاني : الجنة .

ويحتمل عندي تأويلاً ثالثاً : أنه ما حمدت عواقبه وأمنت مغبته .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أراد المسجد نفسه . ومعنى قوله : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم .

﴿سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ وهو المقيم ، ﴿ وَٱلْبَادِ ﴾ وهو الطارىء إليه ، وهذا قول ابن عباس .

والقول الثاني : أن المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم ، وعلى هذا في قوله :

﴿ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنهم سواء في دوره ومنازله ، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر ، وهذا قول مجاهد ومَنْ منع بيع دور مكة(١٢) كأبي حنيفة .

والثاني : أنهما سواء في أن من دخله كان آمناً ، وأنه لا يقتل بها صيداً ولا يعضد بها شجراً .

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ والإلحاد : الميل عن الحق والباء في قوله : ﴿ بِإِلْحَادٍ ﴾ زائدة كزيادتها في قوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] ومثلها في قول الشاعر(١٣) :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَجِ

أي نرجو الفرج ، فيكون تقدير الكلام : ومن يرد فيه إلحاداً بظلم .

وفي الإلحاد بالظلم أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الشرك بالله بأن يعبد فيه غير الله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه استحلال الحرام فيه ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : استحلال الحرم متعمداً ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه احتكار الطعام بمكة ، وهذا قول حسان بن ثابت(*) .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عن عمرته عام الحديبية .

---

(١٢) وفي المسألة قول آخر بجواز بيع دورها وتملكها وأجارتها وهو قول الشافعي ومن تابعه والدليل معه لظاهر قوله في سورة الحشر .

فأضاف الله تعالى إليهم الدور إضافة تملك والمسألة مبسوطة في زاد المعاد فراجعها (٣/٤٢٩ ـ ٤٣٨) .

(١٣) هو راجز من بني جعدة .

والبيت في مجاز القرآن (٢/٥٦) والاقتضاب (٤٥٨) وشواهد المغني (٤/١١١) وخزانة الأدب (٤/١٥٩) وفتح القدير . (٣/٤٤٧) .

(*) هكذا في الأصل وفي تفسير القرطبي أن هذا القول هو قول عمر بن الخطاب .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه وطأنا له مكان البيت ، حكاه ابن عيسىٰ .

والثاني : معناه عرفناه مكان البيت بعلامة يستدل بها .

وفي العلامة قولان :

أحدهما : قاله قطرب ، بعثت سحابة فتطوقت حيال الكعبة فبنى على ظلها .

الثاني : قاله السدي ، كانت العلامة ريحاً هبت وكنست حول البيت يقال لها الخجوج .

﴿ أن لَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً ﴾ أي لا تعبد معي إلهاً غيري .

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الشرك وعبادة الأوثان ، وهذا قول قتادة .

الثاني : من الأنجاس والفرث والدم الذي كان طرح حول البيت ، ذكره ابن عيسى .

والثالث : من قول الزور ، وهو قول يحيى بن سلام .

﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أما الطائفون فيعني بالبيت وفي ﴿ الْقَائِمِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني القائمين في الصلاة ، وهو قول عطاء .

والثاني : المقيمين بمكة ، وهو قول قتادة .

﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ يعني في الصلاة ، وفي هذا دليل على ثواب الصلاة في البيت . وحكىٰ الضحاك أن إبراهيم لما حضر أساس البيت وجد لَوْحاً ، عليه

مكتـوب : أنا الله ذو بكّـة ، خلقت الخير والشر ، فـطوبى لمن قَـدَّرْتُ على يـديـه الخير ، وويلٌ لمن قدرت على يديه الشر .

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ يعني القلوب[١٤] .

﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ يعني حجاج الله ، ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ يعني الإيمـان ، ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ يعني الخوف والرجاء .

قـولـه عـز وجـل : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ يعني أَعْلِمْهُم ونَـادِ فيهم بالحق ، وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا القول حكاية عن أمر الله سبحانه لنبيه إبـراهيم ، فروي أن إبراهيم[١٥] صعد جبل أبي قبيس فقال : عبـاد الله إن الله سبحانـه وتعالى قـد ابتنىٰ بيتاً وأمَرَكُمْ بحجه فَحُجُّوا ، فأجابـه من في أصلاب الـرجال وأرحـام النساء : لبيـك داعي ربنا لبيك . ولا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجـاب دعوة إبـراهيم ، وقيل إن أول من أجابه أهل اليمن ، فهم أكثر الناس حجاً له .

والثـاني : أن هذا أمـر من الله تعالى لنبيـه محمد ﷺ أن يـأمـر النـاس بحـج البيت .

﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ يعني مشاةِ على أقدامهم ، والرجال جمع راجل .

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي جملِ ضامر ، وهو المهزول ، وإنما قال ﴿ ضَامِرٍ ﴾ لأنه ليس يصل إليه إلا وقد صار ضامراً .

﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي بعيد ، ومنه قول الشاعر :

تلعب لديهن بالحريق … مدى نياط بارح عميق

---

(١٤) لعل مسند هذا القول لأصحاب الخواطر الحديث الباطل الإسرائيلي المصدر القلب بيت الـرب وقد نص على بطلانه كثير من أهل الحديث وهذه الأحاديث وما شابهها سبب لفساد العقائد .

(١٥) قال الحافظ ابن حجر (٦/٤٠٦) روى الفاكهي بإسناد صحيح عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال قـام إبراهيم على الحجر فقال يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج فاسمع من في اصـلاب الرجـال وأرحام النساء فأصابه من آمن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يـوم القيامـة لبيك اللهم لبيـك ا هـ.

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه شهود المواقف وقضاء المناسك .

والثاني : أنها المغفرة لذنوبهم ، قاله الضحاك .

والثالث : أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، وهذا قول مجاهد .

﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : أنها أيام التشريق الثلاثة ، وهذا قول عطية العوفي .

والثالث : أنها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ، وهذا قول الضحاك .

﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ يعني على نحر ما رزقهم نحره من بهيمة الأنعام ، وهي الأزواج الثمانية[١٦] من الضحايا والهدايا .

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ في الأكل والإطعام ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الأكل والإطعام واجبان لا يجوز أن يخل بأحدهما ، وهذا قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : أن الأكل والإطعام مستحبان ، وله الاقتصار على أيهما شاء وهذا قول أبي العباس بن سريج .

والثالث : أن الأكل مستحب والإطعام واجب ، وهذا قول الشافعي ، فإن

(١٦) وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين . . .

أطعم جميعها أجزأه، وإن أكل جميعها لم يُجْزه، وهذا فيما كان تطوعاً، وأما واجبات الدماء فلا يجوز أن نأكل منها.

وفي ﴿ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ خمسة أوجه :

أحدها : أن الفقير الذي به زَمَانةٌ ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الفقير الذي به ضر الجوع .

والثالث : أن الفقير الذي ظهر عليه أثر البؤس .

والرابع : أنه الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف بالطلب .

والخامس : أنه الذي يؤنف عن مجالسته .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثاني : حلق الرأس ، وهو قول قتادة ، قال أمية بن أبي الصلت .

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاً(١٧) ....

والثالث : رمي الجمار ، وهو قول مجاهد .

والرابع : إزالة قشف الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال الطيب ، وهو قول الحسن .

وقيل لبعض الصلحاء : ما المعنى في شعث المحرم ؟ قال : ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته .

وسئل الحسن عن التجرد في الحج فقال : جرّد قلبك من السهو ، ونفسك من اللهو ولسانك من اللغو ، ثم يجوز كيف شئت .

وقال الشاعر :

قضواْ تفثاً ونحباً ثم ساروا ْ إلى نجدٍ وما انتظروا علياً

﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ وهو تأدية ما نذروه في حجهم من نحر أو غيره .

﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ يعني طواف الإفاضة ، وهو الواجب في الحج

---

(١٧) عجز البيت وهو: ولم يسلوا لهم قملاً وصئباناً .

والعمرة ، ولا يجوز في الحج إلا بعد عرفة ، وإن جاز السعي .

وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أوجه :

أحدها : أن الله أعتقه من الجبابرة ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : لأنه عتيق لم يملكه أحد من الناس ، وهو قول مجاهد .

والثالث : لأنه أعتق من الغرق في الطوفان ، وهذا قول ابن زيد[١٨] .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

قوله عز وجل : ﴿ ذٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه فعل ما أمر به من مناسكه ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه اجتناب ما نهىٰ عنه في إحرامه .

ويحتمل عندي قولاً ثالثاً : أن يكون تعظيم حرماته أن يفعل الطاعة ويأمر بها ، وينتهي عن المعصية وينهىٰ عنها .

﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إلا ما يتلى عليكم من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذُبِحَ على النصب .

والثاني : إلا ما يتلىٰ عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم .

﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ ﴾ فيه وجهان :

---

(١٨) لم يذكر هنا الوجه الرابع وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٤٢٨) وهو أنه سمي العتيق لأنه قديم .

أحدهما : أي اجتنبواْ من الأوثان الرجس ، ورجس الأوثان عبادتها ، فصار معناه : فاجتنبوا عبادة الأوثان .

الثاني : معناه : فاجتنبواْ الأوثان فإنها من الرجس .

﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : الشرك ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : الكذب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : شهادة الزور . روى أيمن بن محمد(١٩) أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الشِّرْكَ بِاللَّهِ مَرَّتَيْنِ » ثم قرأ : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ .

والرابع : أنها عبادة المشركين ، حكاه النقاش .

ويحتمل عندي قولاً خامساً : أنه النفاق لأنه إسلام في الظاهر زور في الباطن .

---

(١٩) رواه ابن جرير (١٧/ ١٥٤) وأحمد (٤/ ١٨٧ ـ ٢٢٢ ، ٢٣٣) من طريق سفيان بن زياد العصفري عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال أيها الناس . . . الحديث وسند الحديث ضعيف .

فإن فيه فاتك بن خريم وهو مجهول الحال كما في التقريب (١/ ١٠٧) وأيمن بن خريم مختلف في صحبته كما قال الحافظ في التقريب (١/ ٨٨) والحديث رواه الترمذي (٢٢٩٩) من طريق مروان بن معاوية عن سفيان به وقال غريب ومن اختلف فيه على سفيان بن زياد ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ ا هـ.

قال الحافظ في التهذيب(١/ ٣٤٤) وقد رواه جماعة عن سفيان بن زياد عن أبيه عن حبيب بن النعمان عن خريم بن فاتك واستصوبه ابن معين . .

قلت وقد تحصل من كلام الحافظ الذي نقله أن الأصح من طريق خريم بن فاتك . . وقلت وقد رواه الترمذي من هذا الطريق برقم ٢٣٠٠ وقال هذا عندي أصح وخريم بن فاتك له صحبة وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث وهو مشهور ا هـ.

وقد رواه غير الترمذي أحمد (٤/ ٣٢١) وابن جرير مختصراً (١٧/ ١٥٤) وابن ماجة (٢٣٧٢) وأبو داود (٣٥٩٩) والبغوي في مصابيح السنة برقم (٢٨٤٨).

وقد ثبت في الترهيب في شهادة الزور أحاديث كثيرة راجعها في الترغيب والترهيب.

(تنبيه): قوله هنا أيمن بن محمد كذا وقع في المخطوطة والمطبوعة وهو خطأ والصواب أيمن بن خريم. والتصويب من المصادر السابقة . .

قوله عز وجل : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني مسلمين لله ، وهو قول الضحاك ، قال ذو الرمة :

إذا حول الظل العشي رأيته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر

والثاني : مخلصين لله ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثالث : مستقيمين لله ، وهو قول عليّ بن عيسى .

والرابع : حجاجاً إلى الله ، وهو قول قطرب .

﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : غير مرائين بعبادته أحداً من خلقه .

والثاني : غير مشركين في تلبية الحج به أحداً لأنهم كانواْ يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، قاله الكلبي .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فروض الله .

والثاني : معالم دينه ، ومنه قول الكميت :

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم شعائر قربان بهم يتقرب

وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مناسك الحج ، وتعظيمها إشعارها ، وهو مأثور عن جماعة .

والثاني : أنها البُدن المشعرة ، وتعظيمها استسمانها واستحسانها ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنها دين الله كله ، وتعظيمها التزامها ، وهو قول الحسن .

﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ قال الكلبي والسدي : من إخلاص القلوب .

ويحتمل عندي وجهاً آخر أنه قصد الثواب .

ويحتمل وجهاً آخر أيضاً : أنه ما أرضىٰ الله تعالى .

قوله عز وجل : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المنافع التجارة ، وهذا قول من تأول الشعائر بأنها مناسك الحج ، والأجل المسمى العود .

والثاني : أن المنافع الأجر ، والأجل المسمى القيامة ، وهذا تأويل من تأولها بأنها الدين .

والثالث : أن المنافع الركوب والدر والنسل ، وهذا قول من تأولها بأنها الهَدْي فعلىٰ هذا في الأجل المسمى وجهان :

أحدهما : أن المنافع قبل الإيجاب وبعده ، والأجل المسمى هو النحر ، وهذا قول عطاء[٢٠] .

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ إن قيل إن الشعائر هي مناسك الحج ففي تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ وجهان :

أحدهما : مكة ، وهو قول عطاء .

والثاني : الحرم كله محل لها ، وهو قول الشافعي .

وإن قيل إن الشعائر هي الدين كله فيحتمل تأويل قوله : ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ أن محل ما اختص منها بالأجر له ، هو البيت العتيق .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حجاً ، وهو قول قتادة .

---

(٢٠) لم يذكر الوجه الثاني .

والثاني : ذبحاً ، وهو قول مجاهد .

والثالث : عيداً ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها .

﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : أنها الهدي ، إذا قيل إن المنسك الحج .

والثاني : الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد .

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ فيه تسعة تأويلات :

أحدها : المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم ﴾ [الحج : ٥٤].

والثاني : معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة .

والثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن . والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان .

والرابع : الخائفين ، وهو معنىٰ قول يحيى بن سلام .

والخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي .

والسادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي .

والسابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد .

والثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

والتاسع[٢١] : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلمواْ لم ينتصرواْ ، وهو قول الخليل بن أحمد .

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

(٢١) ونسبه في القرطبي لعمرو بن أوس .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ ٱللَّهِ ﴾ في البدن ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الإبل ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنها الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو قول جابر ، وعطاء .

والثالث : كل ذات خُفٍّ وحافر من الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو شاذ حكاه ابن الشجرة ، وسميت بُدْناً لأنها مبدنة في السمن ، وشعائر الله تعالى دينه في أحد الوجهين ، وفروضه في الوجه الآخر .

وتعمق بعض أصحاب الخواطر فتأول البُدْن أن تطهر بدنك من البدع ، والشعائر أن تستشعر بتقوى الله وطاعته ، وهو بعيد .

﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي أجر ، وهو قول السدي .

والثاني : منفعة فإن ٱحْتِيجَ إلى ظهرها رُكِبَ ، وإن حُلِبَ لَبَنُها شُرِبَ ، وهو قول إبراهيم النخعي .

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ وهي قراءة الجمهور ، وقرأ الحسن : صوافي ، وقرأ ابن مسعود : صوافن .

فتأول صواف على قراءة الجمهور فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مصطفة ، ذكره ابن عيسى .

والثاني : قائمة لتصفّد يديها بالقيود، وهو قول ابن عمر .

والثالث : معقولة ، وهو قول مجاهد .

وتأويل صوافي ، وهي قراءة الحسن : أي خالصة لله تعالى ، مأخوذ من الصفوة .

وتأويل صوافن وهي قراءة ابن مسعود : أنها مصفوفة ، وهو أن تَعقِل إحدى يديها حتى تقف على ثلاث ، مأخوذ من صفن الفرس إذا ثنى إحدى يديه حتى يقف على ثلاث ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ وقال الشاعر[٢٢] :

(٢٢) هو امرؤ القيس والبيت في اللسان (صفن) وفتح القدير (٣/٤٥٤)

الف الصفون مما يزال كأنه   مما يقوم على الثلاث كسيراً

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي سقطت جنوبها على الأرض ، ومنه وجب الحائط إذا سقط ، ووجبت الشمس إذا سقطت للغروب ، وقال أوس بن حجر[٢٣] :

ألم تكسف الشمس ضوء النهار   والبدر للجبل الواجب

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن أكله منها واجب إذا تطوع بها ، وهو قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : وهو قول الجمهور أنه استحباب وليس بواجب ، وإنما ورد الأمر به لأنه بعد حظر ، لأنهم كانواْ في الجاهلية يحرمون أكلها على نفوسهم .

﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ فيهم أربعة تأويلات :

أحدها : أن القانع السائل ، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل ، وهذا قول الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومنه قول الشماخ[٢٤] :

لمالُ المرء يصلحه فيغني   مفاقِرَه أعف من القُنُوع

أي من السؤال .

والثاني : أن القانع الذي يقنع ولا يسأل ، والمعتر الذي يسأل ، وهذا قول قتادة ، ومنه قول زهير :[٢٥]

على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلين السماحةُ والبذلُ

والثالث : أن القانع المسكين الطوّاف ، والمعتر : الصديق الزائر ، وهذا قول زيد بن أسلم ، ومنه قول الكميت :

إما إعتياداً وإما اعترارا

والرابع : أن القانع الطامع ، والمعتر الذي يعتري البُدْنَ ويتعرض للحم لأنه

(٢٣) ديوانه :   واللسان (وجب) والطبري (١٧/١٦٦)
وورواية البيت في الديوان : ألم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب .

(٢٤) اللسان (قنع) ومجاز القرآن (٢/٥١) والطبري (١٧/١٦٨)، القرطبي (١٢/٦٤) زاد المسير (٥/٤٣٤) فتح القدير (٣/٤٥٤).

(٢٥) فتح القدير (٣/٤٥٤).

ليس عنده لحم ، وهذا قول عكرمة ، ومنه قول الشاعر :

على الطارق المعتر يا أم مالك إذا ما اعتراني بين قدري وصخرتي

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٧)

قوله عز وجل : ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لن يقبل الله الدماء وإنما يقبل التقوىٰ ، وهذا قول علي بن عيسىٰ .

والثاني : معناه لن يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها ، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا بُدنهم استقبلوا الكعبة بدمائها فيضجعونها نحو البيت ، فأراد المسلمون فعل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُم** ﴾ أي يصعد إليه التقوى والعمل الصالح ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ **كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ** ﴾ أي ذللها لكم يعني الأنعام .

﴿ **لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني التسمية عند الذبح .

والثاني : لتكبروا عند الإحلال بدلاً من التلبية في الإحرام .

﴿ **عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ** ﴾ أي ما أرشدكم إليه من حجكم .

﴿ **وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ يحتمل وجهين .

أحدهما : بالقبول .

والثاني : بالجنة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٨) ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بالكفار عن المؤمنين ، وبالعصاة عن المطيعين ، وبالجهال عن العلماء .

والثاني : يدفع بنور السنة ظلمات البدعة ، قاله سهل بن عبد الله[٢٦] .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وهذا قول ابن جريج .

الثاني : ولولا دفع الله عن الدين بالمجاهدين ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : ولولا دفع الله بالنبيين عن المؤمنين ، وهذا قول الكلبي .

والرابع : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمن بعدهم من التابعين ، وهذا قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

والخامس : ولولا دفع الله بشهادة الشهود على الحقوق ، وهذا قول مجاهد .

والسادس : ولولا دفع الله على النفوس بالفضائل ، وهذا قول قطرب .

ويحتمل عندي تأويلاً سابعاً : ولولا دفع الله عن المنكر بالمعروف .

﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾ فيه قولان :

أحدها : أنها صوامع الرهبان ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنها مصلى الصابئين ، وهو قول قتادة .

---

(٢٦) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٢٧]: « صَوْمَعَةُ المُؤْمِنِ بَيْتُه » وسميت صومعة لانضمام طرفيها ، والمنصمع : المنضم ، ومنه أذنٌ صمعاء .

﴿ وَبِيَعٌ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها بيع النصارىٰ ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها كنائس اليهود ، وهو قول مجاهد . والبيعة اسم أعجمي مُعَرَّب .

﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها كنائس اليهود يسمونها : صلوتا ، فعرب جمعها ، فقيل صلوات ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : معناه : وتركت صلوات ، ذكره ابن عيسىٰ .

﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ المسلمين ، ثم فيه قولان :

أحدهما : لهدمها الآن المشركون لولا دفع الله بالمسلمين ، وهو معنى قول الضحاك .

والثاني : لهدمت صوامع في أيام شريعة موسىٰ ، وبيع في أيام شريعة عيسىٰ ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ ، وهذا قول الزجاج ، فكان المراد بهدم كل شريعة ، الموضع الذي يعبد الله فيه .

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ

(٢٧) هذا الحديث اختلف في رفعه ووقفه والأشبه وقفه على أبي الدرداء. فقد رواه مرفوعاً الإمام العسكري كما أشار إلى ذلك صاحب كشف الخفا (٢/٣٢٢) ورواه موقوفاً بسند صحيح البيهقي في الزهد رقم (٢٨ ، ٢٣٣) وأحمد في الزهد ص ١٣٥ وهناد في الزهد ١١٢٣ والخطابي في العزلة ص ١٨ وابن أبي عاصم في الزهد ص ٣٦ وابن المبارك في زوائد الزهد ص ٤ ووكيع في الزهد (٢/٥١٦) وابن عساكر كما في كنز العمال (٣/٧٧٤).

ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني خالية من أهلها لهلاكها .

والثاني : غائرة الماء .

والثالث : معطلة من دلالتها[٢٨] وأرشيتها .

﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المشيد الحصين وهو قول الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس[٢٩] :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أطماً إلا مشيراً بجندل

والثاني : أن المشيد الرفيع ، وهو قول قتادة ، ومنه قول عدي بن زيد[٣٠] :

شاده مرمراً وجلله كلـ ـساً فللطير في ذراه وُكورُ

والثالث : أن المشيد المجصص ، والشيد الجص ، وهو قول عكرمة ومجاهد ومنه قول الطرماح[٣١] :

كحية الماء بين الطين والشيد

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : وقصر مشيد مثلها معطل ، وقيل إن القصر والبئر بحضرموت من أرض اليمن معروفان ، وقصر مشرف على قلة جبل ولا

---

(٢٨) كذا هنا والصواب دلائها جمع دلو وهو ما يحمل فيه الماء من البئر وأرشيتها جمع رشاء وهو حبل الدلو .

(٢٩) من معلقته المشهورة والبيت في مختار الشعر الجاهلي ٣٣ والطبري (١٧/ ١٨٢) .

(٣٠) فتح القدير (٣/ ٤٥٩) والطبري (١٧/ ١٨٢) .

(٣١) وصدر هذا البيت من الرجز: لا تحسبن وإن كنت أمرأ غمراً .
اللسان (شيد) ونسبه للشماخ بن ضرار، والبيت في فتح القدير أيضاً (٣/ ٤٥٩) والطبري (١٧/ ١٨١) .

يـرتقى إليه بحـال ، والبئر في سفحـه لا تقر الـريح شيئاً سقط فيها إلا أخـرجتـه ، وأصحـاب القصور ملوك الحضـر ، وأصحاب الآبـار ملوك البـوادي ، أي فـأهلكنـا هؤلاء وهؤلاء .

قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَـا ﴾ هذا يدل على أمرين : على أن العقل علم ، ويدل على أن محله القلب(٣٢) .

وفي قوله : ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ وجهان :

أحدهما : يعملون بها ، لأن الأعين تبصر والقلوب تصير(٣٣) .

﴿ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُـونَ بِهَـا ﴾ أي يفقهـون بهـا مـا سمعـوه من أخبـار القـرون السالفة .

﴿ فَـإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّـدُورِ ﴾ يحتمـل عندي وجهين :

أحـدهمـا : أنهـا لا تعمىٰ الأبصـار عن الهـدىٰ ولكن تعمىٰ القلوب عن الاهتداء .

والثـاني : فـإنهـا لا تعمىٰ الأبصـار عن الاعتبـار ولكن تعمىٰ القلوب عن الادّكار .

قال مجاهد : لكل إنسـان أربع أعين : عينـان في رأسه لـدنياه ، وعينـان في قلبه لآخرته ، فإن عميت عينـا رأسه وأبصـرت عينا قلبـه لم يضره عمـاه شيئاً ، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه نظره شيئاً .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى وهو عبد الله بن زائدة .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ

(٣٢) وقيل إن العقل محله الـدماغ ولـه تعلق بالقلب ولا مـانع من ذلـك فإن القلب هـو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجاً عنه فتح القدير (٣/٤٥٩) .

(٣٣) لاحظ أنه لا يذكر الوجه الثاني .

سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم .

﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ ولن يؤخر عذابه عن وقته .

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة ، قاله مجاهد .

الثاني : أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة .

الثالث : أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم .(٣٤)

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه تكذيبهم بالقرآن ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه عنادهم في الدين ، قاله الحسن .

﴿ مُعَجِزِينَ ﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ فمن قرأ معجزين ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ ، وهو قول السدي .

(٣٤) الحجة في القراءات ص ٤٨ زاد المسير (٥/ ٤٤٠) .

الثاني : مثبطين في اتباع النبي ﷺ ، وهو قول مجاهد .

والثالث : مكذبين ، حكاه ابن شجرة .

الرابع : مَعَجِزينَ لمن آمن بإظهار تعجيزه في إيمانه .

ومن قرأ ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : مشاققين ، قاله ابن عباس .

والثاني : متسارعين ، حكاه ابن شجرة .

والثالث : معاندين ، قاله قطرب .

والرابع : مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً ، قاله السدي .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِه** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أنه إذا حدّث نفسه ألقىٰ الشيطان في نفسه ، قاله الكلبي .

الثاني : إذا قرأ ألقىٰ الشيطان في قراءته ، قاله قتادة ومجاهد ، قال الشاعر(٣٥) :

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادِرِ

﴿ **مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . . . .** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي ، وإنما

(٣٥) مجاز القرآن (٢ / ٥٤) اللسان (منى) .

جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر .

والقول الثاني : أنهما مختلفان ، وأن الرسول أعلى منزلة من النبي .

واختلف قائل هذا في الفرق بين الرسول والنبي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي يوحىٰ إليه في نومه .

والثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة ، قاله قطرب .

والثالث : أن الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة الله ، قاله الجاحظ .

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ﴾ أي يرفعه .

﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَاتِهِ ﴾ أي يثبتها . واختلف أهل التأويل فيما قرأه النبي ﷺ من ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ألقاه الشيطان على لسانه فقرأه ساهياً .

الثاني : أنه كان ناعساً فألقاه الشيطان على لسانه فقرأه في نعاسه قاله قتادة .

الثالث : أن بعض المنافقين تلاه عن إغواء الشيطان فخيل للناس أنه من تلاوة رسول الله ﷺ ، حكاه ابن عيسىٰ .

الرابع : إنما قال : هي كالغرانيق العلا ـ يعني الملائكة ـ وأن شفاعتهم لترتجى ، أي في قولكم ، قاله الحسن .

سبب نزول هذه الآية ما روي أن[٣٦] النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة النجم

---

(٣٦) هذه القصة معروفة عند العلماء بقصة الغرانيق وقد اختلف أهل العلم في صحتها وقبولها فبعضهم حكم عليها بالبطلان كالقاضي أبو بكر بن العربي وابن كثير والألوسي والشوكاني والبيهقي وابن إسحق وأبو منصور الماتريدي كما نقله الألوسي عنهم (١٧/١٧٧) وأثبت بعضهم بعض طرقها كالحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٤٣٩) وقال العلامة الألوسي رحمه الله (١٧/١٨٢) « ولعمري إن هذا القول بان هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على ألسنة الرواة ثم وفق الله تعالى جمعاً من خاصة لإِبْطَالِهِ أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله ﷺ ثم نسخه سبحانه وتعالى لا سيما وهو لم يتوقف عليها حصول شبه في قلوب كثير من ضعفاء المؤمنين لا تكاد تدفع إلا =

قرأها في المسجد الحرام حتىٰ بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقىٰ الشيطان على لسانه «أولئك الغرانيق العلا. وأن شفاعتهن لترتجىٰ» ثم ختم السورة وسجد. وسجد معه المسلمون والمشركون ورفع الوليد بن المغيره تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، ورضي بذلك كفار قريش، وسمع بذلك من هاجر لأرض الحبشة. فأنكر جبريل على النبي ﷺ ما قرأه، وشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ فيه وجهان :

أولهما : محنة .

الثاني : اختباراً .

﴿ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي نفاق .

﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني المشركين .

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لفي ضلال طويل ، قاله السدي .

الثاني : لفي فراق للحق بعيد إلى يوم القيامة ، قاله يحيى بن سلام .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

= بجهد جهيد ويؤيد عدم الثبوت مخالفته لظواهر الآيات فقد قال سبحانه في وصف القرآن ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ اهـ. انظر التأويل الصحيح للآية في تفسير الطبري (١٧/ ١٩٠) وقد جمع العلامة الألباني طرق القصة وتكلم عليها تفصيلياً في رسالة بعنوان « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»، فراجعها.

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ يعني في شك ﴿ مِّنْهُ ﴾ من القرآن ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ساعة القيامة على من يقوم عليه من المشركين ، قاله الحسن .

الثاني : ساعة موتهم .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله عكرمة ، والضحاك .

الثاني : يوم بدر ، قاله مجاهد ، وقتادة .

وفي العقيم وجهان :

أحدهما : أنه الشديد ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الذي ليس له مثيل ولا عديل . قال يحيى بن سلام : لقتال الملائكة فيه .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون العقيم هو الذي يجدب الأرض ويقطع النسل .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ الآية ، فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم من مشركي قريش لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنها في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله فنزل ذلك فيهم ، حكاه ابن عيسى . ونصر الله في

الدنيا بالغلبة والقهر ، وفي الآخرة بالحجة والبرهان .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق اسم من أسمائه تعالى ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه ذو الحق ، قاله ابن عيسى .

الثالث : معناه أن عبادته حق وهو معنىٰ قول السدي .

﴿ **وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ** ﴾ فيه قولان .

أحدهما : الأوثان ، قاله الحسن .

الثاني : إبليس ، قاله قتادة .

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى : ﴿ مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه العيد ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : أنها المواضع المعتادة لمناسك الحج والعمرة ، قاله الفراء .

الثالث : المذبح ، قاله الضحاك .

الرابع : المنسك الْمُتَعَبد والنسك العِبَادَة ومنه سمي العَابِدُ ناسكاً ، قاله الحسن .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ ﴾ لأن حجج الله عليهم بضرب الأمثال لهم أقرب لأفهامهم : فإن قيل فأين المثل المضروب ؟ ففيه وجهان :

أحدهما : أنه ليس هنا مثل ومعنى الكلام أنهم ضربوا لله مثلاً في عبادته غيره ، قاله الأخفش .

الثاني : أنه ضرب مثلهم كمن عبد من لا يخلق ذباباً ، قاله ابن قتيبة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الأوثان الذين عبدوهم من دون الله .

الثاني : أنهم السادة الذين صَرَفُوهُم عن طاعة الله .

الثالث : أنهم الشياطين الذين حملوهم على معصية الله .

﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ ﴾ ليعلمهم أن العبادة إنما تكون للخالق المنشيء دون المخلوق المنشأ ، وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته ، وسُمِّي ذباباً لأنه يُذَبُّ احتقاراً واستقذاراً .

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إفساده لثمارهم وطعامهم حتى يسلبهم إياها .

والثاني : أَلَمُهُ في قرض أبدانهم ، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يكونون آلهة معبودين وأرباباً مُطَاعين وهذا من أقوىٰ حجة وأوضح برهان .

ثم قال : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلمَطْلُوبُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون عائداً إلى العَابِد والمَعْبُود ، فيكون في معناه وجهان :

أحدهما : أن يكون عائداً إلى العابد والمعبود .

الثاني : قهر العابد والمعبود .

والاحتمال الثاني : أن يكون عائداً للسالب فيكون في معناه وجهان :

أحدهما : ضعف للسالب عن القدرة والمسلوب عن النُصْرَة .

الثاني : ضعف السالب بالمهانة والمسلوب بالاستكانة .

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : ما عظموه حق عظمته ، قاله الفراء .

الثاني : ما عرفوه حق معرفته ، قاله الأخفش .

الثالث : ما وصفوه حق صفته ، قاله قطرب . قال ابن عباس : نزلت في يهود المدينة حين قالواْ استراح الله في يوم السبت .

ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ

بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما بين أيديهم : ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء ، وما خلفهم : ما يكون بعد خلقهم ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : ما بين أيديهم : أول أعمالهم ، وما خلفهم آخر أعمالهم ، قاله الحسن .

الثالث : ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا ، قاله يحيى بن سلام .

ويحتمل رابعاً : ما بين أيديهم : من أمور السماء ، وما خلفهم : من أمور الأرض .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ قال السدي : اعملوا لله حق عمله ، وقال الضحاك أن يطاع فلا يعصىٰ ويُذْكر فلا يُنْسَىٰ ويُشْكر فلا يُكْفَر . وهو مثل قوله تعالى : ﴿ **اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

واختلف في نسخها على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن : ١٦] .

والثاني : أنها ثابتة الحكم لأن حق جهاده ما ارتفع معه الحرج ، روى سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ دِيْنِكُمْ أَيْسَرُهُ »(٣٧) .

﴿ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ ﴾ أي اختاركم لدينه .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يعني من ضيق ، وفيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه الخلاص من المعاصي بالتوبة .

الثاني : المخرج من الأيمان بالكفارة .

الثالث : أنه تقديم الأهلة وتأخيرها في الصوم والفطر والأضحى ، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه رخص السفر من القصر والفطر .

الخامس : أنه عام لأنه ليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من المأثم فيه .

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه وسع عليكم في الدين كما وسع ملة أبيكم إبراهيم .

الثاني : وافعلوا الخير كفعل أبيكم إبراهيم .

الثالث : أن ملة إبراهيم وهي دينه لازمة لأمة محمد ﷺ ، وداخلة في دينه .

الرابع : أن علينا ولاية إبراهيم وليس يلزمنا أحكام دينه .

---

(٣٧) هذا الحديث الذي ذكره المؤلف مرسل لم أر من وصله . وقد ورد من حديث محجن بن الأدرع رواه أحمد (٤/٣٣٨) (٥/٣٢) والطيالسي (١٢٩٦) والبخاري في الأدب (٣٤١) وضعفه الحافظ العراقي في تخريج الاحياء .

وقد ورد الحديث من حديث أنس بزيادة رواه ابن عبد البر بسند ضعيف كما قال الحافظ العراقي ونقله في كشف الخفا (١/٣٩٢) وقال الحافظ الذهبي في الميزان منكر .

ولحديث محجن بن الأدرع شاهد آخر من حديث عمران بن حصين رواه الطبري في الكبير وقال تفرد به إسماعيل بن يزيد . وصححه الألباني بشواهده في صحيح الجامع (١/٦٢٥) ورمز له السيوطي في الجامع بالصحة .

(تنبيه :) لحديث محجن بن الأدرع طريق أخرى عند الطبري في الكبير قال المنادي في فيض القدير (٣/٤٨٩) نقلاً عن الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله سماكم المسلمين من قبل هذا القرآن وفي هذا القرآن ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : أن إبراهيم سماكم المسلمين ، قاله ابن زيد احتجاجاً بقوله تعالىٰ : ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾[البقرة: ١٢٨].

﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم ، وتكونوا شهداء على الناس تُبَلِغُونَهُم رسالة ربهم كما بلغتم إليهم ما بلغه الرسول إليكم .

الثاني : ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم وتكونوا شهداء على الناس بأن رُسُلَهُم قد بَلَّغُوهم .

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ ﴾ يعني المفروضة .

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَاةَ ﴾ يعني الواجبة .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : امتنعوا بالله ، وهو قول ابن شجرة .

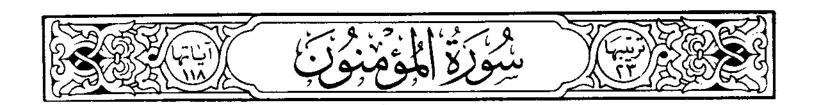
والثاني : معناه تمسّكوا بدين الله ، وهو قول الحسن .

﴿ هُوَ مَوْلَاكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مَالِكُكُم .

الثاني : وليكم المتولي لأموركم .

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾أي فنعم المولىٰ حين لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه ، ونعم النصير حين أعانكم لما أطعتموه .



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه قد سعد المؤمنون ومنه قول لبيد(٣٨) :

فاعقلي إن كنت لم تعقلي   إنما أفلح من كان عقل

الثاني : أن الفلاح البقاء ومعناه قد بقيت لهم أعمالهم ، وقيل : إنه بقاؤهم في الجنة ، ومنه قولهم في الأذان : حي على الفلاح أي حي على بقاء الخير قال طرفة بن العبد :

أفبعدنا أو بعدهم . . . يرجىٰ لغابرنا الفلاح

(٣٨) هو لبيد بن ربيعة وقد تقدم تخريج هذا البيت .

الثالث : أنه إدْراك المطالب قال الشاعر :

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

قال ابن عباس : المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا .

روى عمر بن الخطاب(٣٩) قال كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن يسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل ، فنزل عليه يوماً فلما سرى عنه استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال : « **اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تُنْقِصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا** » ، ثم قال : « **لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** » ، ثم قرأ علينا ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ حتىٰ ختم العشر .

روى أبو عمران الجوني(٤٠) قال قيل لعائشة ما كان خُلُق رسول الله ﷺ ؟ ، قالت أتقرأون سورة المؤمنون ؟ قيل : نعم ، قالت اقرأوا فقرىء عليها ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ حتىٰ بَلَغَ ﴿ **يُحَافِظُونَ** ﴾ .

فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : خائفون ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : خاضعون ، وهو قول ابن عيسىٰ .

والثالث : تائبون ، وهو قول إبراهيم .

---

(٣٩) رواه أحمد (١/ ٣٤) والترمذي (٢/ ١٤٦) .
والحاكم (٢/ ٣٩٣) وقال الترمذي منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه .
وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي قائلاً سئل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا (وهو يونس بن سليم) فقال أظنه لا شيء وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٨٢) نسبته لعبد الرزاق والعقيلي وابن المنذر وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل والضياء في المختارة والنسائي ونقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٤٧٥) عن النسائي قوله لا نعرف أحداً رواه عن ابن شهاب إلا يونس بن سليم ويونس لا نعرفه .

(٤٠) القائل لعائشة هو يزيد بن بانيوس والراوي عنه أبو عمران الجوني والحديث رواه أحمد (٦/ ٩١ و١٦٣)والنسائي في التفسير كما نقله ابن كثير (٣/ ٢٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٨٢) نسبته لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

والرابع : أنه غض البصر ، وخفض الجناح ، قاله مجاهد .

الخامس : هو أن ينظر إلى موضع سجوده من الأرض ، ولا يجوز بصره مُصَلَّاهُ ، فقد روي أن النبي[٤١] ﷺ كان يرفع بصره إلى السماء فنزلت : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ فصار لا يجوِّز بصره مُصَلَّاهُ .

فصار في محل الخشوع على هذه الأوجه قولان :

أحدهما : في القلب خاصة ، وهو قول الحسن وقتادة .

والثاني : في القلب والبصر ، وهو مقتضى قول مجاهد وإبراهيم .

قوله : ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن اللغو الباطل ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الكذب ، قاله السدي .

الثالث : أنه الحلف ، قاله الكلبي .

الرابع : أنه الشتم لأن كفار مكة كانوا يشتمون المسلمين فهو عن الإجابة ، حكاه النقاش .

الخامس : أنها المعاصي كلها ، قاله الحسن .

قوله : ﴿ **أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ** ﴾ روي عن النبي[٤٢] ﷺ أنه قال : « **مَا مِنْكُم إلَّا لَهُ مَنزِلَانِ: مَنزِلٌ فِي الجَنَّةِ وَمَنزِلٌ في النَّارِ ، فَإن مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ الجَنَّةَ ، وَرِثَ أَهْلُ النَّارِ مَنزِلَهُ ، فَذلِكَ قَولَه : ﴿ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ ﴾** » ، ثم بيَّن ما يرثون فقال :

﴿ **ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه اسم من أسماء الجنة ، قاله الحسن .

---

(٤١) رواه الحاكم (٣٩٣/٢) من حديث ابي هريرة وقال حديث صحيح لولا اختلاف فيه على محمد (يعني ابن سيرين) فقد قيل عنه مرسلاً ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله والصحيح أنه مرسل .
قلت وقد روى المرسل ابن جرير (٣/١٨) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٢٣٨/٣) .

(٤٢) رواه ابن جرير (٥/١٨ ، ٦) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٢٣٩/٣) وابن ماجه (٤٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وزاد السيوطي في الدر (٩٠/٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث .

الثاني : أنه أعلى الجنان ، قاله قطرب .

الثالث : أنه جبل الجنة الذي تتفجر منه أنهار الجنة ، قاله أبو هريرة .

الرابع : أنه البستان وهو رومي معرب ، قاله الزجاج .

الخامس : أنه عربي وهو الكرم ، قاله الضحاك .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : آدم استل من طين ، وهذا قول قتادة ، وقيل : لأنه اسْتُلَ من قِبَل ربه .

والثاني : أن المعني به كل إنسان ، لأنه يرجع إلى آدم الذي[٤٣] خلق من سلالة من طين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقيل : لأنه استل من نطفة أبيه ، والسلالة من كل شيء صفوته التي تستل منه ، قال الشاعر[٤٤] :

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراسٍ تجلّلها بغل

وقال الزجاج : السلالة القليل مما ينسل ، وقد تُسَمَّى المضغة سلالة والولد سلالة إما لأنهما صفوتان على الوجه الأول ، وإما لأنهما ينسلان على الوجه الثاني ،

(٤٣) قال ابن جرير (١٨ / ٨) وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه. . . «ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفة مائه وآدم هو الطين لأنه خلق منه».

(٤٤) وهي هند بنت النعمان والبيت في اللسان (سلل) والطبري (١٨ / ٨) وفيه وهل كنت إلا مهرة عربية. . . .

وكذا أوقع في فتح القدير (٣ / ٤٧٧).

وحكى الكلبي : أن السلالة الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء ، ومنه قول الشاعر :

طوت أحشاء مرتجةٍ لوقت   على مشج سلالته مهينُ

وحكىٰ أبان بن تغلب أن السلالة هي التراب واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت :

خلق البرية من سلالة منتن   وإلى السلالة كلها ستعود

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ النطفة هي ماء الذكر الذي يعلق منه الولد ، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء ، قال بعض شعراء هذيل :

وأنهما لحرّابا حروب   وشرّابان بالنطف الظوامي

قوله تعالى : ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعني بالقرار الرحم ، ومكين : أي متمكن قد هيىء لاستقراره فيه .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ العلقة الدم الطري الذي خلق من النطفة سُمّيَ علقة لأنه أول أحوال العلوق .

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ وهي قدر ما يمضغ من اللحم .

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾ وإنما بين الله أن الإنسان تنتقل أحوال خلقه ليعلم نعمته عليه وحكمته فيه ، وإن بعثه بعد الموت حياً أهون من إنشائه ولم يكن شيئاً .(٤٥)

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني بنفخ الروح فيه ، وهذا قول ابن عباس والكلبي .

والثاني : بنبات الشعر ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنه ذكر أو أنثىٰ ، وهذا قول الحسن .

والرابع : حين استوىٰ به شبابه ، وهذا قول مجاهد .

ويحتمل وجهاً خامساً : أنه بالعقل والتمييز .

---

(٤٥) هو الشماخ بن ضرار والبيت في اللسان (سلل) .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس[٤٦] أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ . قال عمر بن الخطاب : فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

قوله : ﴿ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي سبع سموات ، وفي تسميتها طرائق ثلاثة أوجه :

أحدها : لأن كل طبقة على طريقة من الصنعة والهيئة .

الثاني : لأن كل طبقة منها طريق الملائكة ، قاله ابن عيسىٰ .

الثالث : لأنها طباق بعضها فوق بعض ، ومنه أخذ طراق الفحل إذا أطبق عليها ما يمسكها ، قاله ابن شجرة ، فيكون على الوجه الأول مأخوذاً من التطرق ، وعلى الوجه الثاني مأخوذاً من التطارق .

﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : غافلين عن حفظهم من سقوط السماء عليهم ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : غافلين عن نزول المطر من السماء عليهم ، قاله الحسن .

الثالث : غافلين ، أي عاجزين عن رزقهم ، قاله سفيان بن عيينة .

وتأول بعض المتعمقة في غوامض المعاني سبع طرائق : أنها سبع حجب بينه وبين ربه ، الحجاب الأول قلبه ، الثاني جسمه ، الثالث نفسه ، الرابع عقله ، الخامس علمه ، السادس إرادته ، السابع مشيئته توصله إن صلحت وتحجبه إن فسدت ، وهذا تكلف بعيد[٤٧] .

---

(٤٦) رواه ابن مردويه والطبراني كما في الدر (٩٤/٦) وقد رواه مطولاً ابن أبي حاتم ونقله عنه ابن كثير (٢٤١/٣) .

وقد ورد عن معاذ مثل قول عمر رواه الطبراني وابن راهويه وابن المنذر وابن مردويه قال الهيثمي في المجمع (٧٢/٨) فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح وقال الشوكاني (٤٩٠/٣٠) في اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف جداً وقال ابن كثير (٢٤١/٣) وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك أن السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة والله أعلم .

(٤٧) وقد أحسن المؤلف صنعاً بالتعقيب على هذا التأويل .

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ هي شجرة الزيتون ، وخصت بالذكر لكثرة منفعتها وقلة تعاهدها .

وفي طور سيناء خمسة تأويلات :

أحدها : أنه سيناء البركة فكأنه قال جبل البركة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : أنه الحسن المنظر ، قاله قتادة ..

الثالث : أنه الكثير الشجر ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ ، قاله أبو عبيدة .

الخامس : أنه المرتفع مأخوذ من النساء ، وهو الارتفاع فعلى هذا التأويل يكون إسماً عربياً وعلى ما تقدم من التأويلات يكون إسماً أعجمياً واختلف القائلون بأعجميته على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سرياني ، قاله ابن عباس .

الثاني : نبطي .

الثالث : حبشي .

﴿ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ اختلف في الدهن هنا على قولين :

أحدهما : أن الدهن هنا المطر اللين ، قاله محمد بن درستويه ، ويكون دخول الباء تصحيحاً للكلام .

الثاني : أنه الدهن المعروف أي بثمر الدهن .

وعلى هذا اختلفوا في دخول الباء على وجهين :

أحدهما : أنها زائدة وأنها تنبت الدهن ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٤٨) :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

فكانت الباء في بالفرج زائدة كذلك في الدهن وهي قراءة ابن مسعود .

الثاني : أن الباء أصل وليست بزائدة ، وقد قرىء تنبت بالدهن بفتح التاء الأولىٰ إذا كانت التاء أصلاً ثابتاً . فإن كانت القراءة بضم التاء الأولىٰ فمعناه تنبت وينبت بها الدهن ومعناهما إذا حقق متقارب وإن كان بينهما أدنىٰ فرق . وقال الزجاج : معناه ينبت فيها الدهن ، وهذه عبرة : أن تشرب الماء وتخرج الدهن .

﴿ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ أي إدام يصطبغ به الآكلون . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال(٤٩): « **الزَّيتُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ فَائْتَدِمُواْ بِهِ وَادَّهِنُوا** » وقيل إن الصبغ ما يؤتدم به سوى اللحم .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

---

(٤٨) هو نابغة بني جعدة والبيت في خزانة الأدب (١٦٠/٤) والطبري (٤/١٨) وفتح القدير (٤٧٨/٣) وشطره .

نحن بنو جعدة أرباب الفلج . ووقع في الطبري نضرب بالبيض بدلاً من السيف

(٤٩) أورده المؤلف هنا وقدم وأخر فيه والحديث لفظه ائتدموا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة .

رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٥٦٨) وابن ماجه (٣٣١٩) والحاكم (١٢٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد ابن القيم في الزاد (٣١٧/٤) نسبته للبيهقي وقال الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد رجاله ثقات .

وقد ورد الحديث من حديث عمر بلفظ كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة رواه الترمذي (٣٤٠/١) وابن ماجه (٣٣١٩) والحاكم (١٢٢/٢) وله شاهد من حديث أبي سعيد رواه الدارمي (١٠٢/٢) والحاكم (٣٩٨/٢ / ٣٩٩) وأحمد (٤٩٧/٣) وصححه الألباني بشواهده في السلسلة رقم ٣٧٩ راجع فوائد الزيت في زادالمعاد(٣١٦/٤ ـ ٣١٨) .

قوله عز وجل : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما سمعنا بمثل دعوته .

والثاني : ما سمعنا بمثله بشراً أتىٰ برسالة من ربه .

وفي أبائهم الأولين وجهان :

أحدهما : أنه الأب الأدنىٰ ، لأنه أقرب ، فصار هو الأول .

والثاني : أنه الأب الأبعد لأنه أوّل أبٍ وَلدَك .

﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حتى يموت .

الثاني : حتى يستبين جنونه .

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

قوله : **﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾** فيه أربعة أقاويل :

أحدها : تنور الخابزة ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه آخر مكان في دارك ، قاله أبو الحجاج .

الثالث : أنه طلوع الفجر ، قاله علي رضي الله عنه .

الرابع : أنه مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لاشتداد الأمر كما قال النبي ﷺ[٥٠] : « **الآن حَمِيَ الوَطِيسُ** » قاله ابن بحر .

---

(٥٠) جزء من حديث رواه مسلم كتاب الجهاد رقم ٧٦ وأحمد (١ /٢٠٧) من حديث .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً ﴾ قراءة الجمهور بضم[٥١] الميم وفتح الزاي ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي والفرق بينهما أن المُنزَلَ بالضم فعل النزول وبالفتح موضع النزول .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ في ذلك قولان :

أحدهما : أن نوحاً قال ذلك عند نزوله في السفينة فعلىٰ هذا يكون قوله مباركاً يعني بالسلامة والنجاة .

الثاني : أنه قاله عند نزوله من السفينة ، قاله مجاهد . فعلى هذا يكون قوله مباركاً يعني بالماء والشجر .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يموت منا قوم ويحيا منا قوم ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : يموت قوم ويولد قوم ، قاله يحيى بن سلام . قال الكلبي : يموت الآباء ويحيا الأبناء .

(٥١) راجع الحجة في القراءات ص ٤٨٦ ، زاد المسير (٤٧١/٥) .

الثالث : أنه مقدم ومؤخر معناه نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين ، قاله ابن شجرة .

قوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ أي هلكىٰ كالغثاء، وفي الغثاء ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه البالي من الشجر ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : ورق الشجر إذا وقع في الماء ثم جف ، وهذا قول قطرب .

والثالث : هو ما احتمله الماء من الزبد والقذىٰ ، ذكره ابن شجرة وقاله الأخفش .

﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فبعداً لهم من الرحمة كاللعنة ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : فبعداً لهم في العذاب زيادة في الهلاك ، ذكره أبو بكر النقاش .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

قوله : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : متواترين يتبع بعضهم بعضاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : منقطعين بين كل إثنين دهر طويل وهذا تأويل من قرأ بالتنوين[٥٢] ، وفي اشتقاق تترىٰ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مشتق من وتر القوس لاتصاله بمكانه منه ، قاله ابن عيسىٰ ، وهو اشتقاقه على القول الأول .

الثاني : أنه مشتق من الوتر وهو الفرد لأن كل واحد بعد صاحبه فرد ، قاله الزجاج ، وهو اشتقاقه على التأويل الثاني :

الثالث : أنه مشتق من التواتر ، قاله ابن قتيبة ويحتمل اشتقاقه التأويلين معاً .

---

(٥٢) وهي قراءة ابن كثير وابي عمر «الحجة ص ٤٨٧».

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله : ﴿ قَوْماً عَالِينَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : متكبرين ، قاله المفضل .

الثاني : مشركين ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : قاهرين ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : ظالمين ، قاله الضحاك .

قوله : ﴿ . . . وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : مطيعون ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : خاضعون ، قاله ابن شجرة .

الثالث : مستبعدون ، قاله يحيى بن سلام .

الرابع : ما قاله الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وكان فرعون يعبد الأصنام .

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آبْنَ مرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ﴾ فآيته أن خلق من غير ذكر وآيتها أن حملت من غير بعل ، ثم تكلم في المهد فكان كلامه آية له ، وبراءة لها .

﴿ وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ الآية . الربوة ما ارتفع من الأرض وفيه قولان :

أحدهما : أنها لا تسمى ربوة إلا إذا اخضرت بالنبات وربت ، وإلاّ قيل نشز اشتقاقاً من هذا المعنى واستشهاداً بقول الله تعالى : ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ويقول الشاعر:

طوى نفسه طيّ الحرير كأنه   حوى جنة في ربوة وهو خاشع

الثاني : تسمى ربوة وإن لم تكن ذات نبات قال امرؤ القيس :

فكنت هميداً تحت رمس بربوة   تعاورني ريحٌ جنوب وشمألُ

وفي المراد بها هنا أربعة أقاويل :

أحدها : الرملة ، قاله أبو هريرة .

الثاني : دمشق ، قاله ابن جبير .

الثالث : مصر ، قاله ابن زيد .

الرابع : بيت المقدس . قاله قتادة ، قال كعب الأحبار ، هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

وفي : ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : ذات استواء ، قاله ابن جبير .

الثاني : ذات ثمار ، قاله قتادة .

الثالث : ذات معيشة تقرهم ، قاله الحسن .

الرابع : ذات منازل تستقرون فيها ، قاله يحيى بن سلام .

وفي ﴿ مَعِينٍ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه الجاري ، قاله قتادة .

الثاني : أنه الماء الطاهر ، قاله عكرمة ومنه قول جرير :

إن الذين غروا بلبك غادروا   وشلاً بعينك ما يزال معينا

أي ظاهراً ، وفي اشتقاق المعين ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنه جار من العيون، قاله ابن قتيبة فهو مفعول من العيون .

الثاني : أنه مشتق من المعونة .

الثالث : من الماعون .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا

نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله : ﴿ وإنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : دينكم دين واحد ، قاله الحسن ، ومنه قول الشاعر(٥٣) :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وهل يأتَمن ذو أمة وهو طائع

الثاني : جماعتكم جماعة واحدة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الثالث : خلقكم خلق واحد .

قوله : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ففرقوا دينهم بينهم قاله الكلبي .

الثاني : انقطع تواصلهم بينهم . وهو محتمل .

﴿ زُبُراً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني قطعاً وجماعات ، قاله مجاهد ، والسدي ، وتأويل من قرأ(٥٤) بفتح الباء .

الثاني : يعني ، كتباً ، قاله قتادة ، وتأويل من قرأ بضم الباء ومعناه ، أنهم تفرقوا الكتب ، فأخذ كل فريق منهم كتاباً ، آمن به وكفر بما سواه .

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كل حزب بما تفردوا به من دين وكتاب فرحون .

والثاني : كل حزب بما لهم من أموال وأولاد فرحون .

وفي فرحهم وجهان :

أحدهما : أنه سرورهم .

والثاني : أنها أعمالهم .

قوله عز وجل : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : في ضلالتهم ، وهو قول قتادة .

(٥٣) هو النابغة الذبياني والبيت في ديوانه : ٣٥ ، فتح القدير (٣/٤٨٦) .

(٥٤) وهي قراءة ابن عباس وأبي عمر الجوني وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٥/٤٧٨) .

والثاني : في عملهم ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثالث : في حيرتهم ، وهو قول ابن شجرة .

والرابع : في جهلهم ، وهو قول الكلبي .

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : حتى الموت .

والثاني : حتى يأتيهم ما وعدوا به ، وهو يوم بدر .

والثالث : أنه خارج مخرج الوعيد كما تقول للتوعد : لك يوم ، وهذا قول الكلبي .

قوله عز وجل : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ أي نعطيهم ونزيدهم من أموال وأولاد .

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نجعله في العاجل خيراً .

والثاني : أنما نريد لهم بذلك خيراً .

﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بل لا يشعرون أنه استدراج .

والثاني : بل لا يشعرون أنه اختبار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني الزكاة .

الثاني : أعمال البر كلها .

﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي خائفة .

قال بعض أصحاب الخواطر : وجل العارف من طاعته أكثر من وجلِه من مخالفته لأن المخالفة تمحوها التوبة ، والطاعة تطلب لتصحيح الغرض .

﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يخافون ألا ينجوا من عذابه إذا قدموا عليه .

الثاني : يخافون أن لا تقبل أعمالهم إذا عرضت عليهم . روته عائشة مرفوعاً(٥٥) .

قوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يستكثرون منها لأن المسارع مستكثر .

الثاني : يسابقون إليها لأن المسارع سابق .

﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وهم بها سابقون إلى الجنة .

الثاني : وهم إلى فعلها سابقون .

وفيه وجه ثالث : وهم لمن تقدمهم من الأمم سابقون . قاله الكلبي .

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

(٥٥) أخرجه ابن جرير (٢٦/١٨) وأحمد (٢٠٥/١٥٩/٦) والحاكم (٣٩٣/٢ ـ ٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، والترمذي (٢٠١/٢)وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٢ وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٠٥/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان من حديث عائشة ولفظ الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات .

قوله عز وجل : ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُم فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هٰذا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في غطاء ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : في غفلة قاله قتادة .

﴿ **مِنْ هٰذا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من هذا القرآن ، وهو قول مجاهد .

الثاني : من هذا الحق ، وهو قول قتادة .

﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خطايا [يعملونها] من دون الحق ، وهو قول قتادة .

الثاني : أعمال [رديئة] لم يعملوها وسيعملونها ، حكاه يحيى بن سلام .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أنه ظلم المخلوقين مع الكفر بالخالق .

قوله عز وجل : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ** ﴾ فيهم وجهان :

أحدهما : أنهم الموسع عليهم بالخصب ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : بالمال والولد ، قاله الكلبي ، فعلى الأول يكون عامّاً وعلى الثاني يكون خاصاً .

﴿ **إِذَا هُم يَجْأَرُونَ** ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يجزعون ، وهو قول قتادة .

الثاني : يستغيثون ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : يصيحون ، وهو قول علي بن عيسىٰ .

والرابع : يصرخون إلى الله تعالى بالتوبة ، فلا تقبل منهم ، وهو قول الحسن . قال قتادة نزلت هذه الآية في قتلىٰ بدر ، وقال ابن جريج ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ** ﴾ هم الذين قتلواْ ببدر .

قوله عز وجل : ﴿ **وَكُنتُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تستأخرون ، وهو قول مجاهد .

والثاني : تكذبون .

والثالث : رجوع القهقرى . ومنه قول الشاعر[٥٦]:

زعموا أنهم على سبل الحق وأنا نكص على الأعقاب

وهو أي النكوص ، موسع هنا ومعناه ترك القبول .

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي بحرمة الله ، ألا يظهر عليهم فيه أحد ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

ويحتمل وجهاً آخر : مستكبرين بمحمد أن يطيعوه ، وبالقرآن أن يقبلوه .

﴿ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ سامر فاعل من السمر . وفي السمر قولان :

أحدهما : أنه الحديث ليلاً ، قاله الكلبي ، وقيل به : سمراً تهجرون .

والثاني : أنه ظل القمر ، حكاه ابن عيسى ، والعرب تقول حلف بالسمر والقمر أي بالظلمة والضياء ، لأنهم يسمرون في ظلمة الليل وضوء القمر ، والعرب تقول أيضاً : لا أكلمه السمر والقمر ، أي الليل والنهار ، وقال الزجاج ومن السمر أخذت سمرة اللون . وفي ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما : تهجرون الحق بالإعراض عنه ، قاله ابن عباس .

والثاني : تهجرون في القول بالقبيح من الكلام، قاله ابن جبير ، ومجاهد . وقرأ نافع ﴿ تُهْجِرُونَ ﴾ بضم التاء[٥٧] وكسر الجيم وهو من هجر القول . وفي مخرج هذا الكلام قولان :

أحدهما : إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق مع ظهوره لهم .

الثاني : إنكاراً منهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

(٥٦) فتح القدير (٣/٤٩٠) .

(٥٧) الحجة في القراءات ٤٨٩ ، زاد المسير (٥/٤٨٣) .

فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

قوله : ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ في الحق هنا قولان :

أحدهما : أنه الله ، قاله الأكثرون .

الثاني : أنه التنزيل أي لو نزل بما يريدون لفسدت السمٰوات والأرض .

وفي اتباع أهوائهم قولان :

أحدهما : لو اتبع أهواءهم فيما يشتهونه .

الثاني : فيما يعبدونه .

﴿ **لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لفسد تدبير السمٰوات والأرض ، لأنها مدبرة بالحق لا بالهوىٰ .

الثاني : لفسدت أحوال السمٰوات والأرض لأنها جارية بالحكمة لا على الهوىٰ .

﴿ **وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ أي ولفسد من فيهن ، وذلك إشارة إلى من يعقل من ملائكة السمٰوات وإنس الأرض ، وقال الكلبي : يعني ما بينهم من خلق ، وفي قراءة ابن مسعود لفسدت السمٰوات والأرض وما بينهما ، فتكون على تأويل الكلبي ، وقراءة ابن مسعود ، محمولاً على فساد ما لا يعقل من حيوان وجماد ، وعلى ظاهر التنزيل في قراءة الجمهور يكون محمولاً على فساد ما يعقل وما لا يعقل من الحيوان ، لأن ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد ، فعلى هذا يكون من الفساد ما يعود على من في السمٰوات من الملائكة بأن جعلت أرباباً وهي مربوبة ، وعبدت وهي مستعبدة .

وفساد الإنس يكون على وجهين:

أحدهما : باتباع الهوىٰ . وذلك مهلك .

الثاني : بعبادة غير الله . وذلك كفر .

وأما فساد الجن فيكون بأن يطاعوا فيطغوا .

وأما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لأنهم مدبرون بذوي العقول . فعاد فساد المدبرين عليهم .

﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عنى ببيان الحق لهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : بشرفهم لأن الرسول ﷺ منهم . والقرآن بلسانهم ، قاله السدي ، وسفيان .

ويحتمل ثالثاً : بذكر ما عليهم من طاعة ولهم من جزاء .

﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فهم عن القرآن معرضون ، قاله قتادة .

الثاني : عن شرفهم معرضون ، قاله السدي .

قوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ﴾ يعني أمراً .

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فرزق ربك في الدنيا خير منهم ، قاله الكلبي .

الثاني : فأجر ربك في الآخرة خيرٌ منه ، قاله الحسن .

وذكر أبو عمرو بن العلاء الفرق بين الخرج والخراج فقال : الخرج من الرقاب : والخراج من الأرض .

قوله : ﴿ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لعادلون ، قاله ابن عباس .

الثاني : لحائدون ، قاله قتادة .

الثالث : لتاركون، قاله الحسن .

الرابع : لمعرضون ، قاله الكلبي ، ومعانيها متقاربة .

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

قوله : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً** ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه دعاء النبي ﷺ(٥٨) عليهم فقال : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيهِم سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ فَقَحَطُوا سَبْعَ سِنِينَ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعَلْهَزَ مِنَ الجُوعِ وَهُوَ الوَبَرُ بِالدَّمِ** » ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه قتلهم بالسيف يوم بدر ، قاله ابن عباس .

الثالث : يعني باباً من عذاب جهنم في الآخرة ، قاله بعض المتأخرين .

﴿ **مُبْلِسُونَ** ﴾ قد مضىٰ تفسيره .

قوله : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِيَ ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خلقكم ، قاله الكلبي ويحيى بن سلام .

الثاني : نشركم ، قاله ابن شجرة .

قوله : ﴿ **وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بالزيادة والنقصان .

الثاني : تكررهما يوماً بعد ليلة وليلة بعد يوم .

ويحتمل ثالثاً : اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاء وضلال وهدىٰ .

---

(٥٨) هذا الحديث مرسل وأصله في الصحيحة موصولاً وقد تقدم تخريجه في سورة البقـرة، عند قـوله تعالى ﴿**ولنبلونكـم بشيء من الخوف والجوع**﴾ . . . الآية .

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

قوله : ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خزائن كل شيء ، قاله مجاهد .

الثاني : ملك كل شيء ، قاله الضحاك . والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت .

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي يمنع ولا يُمنع منه ، فاحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : في الدنيا ممن أراد هلاكه لم يمنعه منه مانع ، ومن أراد نصره لم يدفعه من نصره دافع .

الثاني : في الآخرة لا يمنعه من مستحقي الثواب مانع ولا يدفعه من مستوجب العذاب دافع .

﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بالبعث.

الثاني : فكيف تكذبون فيخيل لكم الكذب حقاً .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾

قوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : بالإغضاء والصفح عن إساءة المسيء ، قاله الحسن .

الثاني : إدفع الفحش بالسلام ، قاله عطاء والضحاك .

الثالث : ادفع المنكر بالموعظة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الرابع : معناه امسح السيئة بالحسنة وهذا قول ابن شجرة .

الخامس : معناه قابل أعداءك بالنصيحة وأولياءك بالموعظة . وهذا وإن كان خطاباً له عليه السلام فالمراد به جميع الأمة .

قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : من نزغات .

الثاني : من إغواء .

الثالث : أذاهم .

الرابع : الجنون .

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أي يشهدوني ويقاربوني وفيه وجهان :

أحدهما : في الصلاة عند تلاوة القرآن . قال الكلبي .

والثاني : في أحواله كلها ، وهذا قول الأكثرين .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾

قوله : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ الآية . أي من أمامهم برزخ(٥٩)، البرزخ الحاجز ومنه قوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[الرحمن: ٢٠] وفيه خمسة أقاويل.

أحدها : أنه حاجز بين الموت والبعث، قاله ابن زيد .

(٥٩) وقد تقدم أنه قد تأتي وراء بمعنى أمام .

الثاني : حاجز بين الدنيا والآخرة . قاله الضحاك .

الثالث : حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا . قاله مجاهد .

الرابع : أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الخامس : هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة ، قاله الكلبي .

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

قوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي لا يتعارفون للهول الذي قد أذهلهم .

الثاني : أنهم لا يتواصلون عليها ولا يتقابلون بها مع تعارفهم لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ الآية [عبس : ٣٤]

﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يتساءلون أن يحمل بعضهم عن بعض ، أو يعين بعضهم بعضاً ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبره لانشغال كل واحد بنفسه قاله ابن عيسىٰ .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الهوىٰ .

الثاني : حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق .

قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿ **قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه اصغروا والخاسىء الصاغر ، قاله الحسن ، والسدي .

الثاني : أن الخاسىء الساكت الذي لا يتكلم ، قاله قتادة .

الثالث : ابعدوا بعد الكلب ، قاله ابن عيسى .

﴿ **وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا تكلمون في دفع العذاب عنكم .

الثاني : أنهم زجروا عن الكلام ، غضباً عليهم . قاله الحسن ، فهو آخر كلام يتكلم به أهل النار .

﴿ **فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا** ﴾ قرأ بضم السين نافع(٦٠)، وحمزة ، والكسائي . وقرأ الباقون بكسرها . واختلف في الضم والكسر على قولين :

أحدهما : أنهما لغتان ، ومعناهما سواء وهما من الهزء .

الثاني : أنها بالضم من السُخرة والاستعباد وبالكسر من السخرية والاستهزاء .

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

(٦٠) الحجة في القراءات ص ٤٩١، ٤٩٢ ، زاد المسير (١٩٣/٥).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

قوله : ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا ، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، استقلالاً لحياتهم في الدنيا لطول لبثهم في عذاب جهنم .

الثاني : أنه سؤال لهم عن مدة لبثهم في القبور وهي حالة لا يعلمونها فأجابوا بقصرها لهجوم العذاب عليهم ، وليس بكذب منهم لأنه إخبار عما كان عندهم .

﴿ **فَاسْئَلِ ٱلْعَادِّينَ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الملائكة ، قاله مجاهد .

الثاني : الحُسّابُ ، قاله قتادة .

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله : ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه ليس له برهان ولا صحة بأن مع الله إلَهاً آخر .

الثاني : أن هذه صفة الإلّه الذي يدعى من دون الله أن لا برهان له .

﴿ **فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّكَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني أن محاسبته عند ربه يوم القيامة .

الثاني : أن مكافأته على ربه والحساب المكافأة ، ومنه قولهم حسبي الله . أي كفاني الله تعالىٰ . والله أعلم وأحكم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا** ﴾ أي هذه سورة أنزلناها ويحتمل أن يكون قد خصها بهذا الافتتاح لأمرين :

أحدهما : أن المقصود الزجر والوعيد فافتتحت بالرهبة كسورة التوبة .

الثاني : أن فيها تشريفاً للنبي ﷺ بطهارة نسائه فافتتحت بذكر والسورة اسم للمنزلة الشريفة ولذلك سميت السورة من القرآن سورة قال الشاعر(٦١) :

أَلم تَـرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْـطَاكَ سُـورةً ... تـرىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَـتَذَبْـذَبُ

﴿ **وَفَرَضْنَاهَا** ﴾ فيه قراءتان بالتخفيف وبالتشديد(٦٢) :

فمن قرأ بالتخفيف ففي تأويله وجهان :

أحدهما : فرضنا فيها إباحة الحلال وحظر الحرام ، قاله مجاهد .

---

(٦١) هو النابغة الذبياني والبيت تقدم تخريجه ونسبه في فتح القدير (٤/٣) لزهير فأخطأ .

(٦٢) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو ، راجع الحجة في القراءات ص ٤٩٤ .

الثـاني : قدرنـا فيها الحـدود من قولـه تعـالى : ﴿ فنصف مـا فـرضتم ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي قدرتم، قاله عكرمة.

ومن قرأ بالتشديد ففي تأويله وجهان :

أحدهما : معناه تكثير ما فرض فيها من الحلال والحرام ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : معناه بيناها ، قاله ابن عباس .

﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها الحجج الدالة على توحيده ووجوب طاعته .

الثاني : أنها الحدود والأحكام التي شرعها .

قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وإنما قدم ذكر الزانية على الزاني لأمرين :

أحدهما : أن الزنى منها أعرُّ ، وهو لأجل الحَبَل أضر .

الثاني : أن الشهوة فيها أكثر وعليهـا أغلب ، وقدر الحـد فيه بمـائة جلدة من الحرية والبكارة ، وهو أكثر حدود الجلد ، لأن فعل الزنى أغلظ من القذف بالزنى ، وزادت السنـة على الجلد بتغريب عـام بعده ، لقـول رسول الله ﷺ[٦٣] : « خُـذُواْ عَنِّي قَـدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيـلاً ، البِكْرُ بِـالبِكْـرِ جَلْدُ مَـائَـةٍ وَتَغْـرِيبُ عَـامٍ ». ومنع العـراقيون من التغـريب اقتصاراً على الجلد وحـده ، وفيـه دفـع السنـة والأثـر[٦٤] .

والجلد مـأخوذ من وصـول الضرب إلى الجلد. فـأما المحصنـان فحدهمـا الـرجم بـالسنة إمـا بيانـاً لقولـه تعالى في سـورة النسـاء : ﴿ فَـأَمْسِكُـوهُنَّ فِي ٱلْبُيُـوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٥] على قول فريق، وإما ابتداء فرض على قول آخـرين. وروىٰ زر بن حبيش عن أُبَيٍّ أن في مصحفه من سـورة الأحزاب ذكر الرجم[٦٥]: «إِذَا زَنَىٰ الشَّيخُ وَالشَّيخَةُ فَارْجُمُوهُمَا البَتَّةَ نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

---

(٦٣) رواه مسلم (١٦٩٠) وأبو داود (٤٤١٥) (٤٤١٦) وأحمد (١٣/٥) والترمذي (١٤٣٤).

(٦٤) العبرة في الاستدلال بكتاب الله ثم السنة النبوية الشريفة ثم إجماع المسلمين والقياس فهذه هي مصادر التشريع الإسلامية فلا يرد حديث النبي ﷺ بالقياس فهذا الأمر لا يستقيم في شرع الله أبداً.

(٦٥) وإن مما يندى له الجبين أن هذا الحكم المنـزل من الله تعالى لم يطبـق إلى الآن في بعض الأقـطار=

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ أي في طاعة الله ، وقد يعبر بالدين عن الطاعة .

﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ﴾ أي إن كنتم تقيمون طاعة الله قيام من يؤمن بالله واليوم الآخر ، والرأفة الرحمة ولم ينه عنها لأن الله هو الذي يوقعها في القلوب وإنما نهىٰ عما تدعو الرحمة إليه ، وفيه قولان :

أحدهما : أن تدعوه الرحمة إلى إسقاط الحد حتى لا يقام ، قاله عكرمة .

الثاني : أن تدعوه الرحمة إلى تخفيف الضرب حتىٰ لا يؤلم ، قاله قتادة . واستنبط هذا المعنىٰ الجنيد فقال : الشفقة على المخالفين كالإعراض عن المواقعين ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ يعني بالعذاب الحد يشهده عند الإقامة طائفة من المؤمنين ، ليكونوا زيادة في نكاله وبينة على إقامة حده واختلف في عددهم على أربعة أقاويل :

أحدها : أربعة فصاعداً ، قاله مالك والشافعي .

الثاني : ثلاثة فصاعداً ، قاله الزهري .

الثالث : اثنان فصاعداً ، قاله عكرمة .

الرابع : واحد فصاعداً ، قاله الحسن ، وإبراهيم .

ولما شرط الله إيمان من يشهد عذابهما ، قال بعض أصحاب الخواطر : لا يشهد مواضع التأديب إلا من لا يستحق التأديب .

ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً . . . ﴾ الآية . فيه خمسة أوجه :

= الإسلامية بل والأدهى من ذلك أن قوانين الشرق والغرب التي هي من صنع البشر ومن أهوائهم أقول الأدهى أنها حلّت محل هذا الحكم المشار إليه نسأل الله تعالى أن يهدي قومنا للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أحدها : أنها نزلت مخصوصة في رجل من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت من بغايا الجاهلية من ذوات الرايات وشرطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية فيه وفيها قاله عبد الله[٦٦] بن عمرو ، ومجاهد[٦٧] .

الثاني : أنها نزلت في أهل الصفة ، وكانوا قوماً من المهاجرين فقراء ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، فنزلوا صفة المسجد ، وكانوا نحو أربعمائة رجل يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون إلى الصفة في الليل ، وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور مما يصيب الرجال بالكسوة والطعام ، فهمَّ أهل الصفة أن يتزوجوهن ليأووا إلى مساكنهن وينالوا من طعامهن وكسوتهن فنزلت فيهن هذه الآية ، قاله أبو صالح .

الثالث : معناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان ، قاله ابن عباس[٦٨] .

الرابع : أنه عامٌّ في تحريم نكاح الزانية على العفيف ونكاح العفيفة على الزاني ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٣] قاله ابن المسيب.

الخامس : أنها مخصوصة في الزاني المحدود لا ينكح إلا زانية محدودة ، ولا ينكح غير محدودة ولا عفيفة ، والزانية المحدودة لا ينكحها إلا زان محدود ، ولا ينكحها غير محدود ولا عفيف ، قاله الحسن ، ورواه أبو هريرة[٦٩] مرفوعاً .

---

(٦٦) رواه ابن جرير (٧١/١٨) والحاكم (٣٩٦/٢) وصححه وقال الهيثمي في المجمع (٧٤/٧) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ورجال أحمد ثقات .
قلت وزاد السيوطي في الدر (١٢٨/٦) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والبيهقي والنسائي .

(٦٧) رواه ابن جرير (٧١/١٨) وفي سنده مجهول .

(٦٨) رواه ابن جرير (٧٤/٨) وسنده صحيح كما قال ابن كثير (٢٦٢/٣) .

(٦٩) ولفظه لا ينكح الزاني إلا مثله رواه أبو داود (٢٠٥٢) وزاد السيوطي في الدر (١٣٠/٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عدي وابن مردويه وقد حسن إسناده الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٤٦٨/١١) .

﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الزنى .

الثاني : نكاح الزواني[٧٠].

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ يعني بالزنى .

﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يعني ببينة على الزنىٰ .

﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ وهذا حد أوجبه الله على القاذف للمقذوفة يجب بطلبها ويسقط بعفوها ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه من حقوق الآدميين ، لوجوبه بالطلب ، وسقوطه بالعفو ، وهذا مذهب الشافعي .

الثاني : من حقوق الله لأنه لا ينتقل إلى مال ، وهذا مذهب أبي حنيفة .

الثالث : أنه من الحقوق المشتركة بين حق الله وحق الآدميين لتمازج الحقين وهذا مذهب بعض المتأخرين .

ولا يكمل حد القذف بعد البلوغ والعقل إلا بحريتهما وإسلام المقذوف وعفافه ، فإن كان المقذوف كافراً أو عبداً عُزِّر قاذفه ولم يحد ، وإن كان القاذف كافراً حُدّ حدّاً كاملاً ، وإن كان عبداً حُدّ نصف الحد .

﴿ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ وهذا مما غلظ الله به

---

(٧٠) قال الحافظ ابن كثير (٢٦٢/٣) وذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ .

القـذف حتىٰ علق به من التغليظ ثـلاثة أحكـام : وجوب الحـد ، والتفسيق وسقوط الشهادة . ولم يجعل في القذف بغير الـزنى حَدّاً لمـا في القذف بـالزنىٰ من تعـدّي المعرّة إلى الأهل والنسل .

قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تابواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ ﴾ الآيـة . التوبـة من القذف ترفع الفِسق ولا تسقط الحدّ . واختلفوا في قبول الشهادة على أربعة أقوال :

أحدها : تقبل شهادته قبل الحد وبعده لارتفاع فسقه وعـوده إلى عدالتـه وهذا مذهب مالك والشافعي وبه قال جمهور المفسرين .

الثاني : لا تقبل شهادته أبداً ، لا قبل الحد ولا بعده ، وهذا مذهب شريح .

الثالث : أنه تقبل شهادته بالتوبة قبل الحد ولا تقبل بعده ، وهـذا مذهب أبي حنيفة .

الرابع : تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل قبله ، وهذا مذهب إبـراهيم النخعي قال الشعبي : تقبل توبته ولا تقبل شهادته .

وفي صفة التوبة قولان :

أحدهما : أنها بإكذابه نفسـه وقد رواه الـزهري عن ابن المسيب أن عمـر بن الخـطاب جلد أبا بكـرة وشبل بن معبـد ونافـع بن الحارث بن كلدة وقـال لهم : من أكذب نفسه أحرز شهادته فأكذب نفسه شبل ونافع ، وأبى أبو بكـرة أن يفعل . قـال الزهري ، هو والله السنة فاحفظوه .

الثاني : أن توبته منه تكون بصلاح حاله وندمه على قذفه والاستغفار منه وترك العود إلى مثله ، قاله ابن جرير[٧١] .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾

(٧١) جامع البيان (١٨/٨١) .

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ** ﴾ يعني بالزنى .

﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ** ﴾ يعني يشهدون بالزنى إلا أنفسهم وهذا حكم خص الله به الأزواج في قذف نسائهم ليلاعنوا فيذهب حد القذف عنهم .

وفي سبب ذلك قولان :

أحدهما : ما رواه عكرمة عن ابن عباس أن هلال(٧٢) بن أمية أتى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع أهلي رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى أنزل الله فيه هذه الآية .

الثاني : ما رواه الأوزاعي عن الزهري عن سهل بن سعد أن عويمر(٧٣) أتى رسول الله فقال : يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله ﷺ : « **قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ** » فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة فلاعنها فقال رسول الله ﷺ : « انظروا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ عَظِيمَ الأَلِيَتَيْنِ خَدْلَجَ السَّاقِينِ فَلَا أَحْسَبُ عُوَيمِراً إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيهَا ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيمِرَ كَأَنَّهُ وَحْرَةٌ فَلَا أَرَاهُ إِلَّا كَاذِباً » فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ في تصديق عويمر وكان

---

(٧٢) رواه البخاري (٩/ ٤٠٥، ٤٠٦)، ومسلم (١٤٩٧) والترمذي (٢/ ١٤٨).

(٧٣) رواه البخاري (٨/ ٣٤٠) ومسلم (١٤٩٢) وابن ماجه (٢٠٦٦) وأحمد (٥/ ٣٣٤) وأبو داود (٢٢٤٥ ـ ٢٢٥٢) والنسائي (٦/ ١٧٠، ١٧١) وابن جرير (١٨/ ٨٥) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني .

غريب الحديث .

الأسحم : الشديد السواد : خدلج الساقين عظيمهما. الوحرة : دويبة شبه الوزغة تلزق بالأرض جمعها وحَر.

بعد ينسب إلى أمه ، قال سعيد بن جبير : ولقد صار أميراً بمصر وإنه ينسب إلى غير أب .

فإذا قذف الرجل زوجته بالزنىٰ كان له اللعان منها إن شاء ، وإن لم يكن ذلك لقاذف سواه ، لأن الزوج لنفي نسب ليس منه ورفع فراش قد عرّه مضطر إلى لعانها دون غيره ، فإذا أراد ذلك لاعن بينهما حاكم نافذ الحكم في الجامع على المنبر أو عنده ، ويبدأ بالزوج وهي حاضرة فيقول : أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما قذفت به زوجتي هذه من الزنى بفلان إذا ذكره في قذفه ، وإن لم يذكره في لعانه كان لعانه نافذاً . وإن أراد نفي ولدها قال : إن هذا الولد من زنى ما هو مني فإذا أكمل ما وصفنا أعاده أربعاً كما قال الله تعالى :

﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ والشهادة هنا يمين عبر عنها بلفظ الشهادة في قول مالك والشافعي ، وقال أبو حنيفة هي شهادة فرد بها لعان الكافر والمملوك ولو كانت شهادة ما جاز أن تشهد لنفسها وبلعنها ، والعرب تسمي الحلف بالله تعالى شهادة كما قال قيس بن الملوح[(٧٤)] :

وأشهدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أُحِبُّها فهذَا لَهَا عِندي فَمَا عِنْدَها لِيَا

أي أحلف بالله فيما وصفتها من الزنىٰ ، وهو تأويل قوله : ﴿ وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾ فإذا أكمل الخامسة فقد أكمل لعانه ، فتلاعن هي بعده على المنبر أو عنده فتقول وهو حاضر : أشهد بالله أن زوجي فلاناً هذا من الكاذبين فيما رماني به من الزنى وأن هذا ـ إن كان الزوج قد نفى في لعانه ولده منها ـ ما هو من زنى ، تقول كذلك أربعاً . وهو تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي يدفع ، وفي هذا العذاب قولان :

أحدهما : أنه الحد ، وهو مذهب مالك ، والشافعي .

الثاني : أنه الحبس ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ ثم تقول في الخامسة وأن

(٧٤) ديوانه : ٣٠٠ وقصيدة مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا نحس على اللهو ناهيا

عليّ غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به من الزنى وهو تأويل قوله تعالى :

﴿وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ والغضب في لعانها بدلاً من اللعنة في لعان زوجها ، وإذا تم اللعان وقعت الفرقة المؤبدة بينهما ، وبماذا تقع ؟ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : بلعان الزوج وحده وهو مذهب الشافعي .

الثاني : بلعانهما معاً ، وهو مذهب مالك .

الثالث : بلعانهما وتفريق الحاكم بينهما ، وهو مذهب أبي حنيفة .

والرابع : بالطلاق الذي يوقعه الزوج بعد اللعان ، وهو مذهب أحمد بن حنبل ثم حرمت عليه أبداً .

واختلفوا في إحلالها له إن أكذب بعد اللعان نفسه على قولين :

أحدهما : تحل ، وهو مذهب أبي حنيفة .

الثاني : لا تحل ، وهو مذهب مالك والشافعي[٧٥] . وإذا نفى الزوج الولد باللعان لحق بها دونه ، فإن أكذب نفسه لحق به الولد حياً أو ميتاً ، وألحقه أبو حنيفة به في الحياة دون الموت .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ في فضل الله ورحمته هنا وجهان :

أحدهما : أن فضل الله الإسلام ورحمته القرآن ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أن فضل الله منه ، ورحمته نعمته ، قاله السدي .

وفي الكلام محذوف اختلف فيه على قولين :

أحدهما : أن تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بإمهاله حتى تتوبوا لهلكتم .

الثاني : تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيم .

---

(٧٥) وأصح القولين في مذهب أحمد ونقله ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥).

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ فيكون المحذوف على القول الأول الجواب وبعض الشرط ، وعلى الثاني الجواب وحده بعد استيفاء الشرط .

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ ﴾ في الإفك وجهان :

أحدهما : أنه الإثم ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنه الكذب . قال الشاعر :

شهيدٌ على الإفك غَيْرِ الصَّوابِ وما شَاهِدُ الإفكِ كَالْأَحْنَفِ

﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ وهم زعماء الإفك ، حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعبدالله بن أبي بن سلول وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش، وسبب الإفك أن عائشة رضي الله عنها كانت مع رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فضاع عقد لها من جزع أطفار وقد توجهت لحاجتها فعادت في طلبه ودخل رسول الله ﷺ من منزله فَرُفِعَ هودجها ولم يُشْعَرْ بها أنها ليست فيه لخفتها وعادت فلم تر في المنزل أحداً فأدركها صفوان بن المعطل فحملها على راحلته وألحقها برسول الله ﷺ فتكلم فيها وفي صفوان من تكلم وقدمت المدينة وانتشر الإفك وهي لا تعلم به ثم علمت فأخذها من ذلك شيء عظيم إلى أن أنزل الله براءتها بعد سبعة وثلاثين يوماً من قدوم المدينة هذه الآية[٧٦] .

و ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي لا تحسبواْ ما ذكر من الإفك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله قد بَرَّأ منه وأبان عليه .

وفي المراد بهذا القول قولان :

أحدهما : أن المقصود به عائشة وصفوان لأنهما قصدا بالإفك ، قاله يحيى ابن سلام .

---

(٧٦) وقصة الإفك رواها البخاري (١٩٨/٥) (٣٣٣/٧ ، ٣٣٥) (٣٤٣/٨ ، ٣٦٧) مسلم (٢٧٧٠) والترمذي (٣١٧٩) وابن هشام (٢٩٧/٢ ، ٢٠٧).

الثاني : أن المقصود بـه النبي ﷺ وأبو بكـر وعائشـة رضي الله عنهما ، قـاله ابن شجرة .

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ ﴾ أي لـه عقـاب مـا اكتسب من الإثم بقدر إثمه .

﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية قـرىء بكسر الكـاف وضمها ، وفي الفـرق بينهما وجهان :

أحدهما : أن كبره بالضم معظمه وبالكسر مأثمه .

الثاني : أنه بالضم في النسب وبالكسر في النفس .

وفي متولي كبره قولان :

أحدهما : أنه عبد الله بن أبيّ ، والعذاب العظيم جهنم ، وهـذا قول عـائشة وعروة بن الزبير وابن المسيب .

الثاني : أنه مسطح(*) بن أثاثة ، والعذاب العظيم ذهاب بصـره في الدنيـا : حكاه يحيى بن سلام .

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ هلا إذ سمعتم الإفك .

﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ظن بعضهم ببعض خيراً كما يظنون بأنفسهم .

الثاني : ظنواْ بعائشة عفافاً كظنهم بأنفسهم .

﴿ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ أي كذب بيِّن .

قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيهِ ﴾ أي هلا جاءُوا عليه لو كانوا صادقين .

(*) في الأصل مسطى وهو تحريف .

﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يشهدون بما قالوه .

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ الآية . .

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون وعيداً بما له عند الله من العقاب .

الثاني : أريد به تكذيب المؤمنين الذين يصدقون ما أنزل الله من كتاب .

واختلف هل حد النبي ﷺ أصحاب الإفك على قولين :

أحدهما : أنه لم يحدّ أحداً منهم لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة ولم يتعبدنا الله أن نقيمها بإخباره عنها كما لم يتعبدنا بقتل المنافقين وإن أخبر بكفرهم .

والقول الثاني : أن النبي ﷺ(٧٧) حد في الإفك حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة رواه عروة بن الزبير وابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها فقال بعض شعراء المسلمين :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنةُ إذ قالا هجيراً ومسطح

---

(٧٧) قال العلامة الألوسي (١٨ / ١١٦) « وفي البحر أنه حد حسان ومسطح وحمنة وقد أخرج البزار وابن مردويه بسند حسن عن أبي هريرة وقد جاء ذلك في أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة لابن إسحاق وهي . . . . ثم سرد الأبيات التي هنا.

وابن سلول ذاق في الحدّ خزيه ... كما خاض في إفك من القول يفصح

تعاطوْا برجم الغيب زوج نبيّهم ... وسخطة ذي العرش العظيم فأبرحوا

وآذوْا رسول اللّه فيها فجللوا ... مخازي تبقى عمموها وفضحواْ

فصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

حكى مسروق أن حسان استأذن على عائشة فقلت أتأذنين له فقالت : أو ليس قد أصابه عذاب عظيم . فمن ذهب إلى أنهم حدوا زعم أنها أرادت بالعذاب العظيم الحد ، ومن ذهب إلى أنهم لم يحدّوا زعم أنها أرادت بالعذاب العظيم ذهاب بصره ، قاله سفيان . قال حسان بن ثابت(٧٨) يعتذر من الإفك :

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُوم الغَوافِلِ

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد بُلِّغْتُم ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أنامِلِي

فكيفَ ووُدِّي ما حَيِيتُ ونُصْرَتِي ... لِآلِ رسُولِ اللّهِ زَينِ المَحَافِلِ

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر .

الثاني : أن يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره . وحكى ابن أبي مليكة أنه سمع عائشة تقرأ إذ تلِقونه(٧٩) بكسر اللام مخففة وفي تأويل هذه القراءة وجهان :

أحدهما : ترددونه ، قاله اليزيدي .

الثاني : تسرعون في الكذب وغيره ، ومنه قول الراجز(٨٠) :

.... جَاءَتْ بِه عنسٌ من الشأمِ تَلِقْ

أي تسرع

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ

(٧٨) الأبيات في ديوان حسان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٧٩) وهي قراءة مجاهد وأبي حيوة، زاد المسير (٦/ ٢١).

(٨٠) الطبري (١٨/ ٩٨)، اللسان (ولق) القرطبي (١٢/ ٢٠٤).

بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : خطايا الشيطان ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : آثاره ، قاله ابن شجرة .

الثالث : هو تخطي الشيطان الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : هو النذور في المعاصي ، قاله أبو مجلز .

ويحتمل خامساً : أن تكون خطوات الشيطان الانتقال من معصية إلى أخرى مأخوذ من نقل القدم بالخطو من مكان إلى مكان .

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ وقرىء ولا يتأل(٨١) وفي اختلاف القراءتين وجهان :

أحدهما : أن معناهما متقارب واحد وفيه وجهان :

أحدهما : أي لا يقتصر مأخوذ من قولهم لا ألوت أي لا قصرت ، قاله ابن بحر .

(٨١) وهي قراءة الحسن وأبي العالية وأبي جعفر وابن أبي عبلة، زاد المسير (٦/ ٢٤).

الثاني : لا يحلف مأخوذ من الألية وهي اليمين .

ـ والقول الثاني : معناهما مختلف فمعنى يأتل أي يألو أو يقصر ، ومعنى يتأل أي يحلف .

﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يحلفوا ألاّ يبروّا هؤلاء ، وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة فلما خاض في الإفك ونشره حلف أبو بكر ألا يبره وكان ابن خالته فنهاه الله عن يمينه وندبه إلى بره مع إساءته . وهذا معنى لا يألو جهداً فالمنهى عنه فيها التوقف عن بر من أساء وأن نقابله بالتعطف والإغضاء . فقال :

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ ﴾ وفيها وجهان :

أحدهما : أن العفو عن الأفعال والصفح عن الأقوال .

الثاني : أن العفو ستر الذنب من غير مؤاخذة والصفح الإغضاء عن المكروه .

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُم ﴾ أي كما تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم فاغفروا لمن أساء إليكم ، فلما سمع أبو بكر هذا قال : بلى يا رب[٨٢] وعاد إلى برّه وكفّر عن يمينه .

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء ، قاله ابن زيد .

الثاني : الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس

(٨٢) انظر إلى مسارعة الصديق رضي الله عنه لتنفيذ أمر الله تعالى

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالرجال فلاح

للخبيثات من الأعمال والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال قاله مجاهد وقتادة .

الثالث : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام قاله ابن عباس والضحاك . وتأول بعض أصحاب الخواطر(٨٣): الخبيثات الدنيا ، والطيبات الآخرة .

﴿ **أُوْلَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن عائشة وصفوان مبرآن من الإفك المذكور فيهما ، قاله الفراء .

الثاني : أن أزواج النبي ﷺ مبرآت من الفواحش ، قاله ابن عيسىٰ .

الثالث : أن الطيبين والطيبات مبرؤون من الخبيثين والخبيثات ، قاله ابن شجرة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ **لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : حتى تستأذنوا . واختلف من قال بهذا التأويل فقال ابن عباس(٨٤): أخطأ الكاتب فيه فكتب تستأنسوا وكان يقرأ : حتى تستأذنوا . وقال غيره : لأن

---

(٨٣) ولا دليل على هذا التأويل .

(٨٤) وثبوت هذا عن ابن عباس محل خلاف بينهم فراجع ما كتبه العلامة الآلوسي حول هذا الاثر (١٨/٣٣/١٣٤٤) .

الاستئذان مؤنس فعبر عنه بالاستئناس ، وليس فيه خطأ من كاتب ولا قارىء .

الثـاني : معناه حتى تؤنسـوا أهل البيت بـالتنحنح فيعلمـوا بقدومكم عليهم ، قاله مجاهد .

الثالث : أن تستأنسوا يعني أن تعلموا فيها أحداً استـأذنوه فتسلمـوا عليه ومنـه قوله تعالى : ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ [النساء: ٦] أي علمتم، قاله ابن قتيبة. وقال ابن الأعرابي الإستئناس الاستمار، والإيناس اليقين. والإذن يكون بالقول والإشارة فإن جاهـر فسؤال ، فقد روى قتـادة عن أبي هريـرة قال : قـال رسول الله ﷺ[٨٥] : « رَسُولُ الرَّجُلِ إِذْنُهُ فَإِنِ اسْتَأْذَنَ ثَلَاثاً وَلَمْ يُؤْذَنْ له ولَّى فلم يُراجِعْ فِي الاسْتِئْذَانِ » .

روى الحسن البصري أن [أبا موسى] الأشعري استـأذن على عـمـــر[٨٦] رضي الله عنه ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع فأرسل إليه عمر فقال : ما ردّك ؟ فقـال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اسْتَأْذَنَ ثلاثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِع » فقال عمر : لتجيئني على بينـة أو لأجعلنك نكـالاً فأتى طلحـة فشهد لـه قال الحسن : الأولى إذنٌ ، والثـانية مؤامرة ، والثالثة : عزمة ، إن شاءواْ أذنوا وإن شاءوا ردوا .

ولا يستأذن وهو مستقبل الباب إن كان مفتوحاً ، وإن أذن لأول القوم فقـد أذن

---

(٨٥) ولفظ الحديث «رسول الرجل إلى الرجل إذن» وفي لفظ «إذا دعي أحدكم إلى الطعام ثم جاء معه الرسول فإن ذلك إذن له » .

والحـديث رواه أبو داود (٥١٨٩) (٥١٩٠) والبخـاري في الأدب (١٠٧٥) قال أبـو داود لم يسمع قتادة من أبي رافع شيئاً كذا في روايـة اللؤلؤي للسنة وفي روايـة أبي الحسن بن العبد يقـال لم يسمع قتادة من أبي رافع شيئاً. قال الحافظ في الفتح (٢٧/١١) كذا قال وقد ثبت سماعـه منه في الحـديث الذي سيأتي في البخاري في كتاب التوحيد من رواية سليمان التيمي عن قتادة أن أبا رفع حدثه والحـديث مع ذلك متابع فقد أخرجه البخاري في الأدب (١٠٧٦) وأبـو داود(٥١٨٩)من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة وإسناده صحيح صححه الارناؤط في تخريج زاد المعاد (٤٣٢/٢) وله شاهد مـوقوف من حديث ابن مسعود رواه البخاري في الأدب (١٠٧٤) وإسناده قوي .

تنبيه :قول المؤلف هنا روى قتادة عن أبي هريرة لعله حدث سقط من الناسـخ فإن قتـادة رواه عن ابن رافـع عن ابي هريرة كما سبق والحديث رواه البخاري معلقاً (٢٧/١١) .

(٨٦) رواه البخاري (٢٣/١١ ومسلم (٢١٥٣) وأبو داود (٥١٨٠) واالترمذي (٢٦٩١) وقد رواه البيهقي في كتاب الآداب رقم ٢٧٥ بتحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا راجع ما كتب حول تخريجه هناك .

لآخرهم ، ولا يقعدوا على الباب بعد الرد فإن للناس حاجات .

﴿ **وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا** ﴾ والسلام ندب والاستئذان حتم . وفي السلام قولان :

أحدهما : أنه مسنون بعد الإذن على ما تضمنته الآية من تقديم الإذن عليه .

الثاني : مسنون قبل الإذن وإن تأخر في التلاوة فهو مقدم في الحكم وتقدير الكلام حتى تسلموا وتستأذنوا لما روى محمد بن سيرين(٨٧) أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فقال : أأدخل؟ فقال النبي ﷺ لرجل عنده : « **قُمْ فَعَلِّمْ هٰذَا كَيْفَ يَسْتَأْذِنُ فَإِنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ** » فسمعها الرجل فسلم واستأذن .

وأولى من إطلاق هذين القولين أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولىٰ تقديم السلام ، وإن لم تقع العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم الاستئذان على السلام .

فأما الاستئذان على منازل الأهل فإن كانوا غير ذي محارم لزم الإستئذان عليهم كالأجانب وإن كانوا ذوي محارم وكان المنزل مشتركاً هو فيه وهم ساكنون لزم في دخوله إنذارهم إما بوطءٍ . أو نحنحة مفهمة إلا الزوجة فلا يلزم ذلك في حقها بحال لارتفاع العورة بينهما . وإن لم يكن المنزل مشتركاً ففي الاستئذان عليهم وجهان :

أحدهما : أنها النحنحة والحركة .

الثاني : القول كالأجانب . روىٰ صفوان عن عطاء بن يسار(٨٨) أن رجلاً قال للنبي ﷺ : «أستأذن على أمي»؟ فقال : « **نعم** » ، فقال إني أخدمها فقال : « **استأذن عليها** » فعاوده ثلاثاً : فقال : « **أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً** » ؟ قال : لا قال : « **فَاسْتَأْذِنْ عَلَيهَا** » .

قوله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَداً** ﴾ يعني يأذن لكم .

---

(٨٧) راجع الدر (٦/١٧٣) فقد أورد أحاديث كثيرة موقوفة وأما مرسل ابن سيرين فقد ورد موصولاً رواه أبو داود (٥١٧٧) والبيهقي في الآداب رقم ٣٧٤ وصححه النووي في رياض الصالحين ص ٣٨١ .

(٨٨) رواه الطبري (١٨/١١١ ـ ١١٢) .

﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُم ﴾ ولا يجوز التطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقاً لقول النبي ﷺ[٨٩] : « إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ لِأَجْلِ البَصَرِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحاً فَيَجُوزُ إِذَا كَانَ خَارِجاً أَنْ يَنْظُرَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ بالفتح قَدْ أَبَاحَ النَّظَرَ »

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ وهنا ينظر فإن كان بعد الدخول عن إذن لزم الانصراف وحرم اللبث ، وإن كان قبل الدخول فهو رد الإذن ومنع من الدخول . ولا يلزمه الانصراف عن موقفه من الطريق إلا أن يكون فناء الباب المانع فيكفي عنه ، قال قتادة : لا تقعد على باب قوم ردوك فإن للناس حاجات .

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها الخانات المشتركة ذوات البيوت المسكونة ، قاله محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

الثاني : أنها حوانيت التجار، قاله الشعبي .

الثالث : أنها منازل الأسفار ومناخات الرجال التي يرتفق بها مارة الطريق في أسفارهم ، قاله مجاهد .

الرابع : أنها الخرابات العاطلات ، قاله قتادة .

الخامس : أنها بيوت مكة ، ويشبه أن يكون قول مالك .

﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عروض الأموال التي هي متاع التجار ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها الخلاء والبول سمي متاعاً لأنه إمتاع لهم ، قاله عطاء .

الثالث : أنه المنافع كلها ، قاله قتادة ، فلا يلزم الاستئذان في هذه المنازل

---

(٨٩) الحديث إلى قوله « من أجل البصر » رواه البخاري (١١/٢٠، ٢١) ومسلم (٢١٥٦) والترمذي (٢٧١٠) والنسائي (٨/ ٢٦٠، ٦١٢) وأحمد (٥/ ٣٣٠، ٣٣٥) وحديث سهل بن سعد « أما الزيادة التي أوردها المؤلف هنا فلم اعثر على تخريج الحديث والله أعلم .

كلها . قال الشعبي : حوانيت التجار إذنهم أنهم جاءوا ببيوتهم فجعلوها فيها وقالوا للناس : هَلُمّ .

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ وفي ﴿ مِنْ ﴾ في هذا الموضع ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها صلة وزائدة وتقدير الكلام : قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم ، قاله السدي .

الثاني : أنها مستعملة في مضمر وتقديره : يغضوا أبصارهم عما لا يحل من النظر ، وهذا قول قتادة .

الثالث : أنها مستعملة في المظهر ، لأن غض البصر عن الحلال لا يلزم وإنما يلزم غضها عن الحرام فلذلك دخل حرف التبعيض في غض الأبصار فقال : من أبصارهم ، قاله ابن شجرة .

ويحرم من النظر ما قصد ، ولا تحرم النظرة الأولى الواقعة سهواً . روى الحسن البصري قال : قال[٩٠] رسول الله ﷺ : « **ابنُ آدَمَ لَكَ النَّظْرَةُ الأُولَىٰ وَعَلَيكَ الثَّانِيَة** » .

﴿ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يعني بحفظ الفرج عفافه ، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح ولذلك لم يدخل فيه حرف التبعيض كما دخل في غض البصر .

---

(٩٠) ومرسل الحسن هذا لم أعثر عليه ولكن رأيته في الزهد للإمام أحمد بلفظ كانوا يقولون ابن آدم النظرة الأولى تعذر فيها فما بال الآخرة .

ومرسلات الحسن عن العلماء شبه الريح كما قالوا ويغني عن هذا المرسل ما رواه أبو داود (٢٤١٩) والترمذي (٢٧٧٧) .عن بريدة قال، قال رسول الله ﷺ «لعلي» لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦/٢٩٩) .وأحمد (٥/٣٥١، ٣٥٣ ، ٣٥٧) والدارمي (٢/٣٧٦).

الثاني : قاله أبو العالية الرياحي المراد بحفظ الفروج في هذا الموضع سترها عن الأبصار حتى لا ترى ، وكل موضع في القرآن ذكر فيه الفرج فالمراد به الزنى إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر ، وسميت فروجاً لأنها منافذ الأجواف ومسالك الخارجات .

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١)

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .... ﴾ والزينة ما أدخلته المرأة على بدنها حتى زانها وحسنها في العيون كالحلي والثياب والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال الشاعر [٩١] :

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن غير عواطل

والزينة زينتان : ظاهرة وباطنة [٩٢] ، فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل :

---

(٩١) فتح القدير (٤/٢٣) .

(٩٢) وكذلك الزينة قرينتان زينة مكتسبة وخلقية ، فالخلقية ما كانت من أصل الخلقة والمكتسبة ما كانت من حلي وثياب فالأولى لا يجوز إبداؤها للأجانب إلا عند الضرورة كالتطبيب والشهادة وغيرها . والثانية يجوز إبداؤها لتعذر إخفائها أثناء الخروج في الطرقات وأدلة هذا القول كثيرة راجع المطولات في ذلك كالصارم المشهور للتويجري والحجاب لمحمد صالح العثيمين وفقه النظر والإسلام لمحمد أديب كلكل وغيرها كثير .

أحدها : أنها الثياب ، قاله ابن مسعود[٩٣] .

الثاني : الكحل والخاتم ، قاله ابن عباس[٩٤] ، والمسور بن مخرمة .

الثالث : الوجه والكفان ، قاله الحسن ، وابن جبير ، وعطاء .

وأما الباطنة فقال ابن مسعود : القرط[*] والقلادة[*] والدملج[*] والخلخال[*] ، واختلف في السوار فروي عن عائشة أنه من الزينة الظاهرة ، وقال غيرها هو من الباطنة ، وهو أشبه لتجاوزه الكفين . فأما الخضاب فإن كان في الكفين فهو من الزينة الظاهرة ، وإن كان في القدمين فهو من الباطنة ، وهذه الزينة الباطنة يجب سترها عن الأجانب ويحرم عليهم تعمد النظر إليها فأما ذوو المحارم فالزوج منهم يجوز له النظر والالتذاذ ، وغيره من الآباء والأبناء والإخوة يجوز لهم النظر ويحرم عليهم الالتذاذ .

روى الحسن والحسين رضي الله عنهما [أنهما] كانا يدخلان على أختهما أم كلثوم وهي تمتشط .

وتأول بعض أصحاب الخواطر هذه الزينة بتأويلين :

أحدهما : أنها الدنيا فلا يتظاهر بما أوتي منها ولا يتفاخر إلا بما ظهر منها ولم ينستر .

الثاني : أنها الطاعة لا يتظاهر بها رياءً إلا ما ظهر منها ولم ينكتم ، وهما بعيدان .

---

(٩٣) رواه الطبري (١٨/ ١١٩) وإسناده صحيح غاية في الصحة كما قال الشيخ السندي في رسالته الحجاب ص ٧٢ .

(٩٤) رواه الطبري (٢٢/ ٤٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٦٥٩) لابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي وإسناده منقطع لأنه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يدرك الأول الثاني ولكن هذه الرواية احتج بها أهل العلم كالبخاري فقد شحن بها كتاب التفسير وكذا القرطبي وابن كثير والقاسمي في محاسن التأويل راجع رسالة الحجاب لعبد القادر السندي ص ٧٤ .

(*) القرط هو ما تعلقه المرأة من الزينة في أسفل الأذن .

(*) القلادة : ما أحاط بالعنق من الحلي.

(*) الدملج : الحجر الأملس والمِعْضَدُ من الحُلِيّ.

(*) الخلخال : سوار من الحلي تجعله المرأة في ساقها .

﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ الخمر(*) المقانع أمِرن بإلقائها على صدورهن تغطية لنحورهن فقد كن يلقينها على ظهورهن بادية نحورهن ، وقيل : كانت قمصهن مفروجة الجيوب كالدرعة يبدو منها صدورهن فأمرن بإلقاء الخمر لسترها . وكني عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها .

ثم قال : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ يعني الزينة الباطنة إبداؤها للزوج استدعاءِ لميله وتحريكاً لشهوته ولذلك لعن(٩٥) رسول الله ﷺ السلتاء والمرهاء فالسلتاء التي لا تختضب ، والمرهاء التي لا تكتحل تفعل ذلك لانصراف شهوة الزوج عنها فأمرها بذلك استدعاء لشهوته ، ولعن ﷺ(٩٦) المفشلة والمسوفة ، المسوفة التي إذا دعاها للمباشرة قالت سوف أفعل ، والمفشلة التي إذا دعاها قالت إنها حائض وهي غير حائض ، وروي عن النبي(٩٧) ﷺ قال : « **لُعِنَتِ الغَائِصَةُ وَالمُغَوِّصَةُ** » فالغائصة التي لا تعلم زوجها بحيضها حتى يصيبها ، والمغوصة التي تدعى أنها حائض ليمتنع زوجها من إصابتها وليست بحائض .

(*) الخمر: قال الحافظ ابن حجر في كتاب الأشربة أثناء تعريف الخمر : ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها اهـ.

وقال في حديث عائشة يرحم الله نساء المهاجرات . . . . الحديث وفيه شققن مروطهن فاختمرن بها قال قوله فاختمرن بها ، أي غطين وجوههن . . وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع .

ـ المقانع : جمع مقنعة : وهي ما تغطي به المرأة رأسها ومحاسنها كما في القاموس وشرحه .

(٩٥) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

(٩٦) رواه أبو يعلى كما في المطالب (٢/ ٢٧) والديلمي كما في فردوس الأخبار (٣/٥١٨) من حديث أبي هريرة وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٩٧) فيه يحيى بن العلاء وهو ضعيف متروك ا هـ.

وضعفه البوصيري كما نقله محقق المطالب وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٢٧٢) وأقول بل قال الذهبي قال أحمد (أي ابن حنبل) كذاب أي (يحيى بن العلاء) يضع ذكره في الضعفاء ا هـ. وقد رمز السيوطي له بالضعف .

تنبيه: وقع هنا وفي المطولة المفشلة «بالشين المعجمة » وهو خطأ والصواب المفسِّلة بضم الميم وتشديد السين والتصويب من فيض القدير (٢/ ٢٧٢) والمطالب .

وقد ورد حديث مستقل يلعن المسوفات من حديث ابن عمر مرفوعاً وسنده ضعيف راجع المجمع (٤/ ٢٩٦) وفيض القدير (٥/ ٢٧٢) .

(٩٧) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم .

واختلف أصحابنا[٩٨] في تعمد كل واحد من الزوجين النظر إلى فرج صاحبه تلذذاً به على وجهين :

أحدهما : يجوز كما[٩٩] يجوز الاستمتاع به لقوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾[البقرة: ١٨٧] .

الثاني : لا يجوز لما روي عن النبي ﷺ أنه قال[١٠٠]: « لَعَنَ اللَّهُ النَّاظِرَ وَالمَنْظُورَ إِلَيهِ » .

فأما ما سوى الفرجين منهما فيجوز لكل واحدٍ منهما أن يتعمد النظر إليه من صاحبه وكذلك الأمة مع سيدها .

﴿ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ وهؤلاء كلهم ذوو محارم بما ذكر من الأسباب والأنساب يجوز أبداً نظر الزينة الباطنة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ، ويجوز تعمد النظر من غير تلذذ .

---

(٩٨) أي من الشافعية لأن الماوردي رحمه الله شافعي المذهب من الفروع .

(٩٩) ويؤيد القول بالجواز وهو الراجح :

ما رواه البخاري (١/ ٩٤٠) وترجم له « باب غسل الرجل مع امرأته من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه فيبادرني حتى أقول دع لي دع لي قالت وهما جنبان .

وقال الحافظ « استدل به [أي بالحديث] الداودي على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته فقال سألت عطاء فقال سألت عائشة فذكرت هذا الحديث بمعناه وهو نص في المسألة » اهـ.

ويؤيد الجواز أيضاً ما رواه أصحاب السنن إلا النسائي فقد رواه في العشرة ترجم عليه « نظر المرأة إلى عورة زوجها» من حديث .

ولفظه « احفظ عورتك إلا من امرأتك أو ما ملكت يمينك » . . . الحديث .

قال الألباني في رسالته أداب الزفاف ص ٣٥ نقلاً عن ابن عروة الحنبلي في كتابه المخطوط الكواكب الدراري « ومباح لكل واحد من الزوجين النظر إلى جميع بدن صاحبه ولمسه حتى الفرج لهذا الحديث ولأن الفرج يحل له الاستمتاع به فجاز النظر إليه ولمسه كبقية البدن.

(١٠٠) لم يصح هذا الحديث وما في معناه . وقد ذكر العلامة الألباني على الأحاديث الواردة في النهي فراجعها في آداب الزفاف ص ٣٣، ٣٤، ٣٥ وفي السلسلة الضعيفة ج١ وهذا الحديث رواه البيهقي في السنن (٧/ ٩٩) والديلمي كما في فردوس الأخبار (٣/ ٥١٥) وحكم الألباني عليه بالوضع والحديث من مسند ابن عمر .

والذي يلزم الحرة أن تستر من بدنها مع ذوي محارمها ما بين سرتها وركبتها ، وكذلك يلزم مع النساء كلهن أو يستتر بعضهن من بعض ما بين السرة والركبة وهو معنى قوله :

﴿ أو نِسَآئِهِنَّ ﴾ وفيهن وجهان :

أحدهما : أنهن المسلمات لا يجوز لمسلمة أن تكشف جسدها عند كافرة ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه عام في جميع النساء .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ يعني عبيدهن ، فلا يحل للحرة عبدها ، وإن حل للرجل أمته ، لأن البضع إنما يستحقه مالكه ، وبضع الحرة لا يكون ملكاً لعبدها ، وبضع الأمة ملك لسيدها .

واختلف أصحابنا في تحريم ما بطن من زينة الحرة على عبدها ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها تحل ولا تحرم ، وتكون عورتها معه كعورتها مع ذوي محارمها ، ما بين السرة والركبة لتحريمه عليها ولاستثناء الله تعالى له مع استثنائه من ذوي محارمها وهو مروي عن عائشة وأم سلمة .

والثاني : أنها تحرم ولا تحل وتكون عورتها معه كعورتها مع الرجال والأجانب وهو ما عدا الزينة الظاهرة من جميع البدن إلا الوجه والكفين ، وتأول قائل هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ على الإماء دون العبيد ، وتأوله كذلك سعيد بن المسيب[١٠١] ، وعطاء ، ومجاهد .

والثالث : أنه يجوز أن ينظر إليها فضلاء ، كما تكون المرأة في ثياب بيتها بارزة الذراعين والساقين والعنق اعتباراً بالعرف والعادة ، ورفعاً لما سبق ، وهو قول عبد الله بن عباس ، وأما غير عبدها فكالحر معها ، وإن كان عبداً لزوجها وأمها .

---

(١٠١) وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ورجحه كثير من الشافعية كما نقله الألوسي في روح المعاني (١٨/ ١٤٤) وقال « والذي يقتضيه ظاهر الآية عدم الفرق بين الذكر والأنثى لعموم (ما) ولأنه لو كان المراد بالإناث خاصة لقيل أو إمائهن فإنه أخصر وأنص في المقصود . . . الخ .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ فيه ثمانية أوجه :

أحدها : أنه الصغير لأنه لا إرب له في النساء لصغره ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : أنه العنين لأنه لا إرب له في النساء لعجزه ، وهذا قول عكرمة ، والشعبي .

والثالث : أنه الأبله المعتوه لأنه لا إرب له في النساء لجهالته ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وعطاء .

والرابع : أنه المجبوب لفقد إربه ، وهذا قول مأثور .

والخامس : أنه الشيخ الهرم لذهاب إربه ، وهذا قول يزيد بن حبيب .

والسادس : أنه الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل ، وهذا قول قتادة .

والسابع : أنه المستطعم الذي لا يهمه إلا بطنه ، وهذا قول مجاهد .

والثامن : أنه تابع القوم يخدمهم بطعام بطنه ، فهو مصروف لا لشهوة ، وهو قول الحسن .

وفيما أخذت منه الإربة قولان :

أحدهما : أنها مأخوذة من العقل من قولهم رجل أريب إذا كان عاقلاً .

والثاني : أنها مأخوذة من الأرب وهو الحاجة ، قاله قطرب .

ثم أقول : إن الصغير والكبير والمجبوب من هذه التأويلات المذكورة في وجوب ستر الزينة الباطنة منهم ، وإباحة ما ظهر منها معهم كغيرهم ، فأما الصغير فإن لم يظهر على عورات النساء ولم يميز من أحوالهن شيئاً فلا عورة للمرأة معه .

[فإن كان مميزاً غير بالغ](*) لزم أن تستر المرأة منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان :

أحدهما : لا يلزم لأن القلم غير جار عليه والتكليف له غير لازم .

والثاني : يلزم كالرجل لأنه قد يشتهي ويشتهى .

(*) هنا عبارة مطموسة بالأصل.

وفي معنى قوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الأول : لعدم شهوتهم .

والثاني : لم يعرفوا عورات النساء لعدم تمييزهم(١٠٢).

والثالث : لم يطيقوا جماع النساء .

وأما الشيخ فإن بقيت فيه شهوة فهو كالشباب ، فإن فقدها ففيه وجهان :

أحدهما : أن الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة .

والثاني : أنها معه محرمة وجميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة ، استدامة لحاله المتقدمة .

وأما المجبوب والخصي ففيهما لأصحابنا ثلاثة أوجه :

أحدها : استباحة الزينة الباطنة معهما .

والثاني : تحريمها عليهما .

والثالث : إباحتها للمجبوب وتحريمها على الخصي .

والعورة إنما سميت بذلك لقبح ظهورها وغض البصر عنها ، مأخوذ من عور العين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ قال قتادة : كانت المرأة إذا مشت تضرب برجلها ليسمع(١٠٣) قعقعة خلخالها ، فنهين عن ذلك .

---

(١٠٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٢٨٥) «قوله﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال : يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله فأما إذا كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدركه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إياكم والدخول على النساء** » قال يا رسول الله أفرأيت الحمو قال: «الحمو الموت».

(١٠٣) وإذا كانت الشريعة قد نهت المرأة عن الضرب بالخلخال في الأرض حتى لا يسمع الأجنبي صوتها فيفتن أفيجوز لقائل أن يقول إن الشريعة أجازت للمرأة كشف الوجه واليدين أمام الرجال بلا عذر ، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اعصمنا من الزلل ومن مضلات الفتنة .

ويحتمل فعلهن ذلك أمرين : فإما أن يفعلن ذلك فرحاً بزينتهن ومرحاً وإما تعرضاً للرجال وتبرجاً ، فإن كان الثاني فالمنع منه حتم ، وإن كان الأول فالمنع منه ندب .

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

قوله تعالى : ﴿ **وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ** ﴾ وهو جمع أيّم ، وفي الأيم قولان :

أحدهما : أنها المتوفى عنها زوجها ، قاله محمد بن الحسن .

الثاني : أنها التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً وهو قول الجمهور . يقال رجل أيّم إذا لم تكن له زوجة وامرأة أيّم إذا لم يكن لها زوج . ومنه ما روي[١٠٤] عن النبي ﷺ أنه نهى عن الأيمة يعني العزبة قال الشاعر[١٠٥] :

فَإِن تَنْكِحِي أَنكِحْ وإن تَتَأَيَّمِي ... وإن كُنْتَ أَفْتَى مِنكُم أَتَأَيَّمُ

وروى القاسم قال : أمر بقتل الأيم يعني الحية .

وفي هذا الخطاب قولان :

أحدهما : أنه خطاب للأولياء أن ينكحوا آيامهم من أكفائهن إذا دعون إليه

---

(١٠٤) لم أهتد إليه بهذا اللفظ والمشهور في الحديث «نهي عن التبتل» رواه الترمذي (١٠٨٢) وغيره وهو نفس معنى الحديث الذي هنا .

(١٠٥) اللسان (أيم) والشطر الثاني فيه « يدا الدهر ما لم تنكحي أتأيم » والطبري (١٨ / ١٢٦) .

لأنه خطاب خرج مخرج الأمر الحتم فلذلك يوجه إلى الولي دون الزوج .

الثاني : أنه خطاب للأزواج أن يتزوجوا الأيامىٰ عند الحاجة .

واختلف في وجوبه[١٠٦] فذهب أهل الظاهر إليه تمسكاً بظاهر الأمر ، وذهب جمهور الفقهاء إلى استحبابه للمحتاج من غير إيجاب وكراهته لغير المحتاج .

ثم قال : ﴿ وَٱلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن معنى الكلام وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من رجالكم وأنكحوا إماءَكم .

الثاني : وهو الأظهر أنه أمر بإنكاح العبيد والإماء كما أمرنا بإنكاح الأيامىٰ لاستحقاق السيد لولاية عبده وأمته فإن دعت الأمة سيدها أن يتزوجها لم يلزمه لأنها فراش له ، وإن أراد تزويجها كان له خيراً وإن لم يختره ليكتسب رق ولدها ويسقط عنه نفقتها .

وإن أراد السيد تزويج عبده أو طلب العبد ذلك من سيده فهل للداعي إليه أن يجبر الممتنع فيهما عليه أم لا ؟ على قولين :

﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنهم الله به عن السفاح .

الثاني : إن يكونوا فقراء إلى المال يغنهم الله إما بقناعة الصالحين، وإما باجتماع الرزقين، وروىٰ عبد العزيز[١٠٧] بن أبي رواد أن النبي ﷺ قال : « ٱطْلُبُواْ الغِنَىٰ فِي هٰذِهِ الآية » ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ .

﴿ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : واسع العطاء عليم بالمصلحة .

---

(١٠٦) يعني وجوب النكاح وقد ذهب البعض إلى وجوبه لمن خاف على نفسه الزنى ولعلهم لا يختلفون في وجود هذه الصورة كما قال الشوكاني في فتح القدير (٢٨/٤) .

(١٠٧) هذا الحديث الذي أورده المؤلف لم أظفر به ولكن ورد هذا المعنى موقوفاً من كلام ابن عباس رواه الطبري (١٢٥/١٨)وفي المسند وغيره بسند حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً . . ثلاث حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله . .

الثاني : واسع الرزق عليهم بالخلق .

قوله تعالىٰ : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾ أي وليعف ، والعفة في العرف الامتناع من كل فاحشة ، قال رؤبة :

يعف عن أسرارها بعد الفسق .

يعني عن الزنى بها .

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾ يعني لا يقدرون عليه مع الحاجة إليه لإعسار إما بصداقٍ أو نفقة .

﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يغنيهم الله عنه بقلة الرغبة فيه .

الثاني : يغني بمال حلال يتزوجون به .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أما الكتاب المبتغى هنا فهو كتابة العبد والأمة على مال إذا أدياه عتقا به وكانا قبله مالكين للكسب ليؤدي في العتق ، فإن تراضى السيد والعبد عليها جاز ، وإن دعا السيد إليها لم يجبر العبد عليها .

وإن دعا العبد إليها ففي إجبار السيد عليها إذ علم فيه خيراً مذهبان :

أحدهما : وهو قول عطاء ، وداود ، يجب على السيد مكاتبته ويجبر إن أبىٰ .

الثاني : وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وجمهور الفقهاء أنه يستحب له ولا يجبر عليه فإذا انعقدت الكتابة لزمت من جهة السيد وكان المكاتب فيها مخيراً بين المقام والفسخ .

﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : أن الخير : القدرة على الاحتراف والكسب ، قاله ابن عمر وابن عباس .

الثاني : أن الخير : المال ، قاله عطاء ومجاهد .

الثالث : أنه الدين والأمانة ، قاله الحسن .

الرابع : أنه الوفاء والصدق ، قاله قتادة وطاووس .

الخامس : أنه الكسب والأمانة ، قاله الشافعي .

﴿ وءَآتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني من مال الزكاة من سهم الرقاب يعطاه المكاتب ليستعين به في أداء ما عليه للسيد . ولا يكره للسيد أخذه وإن كان غنياً ، قاله الحسن ، وإبراهيم وابن زيد .

الثاني : من مال المكاتبة معونة من السيد لمكاتبه كما أعانه غيره من الزكاة .

واختلف من ذهب إلى هذا التأويل في وجوبه فذهب أبو حنيفة إلى أنه مستحب وليس بواجب ، وذهب الشافعي إلى وجوبه وبه قال عمر وعلي وابن عباس .

واختلف من قال بوجوبه في هذا التأويل في تقديره فحكي عن علي أنه قدره بالربع من مال الكتابة ، وذهب الشافعي إلى أنه غير مقدر ، وبه قال ابن عباس .

وإن امتنع السيد منه طوعاً قضى الحاكم به عليه جبراً واجتهد رأيه في قدره ، وحكم به في تركته إن مات ، وحاص به الغرماء إن أفلس .

والمكاتب عبد ما بقي عليه[١٠٨] درهم في قول الشافعي وأصحابه. وإذا عجز عن أداء نجم[١٠٩] عند محله كان السيد بالخيار بين إنظاره وتعجيزه وإعادته رقاً، ولا يرد ما أخذه منه أو من زكاة أعين بها أو مال كسبه .

قال الكلبي وسبب نزول قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُم فِيهِمْ خَيْراً ﴾ الآية ؛ أن عبداً اسمه صبح لحويطب بن عبد العزى سأله أن يكاتبه فامتنع حويطب فأنزل الله ذلك فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ الفتيات

---

(١٠٨) ويؤيده ما رواه أبو داود (٣٩٢٦) والبيهقي (١٠/٣٢٤) من حديث ابن عمرو وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٧٢٢ والإرواء ١٦٧٤ .

ولفظه: المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابة درهم .

(١٠٩) أي قسط من المال من الأقساط التي اصطلح مع سيده على أدائها مقابل الحرية .

الإماء ، البغاء الـزنى . والتحصن التعفف . ولا يجوز أن يكـرهها ولا يمكنهـا سواء أرادت تعففاً أو لم تُرِدْ .

وفي ذكر الإكراه هنا وجهان :

أحـدهما : لأن الإكـراه لا يصح إلا فيمن أراد التعفف ، ومن لم يـرد التعفف فهو مسارع إلى الزنىٰ غير مكره عليه .

الثـاني : أنـه وارد على سبب فخـرج النهي على صفـة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه ، وهذا ما روى جابـر بن عبد الله(١١٠) أن عبد الله بن أبي بن سلول كانت لـه أمة يقـال لها مسيكـة وكان يكـرهها على الـزنىٰ فزنت ببُـرْدٍ فأعـطته إيـاه فقال : ارجعي فـآزني على آخر فقـالت : لا والله مـا أنـا بـراجعـة وجـاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن سيدي يكـرهني على البغاء فـأنزل الله هـذه الآية ، وكـان مستفيضاً من أفعال الجاهلين طلباً للولد والكسب .

﴿ لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي لتأخذوا أجورهن على الزنىٰ .

﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ ﴾ يعني من السادة .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني للأمة المكـرهة دون السيـد المكره .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١١١) فيه أربعة أقاويل :

---

(١١٠) رواه الطبري (١٨/١٣٢) والنسائي بالسنن الكبرى، كتاب التفسير (رقم ٣٨٥) .

(١١١) النور هنا بمعنى الهادي وليس بمعنى الضوء لأن الضوء لا يستطيع أن يخلق ضوءاً .

أحدها : معناه الله هادي السمٰوات والأرض ، قاله ابن عباس ، وأنس .

الثاني : الله مدبر السموات والأرض ، قاله مجاهد .

الثالث : الله ضياء السمٰوات والأرض ، قاله أُبي .

الرابع : منور السمٰوات والأرض .

فعلى هذا فبما نورهما به ثلاثة أقاويل :

أحدها : الله نور السمٰوات بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء .

الثاني : أنه نور السمٰوات بالهيبة ونور الأرض بالقدرة .

الثالث : نورهما بشمسها وقمرهما ونجومهما ، قاله الحسن ، وأبو العالية .

﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : مثل نور الله ، قاله ابن عباس .

الثاني : مثل نور محمد ﷺ ، قاله ابن شجرة .

الثالث : مثل نور المؤمن ، قاله أُبي .

الرابع : مثل نور القرآن ، قاله سفيان .

فمن قال : مثل نور المؤمن ، يعني في قلب نفسه . ومن قال : مثل نور محمد ، يعني في قلب المؤمن . ومن قال : نور القرآن ، يعني في قلب محمد . ومن قال : نور الله ، ففيه قولان :

أحدهما : في قلب محمد .

الثاني : في قلب المؤمن .

﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن المشكاة كوة لا منفذ لها والمصباح السراج ، قاله كعب الأحبار .

الثاني : المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة ، قاله مجاهد .

الثالث : المشكاة موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأُنبوب، والمصباح الضوء قاله ابن عباس .

الرابع : المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل وهي التي تسمىٰ السلسلة

والمصباح هو القنديل ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً .

الخامس : أن المشكاة صدر المؤمن والمصباح القرآن الذي فيه والزجاجة قلبه ، قاله أُبَي ، قال الكلبي : والمشكاة لفظ حبشي معرب .

﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أن نار المصباح في زجاجة القنديل لأنه فيها أضوأ ، وهو قول الأكثرين .

الثاني : أن المصباح القرآن والإيمان ، والزجاجة قلب المؤمن ، قاله أُبَي .

﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أما الكوكب ففيه قولان :

أحدهما : أنه الزهرة خاصة ، قاله الضحاك .

الثاني : أنه أحد الكواكب المضيئة من غير تعيين ، وهو قول الأكثرين .

وأما درّي ففيه أربع قراءات :

إحداها : دُرِيّ [١١٢] بضم الدال وترك الهمز وهي قراءة نافع وتأويلها أنه مضيء يشبه الدر لضيائه ونقائه .

الثانية : بالضم والهمز وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وتأويلها أنه مضيء .

الثالثة : بكسر الدال وبالهمز وهي قراءة أبي عمرو والكسائي وتأويلها أنه متدافع لأنه بالتدافع يصير منقضاً فيكون أقوىٰ لضوئه مأخوذ من درأ يدرأ أي دفع يدفع .

الرابعة : بالكسر وترك الهمز وهي قراءة المفضل بن عاصم ، وتأويلها أنه جار كالنجوم الدراري الجارية مأخوذ من درّ الوادي إذا جرىٰ .

﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ فيه قولان :

---

(١١٢) راجع هذه القراءات وما بعدها في الحجة في القراءات ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، زاد المسير (٦/٤١ ، ٤٢).

أحدهما : يعني بالشجرة المباركة إبراهيم والزجاجة التي كأنها كوكب دري محمد ﷺ ، وهو مروي عن ابن عمر(١١٣) .

الثاني : أنه صفة لضياء المصباح الذي ضربه الله مثلاً يعني أن المصباح يشعل من دهن شجرة زيتونة .

﴿ مُّبَارَكَةٍ ﴾ في جعلها مباركة وجهان :

أحدهما : لأن الله بارك في زيتون الشام فهو أبرك من غيره .

الثاني : لأن الزيتون يورق غصنه من أوله إلى آخره وليس له في الشجر مثيل إلا الرمان .

قال الشاعر :

بُورِكَ الْمَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُو ... رِكَ نَضْرُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ

﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنها ليست من شجرة الشرق دون الغرب ولا من شجرة الغرب دون الشرق لأن ما اختص بأحد الجهتين أقل زيتاً وأضعف ، ولكنها شجر ما بين الشرق والغرب كالشام لاجتماع القوتين فيه ، وهو قول ابن شجرة وحكي عن عكرمة .

ومنه قولهم : لا خير في المتقاة والمضحاة ، فالمتقاة أسفل الوادي الذي لا تصيبه الشمس ، والمضحاة رأس الجبل الذي لا تزول عنه الشمس .

الثاني : أنها ليست بشرقية تستر عن الشمس في وقت الغروب ولا بغربية تستر عن الشمس في وقت الطلوع بل هي بارزة للشمس من وقت الطلوع إلى وقت الغروب فيكون زيتها أقوى وأضوأ ، قاله قتادة .

الثالث : أنها وسط الشجر لا تنالها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت وذلك أضوأ لزيتها ، قاله عطية .

---

(١١٣) رواه الطبراني في الكبير والأوسط أما في السجمع (٨٣/٧) وقال الهيثمي فيه الوازع بين نافع وهو متروك .

وزاد السيوطي في الدر (١٩٨/٦) نسبته لابن عدي وابن مردويه وابن عساكر .

الرابع : أنها ليس في شجر الشرق ولا في شجر الغرب مثلها ، حكاه يحيى ابن سلام .

الخامس : أنها ليست من شجر الدنيا التي تكون شرقية أو غربية ، وإنما هي من شجر الجنة ، قاله الحسن .

السادس : أنها مؤمنة لا شرقية ولا غربية ، أي ليست بنصرانية تصلي إلى الشرق ، ولا غربية أي ليست بيهودية تصلي إلى الغرب ، قاله ابن عمر .

السابع : أن الإيمان ليس بشديد ولا لين لأن في أهل الشرق شدة ، وفي أهل الغرب لينٌ .

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن صفاء زيتها كضوء النار وإن لم تمسسه نار ، ذكره ابن عيسى .

الثاني : أن قلب المؤمن يكاد أن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته له ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : يكاد العلم يفيض من فم العالم المؤمن من قبل أن يتكلم به .

الرابع : تكاد أعلام النبوة تشهد لرسول الله ﷺ قبل أن يدعو إليها .

﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : يعني ضوء النار على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة ، قاله مجاهد .

الثاني : نور النبوة على نور الحكمة ، قاله الضحاك .

الثالث : نور الزجاجة على نور الخوف .

الرابع : نور الإيمان على نور العمل .

الخامس : نور المؤمن فهو حجة الله ، يتلوه مؤمن فهو حجة الله حتى لا تخلو الأرض منهم .

السادس : نور نبي من نسل نبي ، قاله السدي .

﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يهدي الله لدينه من يشاء من أوليائه ، قاله السدي .

الثاني : يهدي الله لدلائل هدايته من يشاء من أهل طاعته .

الثالث : يهدي الله لنبوته من يشاء من عباده .

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . وفيما ضربت هذه الآية مثلاً فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مثل ضربه الله للمؤمن في وضوح الحق له .

الثاني : أنها مثل ضربه الله لطاعته فسمى الطاعة نوراً لتجاوزها عن محلها .

الثالث : ما حكاه ابن عباس أن اليهود قالوا : يا محمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله ذلك مثلاً لنوره .

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قوله : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ في هذه البيوت قولان :

أحدهما : أنها المساجد ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد .

الثاني : أنها سائر البيوت ، قاله عكرمة .

﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : أن تُبْنَى ، قاله مجاهد كقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي يبني .

الثاني : أنها تطهر من الأنجاس والمعاصي ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أن تعظم ، قاله الحسن .

الرابع : أن ترفع فيها الحوائج إلى الله[114] .

---

(١١٤) المساجد لها حرمتها شرعاً فلا يجوز لأيٍّ من الناس أن يهتك حرمتها بشيء من الخوارم التي تؤدي إلى =

﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : يتلىٰ فيها كتابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : تذكر فيها أسماؤه الحسنىٰ ، قاله ابن جرير[١١٥] .

الثالث : توحيده بأن لا إلٓه غيره ، قاله الكلبي .

وفيما يعود إليه ذكر البيوت التي أذن الله أن ترفع قولان :

أحدهما : إلى ما تقدم من قوله : كمشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله .

الثاني : إلى ما بعده من قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ وفي هذا التسبيح قولان :

أحدهما : أنه تنزيه الله .

الثاني : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس والضحاك .

﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ الغدو جمع غَدوة والآصال جمع أصيل وهي العشاء .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال الكلبي : التجار هم الجلاب المسافرون ، والباعة هم المقيمون .

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان .

أحدهما : عن ذكره بأسمائه الحسنى .

الثاني : عن الأذان ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : يعني به تقلبها على حجر جهنم .

الثاني : تقلب أحوالها بأن تلفحها النار ثم تنضجها وتحرقها .

الثالث : أن تقلب القلوب وجيبها ، وتقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال .

الرابع : أن تقلب القلوب بلوغها الحناجر، وتقلب الأبصار الزَّرَق بعد الكحل، والعمى بعد البصر.

= الإزدراء بالمسجد كالبيع وانشاد الضالة وما يسمى بحلقات الذكر «الحضرة» فيرفعون أصواتهم محرفين اسم الله تعالى ويتثنون بطريقة ما وردت لا بكتاب الله ولا سنة رسوله .

(١١٥) جامع البيان (١٨/ ١٤٥) .

الخامس : أن الكافر بعد البعث ينقلب قلبه على الكفر إلى الإيمان وينقلب بصره عما كان يراه غياً فيراه رشداً .

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السيئات وإن كان يجازى عليها لأمرين :

أحدهما : أنه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة .

الثاني : أنه يكون في صفة قوم لا تكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة .

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما يضاعفه من الحسنة بعشر أمثالها .

الثاني : ما يتفضل به من غير جزاء .

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : بغير جزاء بل يسديه تفضلاً .

الثاني : غير مقدر بالكفاية حتى يزيد عليها .

الثالث : غير قليل ولا مضيق .

الرابع : غير ممنون به .

وقيل لما نزلت هذه الآية أمر(١١٦) رسول الله ﷺ ببناء مسجد قباء فحضر عبد الله بن رواحة فقال : يا رسول الله قد أفلح من بنىٰ المساجدا ؟ قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ** » قال ، وصلىٰ فيها قائماً وقاعداً قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ** » قال : ولم يبت لله إلا ساجداً ؟ قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ . كُفّ عَنِ السَّجْعِ فَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيئاً شَرّاً مِن طَلاَقَةِ لِسَانِهِ** » .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ

(١١٦) لم نعثر عليه .

بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ أما السراب فهو الذي يخيل لمن رآه في الفلاة كأنه الماء الجاري قال الشاعر(١١٧) :

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُهُمْ ... كَلَمْعِ سَرَابٍ بِالْفَلاَ مُتَأَلِّق

والآل كالسراب إلا أنه يرتفع عن الأرض في وقت الضحى حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء ، وقيل : إن السراب بعد الزوال والآل قبل الزوال والرقراق بعد العصر وأما القيعة فجمع قاع مثل جيرة وجار ، والقاع ما انبسط من الأرض واستوىٰ .

﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَآءً ﴾ يعني العطشان يحسب السراب ماءً .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ وهذا مثل ضربه الله للكافر يعول على ثواب عمله فإذا قدم على الله وجد ثواب عمله بالكفر حابطاً .

﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وجد أمر الله عند حشره .

الثاني : وجد الله عند عرضه .

﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره .

والثاني : وجد الله عند وعيده فوفى بعذابه ويكون الحساب على الوجهين معاً محمولاً على العمل ، كما قال امرؤ القيس(١١٨) :

فَـوَلَّـى مُـدْبِـراً وأَيْـقَـنَ ... أَنَّـه لاَقِـي الْـحِـسَـابَـا

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لأن حسابه آت وكل آت سريع .

---

(١١٧) روح المعاني (١٨/١٨٠) وفتح القدير (٤/٣٩) .

(١١٨) روح المعاني (٤/٣٩)

الثاني : لأنه يحاسب جميع الخلق في وقت سريع .

قيل إن هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس الصوف ويطلب الدين فكفر في الإسلام .

قوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ الظلمات : ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل .

وفي قوله لجيّ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه البحر الواسع الذي لا يرى ساحله ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أنه البحر الكثير الموج ، قاله الكلبي .

الثالث : أنه البحر العميق ، وهذا قول قتادة ، ولجة البحر وسطه ، ومنه ما روي(١١٩) عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ إِذَا الْتَجَّ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ » يعني إذا توسطه .

﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يغشاه موج من فوق الموج ريح ، من فوق الريح سحاب فيجمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب .

الثاني : معناه يغشاه موج من بعده فيكون المعنى الموج بعضه يتبع بعضاً حتى كأنه بعضه فوق بعض وهذا أخوف ما يكون إذا توالى موجه وتقارب ، ومن فوق هذا الموج سحاب وهو أعظم للخوف من وجهين :

أحدهما : أنه قد يغطي النجوم التي يهتدى بها .

الثاني : الريح التي تنشأ مع السحاب والمطر الذي ينزل منه .

﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ يحتمل وجهين :

---

(١١٩) رواه أحمد (٢٧١/٥) والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤) وفي تاريخه (٣٨٩/١/٢) عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

وواه أحمد أيضاً (٧٩/٤) ولفظه من بات فوق بيت ليس له إجار فوقع فمات فبرئت منه الذمة ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات فقد برئت منه الذمة والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٨٢٨ وأورد الشطره الأول شواهد من حديث جابر بن عبد الله وابن عباس وعلي بن شيبان .

أحدهما : أن يريد الظلمات التي بدأ بذكرها وهي ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل .

الثاني : يعني بالظلمات الشدائد أي شدائد بعضها فوق بعض .

﴿ إذَا أَخْرَجَ يَدَه لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه أنه رآها بعد أن كاد لا يراها ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : لم يرها ولم يكد ، قاله الزجاج ، وهو معنى قول الحسن .

وفي قوله لم يكد وجهان :

أحدهما : لم يطمع أن يراها .

الثاني : لم يرها ويكاد صلة زائدة في الكلام .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّه لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ومن لم يجعل الله له سبيلاً إلى النجاة في الآخرة فما له من سبيل إليها حكاه ابن عيسى .

الثاني : ومن لم يهده الله للإسلام لم يهتد إليه ، قاله الزجاج .

وقال بعض أصحاب الخواطر وجهاً ثالثاً : ومن لم يجعل الله نوراً له في وقت القسمة فما له من نور في وقت الخلقة .

ويحتمل رابعاً : ومن لم يجعل الله له قبولاً في القلوب لم تقبله القلوب .

وهذا المثل ضربه الله للكافر ، فالظلمات ظلمة الشرك وظلمة الليل وظلمة المعاصي ، والبحر اللجي قلب الكافر . يغشاه من فوقه عذاب الدنيا ، فوقه عذاب الآخرة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ أي مصطفة الأجنحة في الهواء(*) .

﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الصلاة للإنسان والتسبيح لما سواه من سائر الخلق ، قاله مجاهد .

الثاني : أن هذا في الطير وإن ضرب أجنحتها صلاة وأن أصواتها تسبيح ، حكاه النقاش .

الثالث : أن للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ، قاله سفيان .

ثم فيه قولان :

أحدهما : أن كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه .

الثاني : أن الله قد علم صلاته وتسبيحه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يُزْجِي سَحَاباً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ينزله قليلاً بعد قليل ، ومنه البضاعة المزجاة لقلتها .

الثاني : أنه يسوقه إلى حيث شاء ومنه زجا الخراج إذا انساق إلى أهله قال النابغة(١٢٠) :

إنِّي أتَيْتُكَ من أَهْلِي ومنْ وَطَنِي أُزْجِي حُشَاشَةَ نَفْسٍ ما بِها رَمَقُ

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي يجمعه ثم يفرقه عند انتشائه ليقوى ويتصل .

(*) في الأصل الهوى وهو خطأ .

(١٢٠) روح المعاني (٤١/٣) فتح القدير (٤١/٤)

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً ﴾ أي يركب بعضه بعضاً .

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الودق البرق يخرج من خلال السحاب قال الشاعر[١٢١] :

أثرن عجاجة وخرجن منها   خروج الودق من خلَلَ السحاب

وهذا قول أبي الأشهب :

الثاني : أنه المطر يخرج من خلال السحاب ، وهو قول الجمهور ، ومنه قول الشاعر[١٢٢] :

فلا مزنة ودقت ودقها   ولا أرض أبقل أبقالها

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن في السماء جبال برد فينزل من تلك الجبال ما يشاء فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء .

الثاني : أنه ينزل من السماء برداً يكون كالجبال .

الثالث : أن السماء السحاب ، سماه لعلوه ، والجبال صفة السحاب أيضاً سمي جبالاً لعِظمه فينزل منه برداً يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فتكون إصابته نقمة وصرفه نعمة .

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِٱلأَبْصَارِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : صوت برقه .

الثاني : ضوء برقه ، قاله يحيى بن سلام ومنه قول الشماخ[١٢٣] :

وما كادت إذا رفعت سناها   ليبصر ضوءها إلاّ البصير

الثالث : لمعان برقه ، قاله قتادة والصوت حادث عن اللمعان كما قال امرؤ القيس[١٢٤] :

---

(١٢١) فتح القدير (٤١/٤)

(١٢٢) هو عامر بن جوين الطائي والبيت في اللسان (ودق) والطبري (١٥٣/١٨) وفتح القدير (٣١/٤).

(١٢٣) فتح القدير (٤٢/٤).

(١٢٤) فتح القدير (٤٢/٤) ، والديوان ٢٤ .

(تنبيه) : قوله «آمال السليط خطأ والصواب أهان ولعله تحريف من الناسخ والتصويب من الديوان .

يضي سناه أو مصابيح راهب   أمال السليط بالذبال المفتل

فيكون البرق دليلاً على تكاثف السحاب ، ونذيراً بقوة المطر ، ومحذراً من نزول الصواعق .

قوله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : هو أن يأتي بالليل بعد النهار ويأتي بالنهار بعد الليل ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أن ينقص من الليل ما يزيد في النهار وينقص من النهار ما يزيد في الليل ، حكاه يحيى بن سلام .

الثالث : أنه يغير النهار بظلمة السحاب تارة وبضوء الشمس أخرىٰ ، ويغير الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر مرة ، حكاه النقاش .

ويحتمل رابعاً : أن يقلبها باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن أصل الخلق من ماء ثم قلب إلى النار فخلق منها الجن ، وإلى النور فخلق منها الملائكة ، وإلى الطين فخلق منه من خلق وما خلق(١٢٥) ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أنه خالق كل دابة من ماء النطفة ، قاله السدي .

﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ كالحية والحوت .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَين ﴾ الإنسان والطير .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ كالمواشي والخيل ، ولم يذكر ما يمشي ،

(١٢٥) وهذا يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم ﷺ .

ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع لأنه يعتمد في المشي على أربع .

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ هذه الآية نزلت في بشر ، رجلٌ من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه بشر إلى كعب بن الأشرف لأن الحق إذا كان متوجهاً على المنافق إلى غير رسول الله ﷺ ليسقط عنه ، وإذا كان له حاكم إليه ليستوفيه منه فأنزل الله هذه الآية[١٢٦] .

وقيل : إنها نزلت في المغيرة بن وائل من بني أمية كان بينه وبين علي كرم الله وجهه خصومة في ماء وأرض فامتنع المغيرة أن يحاكم علياً إلى رسول الله ﷺ وقال : إنه يبغضني ، فنزلت هذه الآية .

﴿ **وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ** ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : طائعين ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : خاضعين ، حكاه النقاش .

الثالث : مسرعين ، قاله مجاهد .

---

(١٢٦) ذكرها الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٨ بدون سند .

الرابع : مقرنين ، قاله الأخفش وفيها دليل على أن من دعي إلى حاكم فعليه الإجابة ويحرج إن تأخر(١٢٧).

وقد روى أبو الأشهب عن الحسن قال(١٢٨): قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ دُعِيَ إِلَى حَاكِمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْ فَهُوَ ظَالِمٌ لَا حَقَّ لَهُ** » . ثم قال : ﴿ **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : شرك ، قاله الحسن .

الثاني : نفاق ، قاله قتادة .

---

(١٢٧) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٤/٤٥) « وفي هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لأن العلماء ورثة الأنبياء والحكم من قضاة الاسلام العادلين بحكم الله العارفين بكتاب الله العادلين في القضاء هو حكم الله وحكم رسوله فالداعي إلى التحاكم إليهم قد دعا إلى الله وإلى رسوله أي إلى حكمهما قال ابن خويز منداد واجب على كل من دعي إلى مجلس الحاكم أن يجيب ما لم يعلم أن الحاكم فاسق وقال القرطبي وفي هذه الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم لأن الله سبحانه ذم من دُعِيَ إلى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه بأقبح الذم قال : ﴿ **أفي قلوبهم مرض** ﴾ الآية ا هـ. فإن كان القاضي مقصراً لا يعلم بأحكام الكتاب والسنة ولا يعقل حجج الله ومعاني كلامه وكلام رسوله بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً وهو من لا علم له بشيء من ذلك أو جهلاً مركباً وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكن قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين واطلع على شيء من علم الرأي فهذا في الحقيقة جاهل وإن اعتقد أنه يعلم شيئاً من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا فلا تجب الإجابة إليه لأنه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله حتى يحكم به بين المتخاصمين إليه بل هو من قضاة الطاغوت وحكام الباطل فإن ما عرفه من علم الرأي إنما رخص في العمل به للمجتهد الذي هو منسوب إليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة ولم يرخص فيه لغيره مما يأتي بعده » . . . . الخ .

(١٢٨) رواه الطبراني عن الحسن عن سمرة كما في الدر (٦/٢١٣) وفي سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور ولكن الحديث له شاهد مرسل عن الحسن رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد كما في الدر (٦/٢١٣) ولفظه « من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له » .

قال ابن كثير رحمه الله (٣/٢٩٩) هذا حديث غريب وهو مرسل . ا هـ. قلت وأما قول العلامة أبي بكر بن العربي أنه حديث باطل فأما قوله فهو ظالم فكلام صحيح وأما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل أنه يريد أنه على غير الحق ا هـ. فقد رد الشوكاني كلام ابن العربي وهاك عبارته في فتح القدير (٤/٤٨) « أقول وأما كون الحديث مرسلاً فظاهر ، وأما دعوى كونه باطلاً » فمحتاجة إلى برهان فقد أخرجه ثلاثة من أئمة الحديث عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر كما ذكرنا ويبعد كل البعد أن يتفق عليه ما هو باطل . . . . ثم ساق إسناد ابن أبي حاتم ثم قال وليس في هؤلاء كذاب ولا وضاع ويشهد له ما أخرجه الطبراني عن الحسن عن سمرة . . . ثم ساق الحديث المتقدم ا هـ.

﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ أي شكوا ويحتمل وجهين :

أحدهما : في عدل رسول الله ﷺ .

الثاني : في نبوته .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : طاعة صادقة خير من أيمان كاذبة .

الثاني : قد عرف نفاقكم في الطاعة فلا تتجملوا بالأيمان الكاذبة .

قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي أعرضوا عن الرسول .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ أي عليه ما حمل من إبلاغكم ، وعليكم ما حملتم من طاعته .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن عليه ما حمل من فرض جهادكم ، وعليكم ما حملتم من وزر عباده .

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ يعني إلى الحق .

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ يعني بالقول لمن أطاع وبالسيف لمن عصى .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أرض مكة ، لأن المهاجرين سألوا الله ذلك ، قاله النقاش .

والثاني : بلاد العرب والعجم ، قاله ابن عيسى .

روى سليم بن عامر عن المقدام بن الأسود قال(١٢٩) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لَا يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْأَرْضِ بَيْتُ حَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ ، إما يعزهم فيجعلهم من أهلها ، وإما يذلهم فيدينون لها** » .

﴿ **كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني بني إسرائيل في أرض الشام .

الثاني : داود وسليمان .

﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ** ﴾ يعني دين الإسلام وتمكينه أن يظهره على كل دين .

﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** ﴾ لأنهم كانوا مطلوبين فطلبوا ، ومقهورين فقهروا .

---

(١٢٩) رواه ابن منده في كتاب الإيمان (١٠٢/١) وهو صحيح على شرط مسلم كما قال الألباني في تحذير الساجد ص ١٢١ وله شاهد آخر رواه أحمد (١٠٣/٤) والحاكم (٤٣٠/٤ ـ ٤٣١) وابن منده في الإيمان (١٠٢/١) وابن حبان (١٦٣١ ، ١٦٣٢) وصححه الألباني أيضاً على شرط مسلم في المصدر السابق .

راجع السلسلة الصحيحة وقد ذكر أحاديث كثيرة تدل على أن المستقبل للاسلام وتبشر الأحاديث بعودة الخلافة .

الأحاديث رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : لا يعبدون إلٰهاً غيري ، حكاه النقاش .

الثاني : لا يراءون بعبادتي أحداً .

الثالث : لا يخافون غيري ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا يحبون غيري ، قاله مجاهد .

قال الضحاك : هذه الآية في الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم وهم ، الأئمة المهديون ، وقد قال(١٣٠) النبي ﷺ : « **الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً** » .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ لِيَسْتَأْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيمَانُكُم ﴾ فيهم قولان :

---

(١٣٠) جزء من حديث رواه أبو داود (٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧) وأحمد (٥/٢٢٠ ، ٢٢١) وابن حبان (١٥٣٤ ، ١٥٣٥) موارد والترمذي (٣٥/٢) والطحاوي في مشكل الآثار . (٣١٣/٤) وصححه الحاكم والطبري وأحمد وابن أبي عاصم وابن حبان والترمذي والذهبي والعسقلاني وابن تيمية راجع السلسلة الصحيحة رقم ٤٦٠ .

أحدهما : أنهم النساء يستأذنَّ في هـذه الأوقات خـاصة ويستـأذن الرجـال في جميع الأوقات ، قاله ابن عمر .

الثاني : أنهم العبيد والإماء .

وفي المعنى بالاستئذان ثلاثة أقاويل :

أحدها : العبد دون الأمة يستأذن على سيده في هـذه الأوقات الثـلاثة ، قـاله ابن عمر ، ومجاهد .

الثاني : أنها الإماء لأن العبد يجب أن يستأذن أبداً في هذه الأوقات وغيرها ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه على عمومه في العبد والأمة ، قاله أبو عبد الرحمن السلمي .

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الحُلُمَ مِنْكُم ﴾ هم الصغـار الأحرار فمن كـان منهم غير مميـز لا يصف مـا رأى فليس من أهـل الاستئـذان ومن كـان مميـزاً يصف مـا رأىٰ ويحكي ما شاهد فهو المعني بالاستئذان .

﴿ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيـرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ ٱلْعِشَآءِ ﴾ وهذه الساعات الثـلاث هي أوقات استئـذان من تقدم ذكـره ولا يلزمهم الاستئذان في غيرهـا من الأوقات ، فـذكر الـوقت الأول وهو من قبـل صلاة الفجـر وهو من بعـد الاستيقاظ من النـوم إلى صلاة الصبـح ، ثم ذكر الـوقت الثاني فقال : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ﴾ وهو وقت الخلوة لنومـة القائلة ، ثم ذكـر الوقت الثـالث فقال : ﴿ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ ٱلْعَشَآءِ ﴾ يعني الآخرة وقد تسميها العامـة العتمة وسميت العشاء لأن ظلام وقتها يعشي البصر .

وإنما خص هذه الأوقـات الثلاثـة لأنها أوقـات خلوات الرجـل مع أهله ولأنـه ربمـا بدا فيهـا عند خلوتـه مـا يكـره أن يـرى من جسـده ، فقـد روي أن عمـر بـن الخطاب كان في منزله وقت القائلة فأنفذ إليه رسول الله ﷺ بصبي من أولاد الأنصار يقال له مدلج فدخل على عمر بغير إذن وكـان نائمـاً فاستيقظ عمـر بسرعـة فانكشف شيء من جسـده فنظر إليـه الغلام فحـزن عمر فقـال : وددت لو أن الله بفضله نهى أبناءنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بـإذننا ثم انـطلق إلى النبي ﷺ فوجـد هذه الآية قد أنزلت فخرَّ ساجداً [شكراً لله] .

﴿ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ يعني هذه الساعات الثلاث هي أوقات العورات فصارت من عورات الزمان فجرت مجرى عورات الأبدان فلذلك خصت بالإذن .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني ليس عليكم يا أهل البيوت جناح في تبذلكم في هذه الأوقات .

الثاني : ليس عليكم جناح في منعهم في هذه الأوقات . ولا على المملوكين والصغار جناح في ترك الاستئذان فيما سوى هذه الأوقات .

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني أنهم طوّافون عليكم للخدمة لكم فلم ينلهم حرج في دخول منازلكم ، والطوافون الذين يكثرون الدخول والخروج .

ثم أوجب على من بلغ من الصبيان الاستئذان إذا احتلموا وبلغوا لأنهم صاروا بالبلوغ في حكم الرجال فقال تعالى :

﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُم الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ يعني الرجال .

قوله : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَآءِ﴾ والقواعد جمع قاعدة وهن اللاتي قعدن بالكبر عن الحيض والحمل ولا يحضن ولا يلدن . قال ابن قتيبة : بل سمين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثر منهن القعود . وقال زمعة : لا تراد ، فتقعد عن الاستمتاع بها والأول أشبه. قال الشاعر :

فلو أن ما في بطنه بين نسوة   حبلن ولو كان القواعد عقراً

وقوله : ﴿الَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾ أي أنهن لأجل الكبر لا يردن الرجال ولا يريدهن الرجال .

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فيه قولان .

أحدهما : جلبابها وهو الرداء الذي فوق خمارها فتضعه عنها إذا سترها باقي ثيابها قاله ابن مسعود وابن جبير .

الثاني : خمارها ورداؤها ، قاله جابر بن زيد .

﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ والتبرج أن تظهر من زينتها ما يستدعي النظر إليها فإنه في القواعد وغيرهن محظور . وإنما خص القواعد بوضع الجلباب لانصراف النفوس عنهن ما لم يبد شيء من عوراتهن . والشابات المشتهيات يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن . وقد روى مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ[١٣١]: « لِلزَّوْجِ مَا تَحْتَ الدِّرْعِ ، وَلِلإِبْنِ وَالأَخِ مَا فَوقَ الدِّرْعِ ، وَلِغَيْرِ ذِي مُحْرِمٍ أَرْبَعَةُ أَثْوَابٍ : دِرْعٍ وَخِمَارٍ وَجِلْبَابٍ وَإِزَارٍ ».

﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ يعني إن يستعفف القواعد عن وضع ثيابهن ويلزمن لبس جلابيبهن خير لهن من وضعها وإن سقط الحرج عنهن فيه .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن الأنصار كانوا يتحرجون أن يؤاكلوا هؤلاء إذا دعوا إلى طعام فيقولون : الأعمى لا يبصر أطيب الطعام ، والأعرج لا يستطيع الزحام عند الطعام ،

(١٣١) لم أعثر على تخريجه وهو أشبه بالموقوف والله أعلم .

والمريض يضعف عن مشاركة الصحيح في الطعام . وكانوا يقولون : طعامهم مفرد ويرون أنه أفضل من أن يكونوا شركاء ، فأنزل الله هذه الآية فيهم ورفع الحرج عنهم في مؤاكلتهم ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والكلبي .

الثاني : أنه ليس على هؤلاء من أهل الزمانة حرج أن يأكلوا من بيوت من سمىٰ الله بعد هذا من أهاليهم ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه كان المذكورون من أهل الزمانة يخلفون الأنصار في منازلهم إذا خرجوا بجهاد وكانوا يتحرجون أن يأكلوا منها فرخص الله لهم في الأكل من بيوت من استخلفوهم فيها ، قاله الزهري .

الرابع : أنها نزلت في إسقاط الجهاد عمن ذكروا من أهل الزمانة .

الخامس : ليس على من ذكر من أهل الزمانة حرج إذا دُعِي إلى وليمة أن يأخذ معه قائده ، وهذا قول عبد الكريم .

﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أموال عيالكم وأزواجكم لأنهم في بيته .

الثاني : من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى بيوت أنفسهم لقوله ﷺ : « أَنتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ »(١٣٢) ولذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء والأقارب اكتفاء بهذا الذكر .

الثالث : يعني بها البيوت التي هم ساكنوها خدمة لأهلها واتصالاً بأربابها كالأهل والخدم .

﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾ فأباح الأكل من بيوت هؤلاء لمكان النسب من غير استئذانهم في الأكل إذا كان الطعام

(١٣٢) ورد من حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ،وعبد الله من مسعود وعائشة وسمرة بن جندب وغيرهم .وسأقتصر في التخريج على رواية جابر حيث رواها ابن ماجه (٢٢٩١)والطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٢٣٠) وصححها البوصيري في الزوائد على شرط البخاري وكذا الألباني في إرواء الغليل (٣٢٣/٣) وأحيلك أيها القارىء لقراءة باقي تخريج الروايات في الإرواء.

مبذولاً ، فإن كان محروزاً دونهم لم يكن لهم هتك حرزه . ولا يجوز أن يتجاوزوا الأكل إلى الادخار ، ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محروز عنهم إلا بإذن منهم ثم قال :

﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عَنَى به وكيل الرجل وَقيِّمه في ضيعته يجوز له أن يأكل مما يقوم عليه من ثمار ضيعته ، قاله ابن عباس :

الثاني : أنه أراد منزل الرجل نفسه يأكل مما ادخره ، قاله قتادة .

الثالث : أنه عنى به أكل السيد من منزل عبده وماله لأن مال العبد لسيده ، حكاه ابن عيسى .

﴿ **أَوْ صَدِيقِكُمْ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يأكل من بيت صديقه في الوليمة دون غيرها .

الثاني : أنه يأكل من منزل صديقه في الوليمة وغيرها إذا كان الطعام حاضراً غير محرز . قال ابن عباس : الصديق أكثر من الوالدين ، ألا ترى أن الجهنميين لم يستغيثوا بالآباء ولا الأمهات وإنما قالوا : ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الصَّدِيقِ البَارِّ عِوَضاً عَنِ الرَّحِمِ المَذْمُومَةِ** »[١٣٣] والمراد بالصديق الأصدقاء وهو واحد يعبر به عن الجميع ، قال جرير :

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا . . بأسهم أعداءٍ وهن صديقُ

وفي الصديق قولان :

أحدهما : أنه الذي صدقك عن مودته .

الثاني : أنه الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك .

ثم اختلفوا في نسخ ما تقدم ذكره بعد ثبوت حكمه على قولين :

أحدهما : أنه على ثبوته لم ينسخ شيء منه ، قاله قتادة .

---

(١٣٣) لم أعثر على تخريجه والله أعلم .

الثاني : أنه منسوخ بقوله تعالى :

﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ الآية . ويقول النبي ﷺ : « لا يحل مَالُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنهُ »[١٣٤] .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنها نزلت في بني كنانة كان رجل منهم يرىٰ أن مُحرَّماً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتىٰ أن الرجل ليسوق الزود الحفل[*] وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة وابن جريج .

الثاني : أنها نزلت في قوم من العرب كان الرجل منهم إذا نزل به ضيف تحرج أن يتركه يأكل وحده حتى يأكل معه ، فنزل ذلك فيهم ، قاله أبو صالح .

الثالث : أنها نزلت في قوم كانوا يتحرجون أن يأكلوا جميعاً ويعتقدون أنه ذنب ويأكل كل واحد منهم منفرداً ، فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الرابع : أنها نزلت في قوم مسافرين اشتركوا في أزوادهم فكان إذا تأخر أحدهم أمسك الباقون عن الأكل حتى يحضر، فنزل ذلك فيهم ترخيصاً للأكل جماعة وفرادىٰ.

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً ﴾ فيها قولان :

---

(١٣٤) هذا الحديث أورده الحافظ ابن حجر في المطالب (١/ ٤٢٢) من حديث معتمر عن أبيه حدثني شيخ لقيته بالبحرين عن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع أنه قال«لا يحل من مال امرىء إلا ماأعطى عن طيب نفسه » رواه مسدد وقال محقق المطالب وسكت عليه البوصيري . . . وللحديث طريق آخرى عن عمرو بن يثربي رواها الدارقطني في السنن (٣/ ٢٥) وأحمد (٥/ ٧٢) والطبراني كما نقله الحافظ في تلخيص الحبير ص ٤٥ ج ٣ وقال الطبراني لايروى عن ابن يثربي إلا بهذا الإسناد تفرد به عبد الملك .

قلت: وهو عبد الملك بن الحسن الأحول قال الحافظ فيه مجهول وللحديث طريق ثالثة عن أنس مرفوعاً رواها الدارقطني (٣/ ٢٦) وفي سنده داود بن الزبرقان وهو متروك الحديث .

وله طريق رابعة عن أبي حرة الرقاشي عن عمه مرفوعاً .

رواها الدارقطني (٣/ ٢٦) وأحمد (٥/ ٧٢) وفي سندها علي بن زيد بن جدعان وهو متكلم فيه .

(*) الممتلئة لبناً.

أحدهما : أنه المساجد .

الثاني : أنها جميع البيوت .

﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : يعني إذا دخلتم بيوت أنفسكم فسلموا على أهاليكم وعيالكم ، قاله جابر .

الثاني : إذا دخلتم المساجد فسلموا على من فيها ، وهذا قول ابن عباس .

الثالث : إذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم ، قاله الحسن .

الرابع : إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهل دينكم ، قاله السدي .

الخامس : إذا دخلتم بيوتاً فارغة فسلموا على أنفسكم وهو أن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، قاله ابن عمر ، وإبراهيم ، وأبو مالك ، وقيل : سلامه على نفسه أن يقول : السلام علينا من ربنا تحية من عند الله .

وإذا سلم الواحد من الجماعة أجزأ عن جميعهم ، فإذا دخل الرجل مسجداً ذا جمع كثير سلم يسمع نفسه ، وإذا كان ذا جمع قليل أسمعهم أو بعضهم .

قال الحسن : كان النساء يسلمن على الرجال ولا يسلم الرجال على النساء ، وكان ابن عمر يسلم على النساء ، ولو قيل لا يسلم أحد الفريقين على الآخر كان أولى لأن السلام مواصلة(١٣٥) .

﴿ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني أن السلام اسم من أسماء الله تعالى .

الثاني : أن التحية بالسلام من أوامر الله .

الثالث : أن الرد عليه إذا سلم دعاء له عند الله .

الرابع : أن الملائكة ترد عليه فيكون ثواباً من عند الله .

﴿ مُبَارَكَةً ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : لما فيها من الثواب الجزيل .

---

(١٣٥) ولعل هذا القول أصون وأبعد عن الفتنة .

الثاني : لما يرجى من ثواب الدعاء .

﴿ طَيِّبَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لما فيها من طيب العيش بالتواصل .

الثاني : لما فيها من طيب الذكر والشأن .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى : ﴿ .... وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الأمر الجامع الجمعة والعيدان والاستسقاء وكل شيء يكون فيه الخطبة ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه الجهاد ، قاله زيد بن أسلم .

الثالث : طاعة الله ، قاله مجاهد .

﴿ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَئْذِنُوهُ ﴾ أي لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيه .

﴿ فَإِذَا اسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ .... ﴾ الآية . وهذا بحسب ما يرى من أعذارهم ونياتهم وروي أن هذا نزل في عمر بن الخطاب(١٣٦) رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في غزاة تبوك فاستأذنه في الرجوع إلى أهله فقال : « **ٱنْطَلِقْ فَوَاللَّهِ مَا أَنتَ بِمُنَافِقٍ وَلَا مُرْتَابٍ** » وكان المنافقون إذا استأذنوا نظر إليهم ولم يأذن لهم فكان بعضهم يقول لبعض : محمدٌ يزعم أنه بُعِث بالعدل وهكذا يصنع بنا .

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ يعني لمن أذن له من المؤمنين ليزول عنهم باستغفاره ملامة الانصراف قال قتادة : وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم ﴾ الآية .

---

(١٣٦) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً** ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه نهي من الله عن التعرض لدعاء رسول الله ﷺ بإسخاطه لأن دعاءه يوجب العقوبة وليس كدعاء غيره ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه نهي من الله عن دعاء رسول الله بالغلظة والجفاء وَلْيَدْعُ بالخضوع والتذلل : يا رسول الله ، يا نبي الله ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثالث : أنه نهي من الله عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض ، حكاه ابن عيسى .

﴿ **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم المنافقون كانوا يتسلّلون عن صلاة الجمعة لواذاً أي يلوذ بعضهم ببعض ينضم إليه استتاراً من رسول الله ﷺ لأنه لم يكن على المنافقين أثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنهم كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه يلوذ بعضهم ببعض لواذاً فنزل ذلك فيهم ، قاله مجاهد .

وقال الحسن معنى قوله : ﴿ **لِوَاذاً** ﴾ أي فراراً من الجهاد ، ومنه قول حسان ابن ثابت(١٣٧) :

---

(١٣٧) ديوانه : ص ٣٢٤ وروح المعاني (٤/ ٥٨) والبيت في الديوان :

وقريش تلوذ منا لواذاً لم يقيموا أو خف منها الحلوم

وقريش تجول منكم لـــواذاً   لم تحافظ وخفّ منها الحلوم

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخالفون عن أمر الله ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : عن أمر رسول الله ﷺ ، قاله قتادة .

ومعنى قوله : ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي يعرضون عن أمره ، وقال الأخفش : ﴿ عَنْ ﴾ في هذا الموضع زائدة ومعنى الكلام فليحذر الذين يخالفون أمره ، وسواء كان ما أمرهم به من أمور الدين أو الدنيا .

﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : كفر ، قاله السدي .

الثاني : عقوبة ، قاله ابن كامل .

الثالث : بلية تُظْهِرُ ما في قلوبهم من النفاق ، حكاه ابن عيسى .

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : القتل في الدنيا ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : عذاب جهنم في الآخرة .



مكية كلها

قال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ . . . . ﴾ في تبارك ثلاثة أوجه :

أحدها : تفاعل مع البركة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الذي يجيء البركة من قِبَلِه ، قاله الحسن .

الثالث : خالق البركة : قاله إبراهيم .

وفي البركة ثلاثة أقاويل :

أحدها : العلو .

الثاني : الزيادة .

الثالث : العظمة . فيكون تأويله على الوجه الأول : تعالى ، وعلى الوجه الثاني تزايد ، وعلى الوجه الثالث : تعاظم .

و ﴿ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ هو القرآن وقيل أنه اسم لكل كتاب منزل كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ .

وفي تسميته فرقاناً وجهان :

أحدهما : لأنه فرق بين الحق والباطل .

الثاني : لأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام ، حكاه النقاش .

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقرأ ابن الزبير ﴿ عَلَىٰ عِبَادِهِ ﴾ بالجمع .

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليكون محمد نذيراً ، قاله قتادة ، وابن زيد .

الثاني : ليكون الفرقان ، حكاه ابن عيسى . والنذر : المحذر من الهلاك ، ومنه قول الشاعر :

فلما تلاقينا وقد كان منذر .. نذيراً فلم يقبل نصيحة ذي النذر

والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن لأن النبي ﷺ قد كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما وأنه خاتم الأنبياء ، ولم يكن غيره عامّ الرسالة إلا نوحاً فإنه عم برسالته جميع الإنس بعد الطوفان لأنه بدأ به الخلق ، واختلف في عموم رسالته قبل الطوفان على قولين :

أحدهما : عامة لعموم العقاب بالطوفان على مخالفته في الرسالة .

الثاني : خاصة بقومه لأنه ما تجاوزهم بدعائه .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني مشركي قريش ، وقال ابن عباس : القائل منهم ذلك النضر بن الحارث .

﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ يعني القرآن .

﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ ﴾ أي كذب اختلقه .

﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ وفيمن زعموا أنه أعانه عليه أربعة أقاويل :

أحدها : قوم من اليهود ، قاله مجاهد .

الثاني : عبد الله الحضرمي ، قاله الحسن .

الثالث : عدّاس غلام عتبة ، قاله الكلبي .

والرابع : أبو فكيهة الرومي ، قاله الضحاك .

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك إزراء عليه أنه لما كان مثلهم محتاجاً إلى الطعام

ومتبذلاً في الأسواق لم يجز أن يتميز عليهم بالرسالة ووجب أن يكون مثلهم في الحكم .

الثاني : أنهم قالوا ذلك استزادة له في الحال كما زاد عليهم في الاختصاص فكان يجب ألّا يحتاج إلى الطعام كالملائكة ، ولا يتبذل في الأسواق كالملوك .

ومرادهم في كلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه ليس يوجب اختصاصه بالمنزلة نقله عن موضع الخلقة لأمرين :

أحدهما : أن كل جنس قد يتفاضل أهله في المنزلة ولا يقتضي تمييزهم في الخلقة كذلك حال من فضل في الرسالة .

الثاني : أنه لو نقل عن موضوع الخلقة بتمييزه بالرسالة لصار من غير جنسهم ولما كان رسولاً منهم ، وذلك مما تنفر منه النفوس .

وأما الوجه الثاني : فهو أن الرسالة لا تقتضي منعه من المشي في الأسواق لأمرين :

أحدهما : أن هذا من أفعال الجبابرة وقد صان الله رسوله عن التجبر .

الثاني : لحاجته لدعاء أهل الأسواق إلى نبوته ، ومشاهدة ما هم عليه من منكر يمنع منه ومعروف يقر عليه .

﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيهِ ﴾ الآية أي هلا أُنزل إليه ﴿ مَلَكٌ . . . ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون الملك دليلاً على صدقه .

الثاني : أن يكون وزيراً له يرجع إلى رأيه .

﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ فلا يكون فقيراً .

﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ والجنة البستان فكأنهم استقلّوه لفقره . قال الحسن : والله ما زَوَاهَا (*) عن نبيه إلا اختياراً ولا بسطها لغيره إلا اغتراراً ولولا ذاك لما أعاله .

(*) أي الدنيا وزينتها .

قوله : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ ﴾ يعني مشركي قريش وقيل إنه عبد الله بن الزبعرى .

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سحر فزال عقله .

الثاني : أي سَحَرَكُمْ فيما يقوله .

قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلأَمْثَالَ ﴾ يعني ما تقدم من قولهم .

﴿ فَضَلُّواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فضلواْ عن الحق في ضربها .

الثاني : فناقضوا في ذكرها لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه وهما متناقضان .

﴿ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مخرجاً من الأمثال التي ضربوها ، قاله مجاهد .

الثاني : سبيلاً إلى الطاعة لله ، قاله السدي .

الثالث : سبيلاً إلى الخير ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً ﴾ قال عبد الله بن عمرو[١٣٨]: إن جهنم لتضيق على الكافرين كضيق الزج على الرمح .

﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مُكَتَفِينَ، قاله أبو صالح .

الثاني : يقرن كل واحد منهم إلى شيطانه ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ويلاً ، قاله ابن عباس .

---

(١٣٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبد الله بن عمر والتصويب من الدر (٦ / ٢٤٠) والزهد لابن المبارك (رقم ٢٢٩) حيث رواه ابن المبارك .
وفيه انقطاع بين قتادة وابن عمر.

الثاني : هلاكاً ، قاله الضحاك .

الثالث : معناه وانصرافاه عن طاعة الله ، حكاه ابن عيسى وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « أَوَّلُ مَن يَقُولُهُ إِبْلِيسُ »[١٣٩] .

قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ يعني من النعيم فأما المعاصي فتصرف عن شهواتهم .

﴿ خَالِدِينَ ﴾ يعني في الثواب كخلود أهل النار في العقاب .

﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه وعد الله لهم بالجزاء فسألوه الوفاء فوفاه ، وهو معنى قول ابن عباس .

الثاني : الملائكة تسأل الله لهم فيجابون إلى مسألتهم ، وهو معنى قول محمد بن كعب القرظي .

الثالث : أنهم سألوا الله الجنة في الدنيا ورَغِبُوا إليه بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأعطاهم ما طلبوا ، وهو معنى قول زيد بن أسلم .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ

---

(١٣٩) رواه ابن جرير (١٨/١٨٨) وأحمد (٣/١٥٢ ، ١٥٣) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٤٠) نسبته لابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أنس مرفوعاً وقال السيوطي سنده صحيح ولفظه « إن أول ما يكسى حلته من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم . . . . . الحديث .

قلت : وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف كما هو معلوم .

مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه حَشْرُ الموت ، قاله مجاهد .

الثاني : حشر البعث ، قاله ابن عباس .

﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال مجاهد : هم عيسى وعزير والملائكة .

﴿ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ ﴾ وهذا تقرير لإكذاب من ادّعى ذلك عليهم وإن خرج مخرج الإستفهام .

وفيمن يقال له ذلك القول قولان :

أحدهما : أنه يقال هذا للملائكة ، قاله الحسن .

الثاني : لعيسى وعزير والملائكة ، قاله مجاهد .

﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي أخطأوا قصد الحق فأجابوا بأن :

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما كنا نواليهم على عبادتنا .

الثاني : ما كنا نتخذهم لنا أولياء .

﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : متعهم بالسلامة من العذاب ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : بطول العمر ، حكاه النقاش .

الثالث : بالأموال والأولاد .

﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : حتى تركوا القرآن ، قاله ابن زيد .

الثاني : حتى غفلوا عن الطاعة .

الثالث : حتى نسوا الإحسان إليهم والإنعام عليهم .

﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني هلكىٰ ، قاله ابن عباس ، مأخوذ من البوار وهو الهلاك .

الثاني : هم الذين لا خير فيهم ، قاله الحسن مأخوذ من بوار الأرض وهو تعطلها من الزرع فلا يكون فيها خير .

الثالث : أن البوار الفساد ، قاله شهر بن حوشب وقتادة ، مأخوذ من قولهم بارت إذا كسدت كساد الفاسد ومنه الأثر المروي : نعوذ بالله من بوار الأيم ، وقال عبد الله بن الزِبعرىٰ(١٤٠) :

يا رسول المليك إن لساني . راتق ما فتقت إذ أنا بُور

﴿ فقد كذبوكُمْ بما تقولون ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الملائكة والرسل قد كذبوا الكفار فيما يقولون أنهم اتخذوهم أولياء من دونه ، قاله مجاهد .

الثاني : أن المشركين كذبوا المؤمنين فيما يقولونه من نبوة محمد ﷺ ، قاله ابن زيد .

﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : صرف العذاب عنهم ولا ينصرون أنفسهم ، قاله ابن زيد .

الثاني : فما يستطيعون صرف الحجة عنهم ولا نصراً على آلهتهم في تعذيبهم ، قاله الكلبي .

الثالث : فما يستطيعون صرفك يا محمد عن الحق ولا نصر أنفسهم من عذاب التكذيب ، حكاه عيسى .

---

(١٤٠) وقيل هو بيت لعبد الله بن رواحة حين أسلم عند فتح مكة أورده الطبري (١٩١/١٨) ومجاز القرآن (٧٣/٢) وغريب القرآن (٣١١) واللسان (بور) والقرطبي (٣ [illegible]) وروح المعاني (٢٥٠/١٨) ، وزاد المسير (٧٩/٦) .

الرابع : أن الصرف الحيلة حكاه ابن قتيبة والصرف الحيلة مأخوذ من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال .

وأما قولهم لا يقبل منهم صرف ولا عَدْل ففيه وجهان :

أحدهما : أن الصرف : النافلة ، والعَدل : الفريضة .

الثاني : أن الصرف : الدية ، والعَدل : القود .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه افتتان الفقير بالغني أن يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنياً[١٤١] والأعمى بالبصير أن يقول لو شاء لجعلني مثله بصيراً ، والسقيم بالصحيح أن يقول لو شاء لجعلني مثله صحيحاً ، قاله الحسن .

الثاني : فتنة بالعدوان في الدين ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أن الفتنة صبر الأنبياء على تكذيب قومهم ، قاله يحيى بن سلام .

الرابع : أنها نزلت حين أسلم أبو ذر الغفاري وعمار وصهيب وبلال وعامر بن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وأمثالهم من الفقراء الموالي فقال المستهزئون من قريش : انظروا إلى أتباع محمد من فقرائنا ومَوالينا فنزلت فيهم الآية ، حكاه النقاش .

وفي الفتنة هنا وجهان :

أحدهما : البلاء .

والثاني : الاختبار .

﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ يعني على ما مُحِنْتُمْ به من هذه الفتنة ، وفيه اختصار وتقديره أم لا تصبرون.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ قال ابن جريج : بصيراً بمن يصبر ممن يجزع .

ويحتمل وجهاً آخر : بصيراً بالحكمة فيما جعل بعضكم لبعض فتنة .

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يخافون ولا يخشون ، قاله السدي ، ومنه قول الشاعر[١٤١] :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

أي لم يخش .

الثاني : لا يبالون ، قاله ابن عمير ، وأنشد لخبيب[١٤٢] .

لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلماً على أي حال كان في الله مصرعي

أي ما أبالي .

الثالث : لا يأملون ، حكاه ابن شجرة وأنشد قول الشاعر :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدِّه يوم الحسابِ

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليخبرونا أن محمداً نبي قاله يحيى بن سلام .

---

(١٤١) هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت تقدم تخريجه .

(١٤٢) هو بيت من قصيدة لخبيب بن عدي ذكرها ابن هشام في السيرة (٢/٢١٩/١٨٣) في قصة الرجيع التي قتل فيها خبيب وعاصم وسرد ابن هشام منها ثلاثة عشر بيتاً وقال ومنهم من ينكرها لخبيب.

قلت وقد ذكر البخاري منها بيتين (٦/٣٧٨) وأحمد (٢/٣١٠) وابن سعد (٢/٥٥، ٥٦) والطبري (٣/٢٩) .

والبيت في السيرة : ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

الثاني : ليكونوا رسلاً إلينا من ربهم بدلاً من رسالة محمد ﷺ .
﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيأمرنا باتباع محمد وتصديقه .
﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : تكبـرواْ في أنفسهم لما قـل في أعينهم من إرسال محمـد ﷺ نبياً إليهم .
الثاني : استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم .
﴿وَعَتَـوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾ فيه خمسة أوجه :
أحدها : أنه التجبر، قاله عكرمة .
الثاني : العصيان ، قاله يحيى بن سلام .
الثالث : أنه السرف في الظلم ،حكاه ابن عيسى .
الرابع : أنه الغلو في القول، حكاه النقاش .
الخامس : أنه شدة الكفر، قاله ابن عباس .
قيل أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة ومكرز بن حفص بن الأخنف في جماعة من قريش قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا .
فنزل فيهم قوله تعالىٰ :
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ﴾ فيه قولان :
أحدهما : عند الموت، قاله يحيى بن سلام .
الثاني : يوم القيامة ، قاله مجاهد .
﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني بالجنة ، قاله عطية العوفي : إذا كان يوم القيامة يلقى المؤمن بالبشرىٰ فإذا رأىٰ الكافر ذلك تمناه فلم يره من الملائكة .
﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : معناه معاذ الله أن تكون لكم البشرىٰ يومئذ، قاله مجاهد .
الثاني : معناه : منعنا أن نصل إلى شيء من الخير، قاله عكرمة .
الثالث : حراماً محرماً أن تكون لكم البشرىٰ يومئذ، قاله أبو سعيد الخدري ، والضحاك ، وقتادة ومنه قول الملتمس(١٤٣) :

---

(١٤٣) اللسان «دهرس» روح المعاني (٦/١٩) والطبري (٢/١٩) فتح القدير (٤/٧٠).

حَنَّتْ إلى النخلة القصوى فقلت لها حجْرٌ حرام ألا تلك الدهاريس

وفي القائلين حجراً محجوراً قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة قالوه للكفار، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم الكفار قالوه لأنفسهم، قاله قتادة.

قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ أي عمدنا، قاله مجاهد، قال الراجز(١٤٤):

وقدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال

﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من عمل خيراً لا يتقبل منهم لإحباطه بالكفر، قاله مجاهد.

الثاني: من عمل صالحاً لا يراد به وجه الله، قاله ابن المبارك.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رهج الدواب، قاله علي بن أبي طالب.

الثاني: أنه كالغبار يكون في شعاع الشمس إذا طلعت في كوة، قاله الحسن، وعكرمة.

الثالث: أنه ما ذرته الرياح من يابس أوراق الشجر، قاله قتادة.

الرابع: أنه الماء المراق(١٤٥)، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه الرماد، قاله عبيد بن يعلى.

قوله تعالى ﴿أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً﴾ يعني منزلاً في الجنة من مستقر الكفار في النار.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المستقر في الجنة والمقيل دونها، قاله أبو سنان.

الثاني: أنه عنى موضع القائلة للدعة وإن لم يقيلواْ، ذكره ابن عيسى.

الثالث: أنه يقيل أولياء الله بعد الحساب على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين المقرنين، قاله ابن عباس.

---

(١٤٤) الطبري (١٩/٣) وفتح القدير (٤/٧٠).

(١٤٥) وفي الطبري (١٩/٥) الماء المهراق.

الرابع: لأنه يفرغ من حسابهم وقت القائلة وهو نصف النهار، فذلك أحسن مقيلاً، من مقيل الكفار، قاله الفراء.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَامِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بمعنى على الغمام كما يقال رميت بالقوس وعن القوس ويكون المراد به الغمام المعهود والذي دون السماء لأنه يبقى دونها إذا انشقت غمام.

والقول الثاني: أنه غمام أبيض يكون في السماء ينزله الله على أنبيائه مثل الذي أظل بني إسرائيل، وقد قال في ظل من الغمام فتنشق السماء فيخرج منها.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ يعني أن الملائكة تنزل فيه يوم القيامة، وهو يوم التلاق. الذي يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض.

وفي نزولهم قولان:

أحدهما: ليبشروا المؤمن بالجنة، والكافر بالنار.

الثاني: ليكون مع كل نفس سائق وشهيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قيل هو عقبة بن أبي معيط(١٤٦).

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سبيلاً بطاعة الله. قاله قتادة.

الثاني: طريقاً إلى النجاة، حكاه ابن عيسىٰ.

الثالث: وسيلة عند الرسول يكون وصلة إليه، قاله الأخفش.

---

(١٤٦) وأخرج قصته ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل نسبة، صححه السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٠) من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس.

﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني الشيطان، قاله مجاهد، وأبو رجاء.

الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عمرو بن ميمون.

الثالث: أنه أمية بن خلف، قاله السدي، وذكر أن سبب ذلك أن عقبة وأمية كانا خليلين وكان عقبة يغشىٰ مجلس النبي ﷺ، فقال أمية بن خلف له: بلغني أنك صبوت إلى دين محمد، فقال ما صبوت، قال: فوجهي من وجهك حرام حتى تأتيه فتتفُل في وجهه وتتبرأ منه فأتى عقبة رسول الله ﷺ فتفل على وجهه وتبرأ منه، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله فيه مخبراً عما يصير إليه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ. . .﴾ الآية والتي بعدها. وفلانٌ لا يُثنىٰ ولا يُجمع.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم هجروه بإعراضهم عنه فصار مهجوراً، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم قالوا فيه هجراً أي قبيحاً، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم جعلوه هجراً من الكلام وهو ما لانفع فيه من العبث والهذيان، قاله ابن قتيبة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ في قائل ذلك من الكفار قولان:

أحدهما: أنهم كفار قريش، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقاً، قالوا: هلا أُنزِل عليه جملة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنشجع به قلبك، لأنه معجز يدل على صدقك، وهو معنى قول السدي.

الثاني: معناه كذلك أنزلناه مفرقاً لنثبته في فؤادك.

وفيه وجهان:

أحدهما: لأنه كان أمياً ولم ينزل القرآن عليه مكتوباً، فكان نزوله مفرقاً أُثبتَ في فؤاده، وأَعلَقَ بقلبه.

الثاني: لنثبت فؤادك باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن، فلا تصير بانقطاع الوحي مستوحشاً.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ورسلناه ترسيلاً: شيئاً بعد شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: وفرقناه تفريقاً، قاله إبراهيم.

الثالث: وفصلناه تفصيلاً، قاله السدي.

الرابع: وفسرناه تفسيراً، قاله ابن زيد.

الخامس: وبينّاه تبييناً، قاله قتادة.

روي عن ابن عباس قال[١٤٧]: قال رسول الله ﷺ «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَرَتِّلْهُ تَرْتِيلًا»، فقلت وما الترتيل؟، قال: «بَيِّنْهُ تَبْيِيناً وَلَا تَبْتُرْهُ بَتْرَ الدقلِ، وَلَا تهذه هذّ الشِّعرِ وَلَا يَكُونُ هَمَّ أحدِكُم آخِرَ السُّورَةِ».

---

(١٤٧) أورده في الدر (٨/٣١٤) وقال رواه الديلمي بسند رواه ولفظه إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً وبينه تبيناً ولا تنثره نثر الدقل ولا تهزّه هزّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة (تنبيه): قوله هنا «ولا تبتره بتر الدقل» هكذا أوقع في المخطوطة والمطبوعة وهو خطأ والتصويب من الدر ومن نقلت وقد ورد الحديث من حديث علي مرفوعاً أخرجه العسكري في المواعظ كما في الدر (٨/٣١٤) والله أعلم بسنده.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الرس المعدن، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه قرية من قرى اليمامة يقال له الفلج من ثمود، قاله قتادة.

الثالث: أنه ما بين نجران واليمن إلى حضرموت، قاله بعض المفسرين.

الرابع: أنه البئر.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بئر بأذربيجان، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها البئر التي قتل فيها صاحب ياسين بأنطاكية الشام حكاه النقاش.

الثالث: أن كل بئر إذا حفرت ولم تطو فهي رس قال زهير(١٤٨):

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة ... فهن ووادي الرس كاليد في الفم

وفي أصحاب الرس أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم شعيب، حكاه بعض المفسرين.

الثاني: أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر، قاله عكرمة.

الثالث: أنهم قوم كانوا نزولاً على بئر يعبدون الأوثان، وكانوا لا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلا قتلوه ورسوه فيها، وكان الرس بالشام، قاله الضحاك.

---

(١٤٨) اللسان (رسس) وفتح القدير (٤/ ٧٦).

الـرابع: أنهم قـوم أرسل الله إليهم نبياً فأكلوه وهم أول من عمـل نساؤهم السحر، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ وهي سدوم قرية لوط.

﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة التي أُمـطِرُوا بها، والـذين أتوا عليهـا قريش.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي يعتبرون بها.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ أي لا يخافون بعثاً.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم كان الرجل منهم يعبد حجراً يستحسنه، فإذا رأى أحسن منه عبده وترك الأول، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الحارث بن قيس كان إذا هوى شيئاً عبده، حكاه النقاش.

الثالث: أنه الذي يتبع هواه في كل ما دعا إليه، قاله الحسن، وقتادة.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ناصراً، قاله قتادة.

الثاني: حفيظاً، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: كفيلاً، قاله الكلبي.

الرابع: مسيطراً، قاله السّدي.

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي بسطه على الأرض وفيه وجهان:

أحدهما: أن الظل الليل لأنه ظل الأرض يقبل بغروب الشمس ويدبر بطلوعها.

الثاني: أنه ظل النهار بما حجب من شعاع الشمس.

وفي الفرق بين الظل والفيء وجهان:

أحدهما: أن الظل ما قبل طلوع الشمس والفيء ما بعد طلوعها.

الثاني: أن الظل ما قبل الزوال والفيء ما بعده.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ يعني الظل، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قبض الظل بطلوع الشمس.

الثاني: بغروبها.

﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سريعاً، قاله ابن عباس.

الثاني: سهلاً، قاله أبو مالك.

الثالث: خفياً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿. . . جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ يعني غطاءً لأنه يَسْتُرُكَمَا يستر اللباس.

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأنه مسبوت فيه، والنائم لا يعقل كالميت، حكاه النقاش.

الثاني: يعني راحة لقطع العمل ومنه سمي يوم السبت، لأنه يوم راحة لقطع العمل، حكاه ابن عيسى.

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من النشر والبعث.

الثاني: لانتشار الناس في معايشهم، قاله مجاهد، وقتادة

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ قال أبي بن كعب كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب.

وقيل: لأن الرياح جمع وهي الجنوب والشمال والصبا لأنها لواقح، والعذاب ريح واحدة هي الدبور لأنها لا تلقح.

﴿بُشْراً﴾[149] قرئت بالنون وبالباء فمن قرأ بالنون ففيه وجهان:

أحدهما: أنه نشر السحاب حتى يمطر.

الثاني: حياة لخلقه كحياتهم بالنشور.

ومن قرأ ﴿بُشْراً﴾ بالباء ففيه وجهان:

أحدهما: لأنها بشرى بالمطر.

الثاني: لأن الناس يستبشرون بها.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر لأنه رحمة من الله لخلقه. وتأوله بعض[150] أصحاب الخواطر يرسل رياح الندم بين يدي التوبة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: طاهراً، قاله أبو حنيفة ولذلك جوز إزالة النجاسات بالمائعات الطاهرات.

الثاني: مطهراً، قاله الشافعي ولذلك لم يجوز إزالة النجاسة بمائع سوى الماء.

﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾ وهي التي لا عمارة فيها ولا زرع، وإحياؤها يكون بنبات زرعها وشجرها، فكما أن الماء يطهر الأبدان من الأحداث والأنجاس، كذلك الماء يطهر الأرض من القحط والجدب.

(١٤٩) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو «الحجة في القراءات» ص ٢٨٥ «السبعة في القراءات» ص ٢٨٣.
(١٥٠) ولا دليل على ما قاله أهل الخواطر.

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ فجمع بالماء حياة النبات والحيوان وفي الأناسي وجهان:

أحدهما: أنه جمع إنسي.

الثاني: جمع إنسان.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الفرقان المذكور في أول السورة.

الثاني: أراد الماء الذي أنزله طهوراً.

وفيه وجهان:

أحدهما: يعني قسمنا المطر فلا يدوم على مكان، فيهلك ولا ينقطع عن مكان، فيهلك، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: أنه يصرفه في كل عام من مكان إلى مكان، قال ابن عباس ليس عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه بين عباده.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ليتذكروا النعمة بنزوله.

الثاني: ليتذكروا النعمة بانقطاعه.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ قال عكرمة: هو قولهم مطرنا بالأنواء.

روى الربيع بن صبيح(١٥١) قال: أمطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة فلما أصبح قال النبي ﷺ: **«أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهَا بَيْنَ رَجُلَيْنِ شَاكِرٍ وَكَافِرٍ، فَأَمَّا الشَّاكِرُ فَيَحْمِدُ اللَّهَ عَلَى سُقْيَاهُ وَغِيَاثِهِ وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَقُولُ مطرنا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا»**.

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا

(١٥١) هذا الحديث هنا معضل وقد ورد أصله من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعاً رواه البخاري (٢/٥٢٢) ومسلم (١/٨٣، ٨٤) والنسائي (٣/١٦٤، ١٦٥) وأحمد (١/٨٩).
وورد من حديث ابن عباس مرفوعاً رواه مسلم (١/٨٤) ومن حديث أبي هريرة رواه مسلم (١/٨٤) راجع مرويات الحديث في الدر (٨/٢٨ ـ ٣٢)

مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني إلى ما يدعونك إليه: إما من تعظيم آلهتهم، وإما من موادعتهم.

﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالقرآن.

الثاني: بالإسلام.

﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالسيف.

الثاني: بالغلظة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو إرسال أحدهما إلى الآخر، قاله الضحاك.

الثاني: هو تخليتها، حكاه النقاش وقال الأخفش مأخوذ من مَرَجْتَ الشيء إذا خليته، وَمَرَجَ الوالي الناس إذا تركهم، وأمرجت الدابّة إذا خليتها ترعىٰ، ومنه قول العجاج[152]:

«رَعى بها مَرْج ربيع ممرجاً»

وفي البحرين ثلاثة أقاويل:

أحدها: بحر السماء وبحر الأرض، وهو قول سعيد، ومجاهد.

الثاني: بحر فارس والروم، وهو قول الحسن.

الثالث: بحر العذب وبحر المالح[153].

﴿هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ قال عطاء:

الفرات: العذب، وقيل هو أعذب العذب.

وفي الأجاج: ثلاثة أقاويل:

(١٥٢) شطر من بيت رجز للعجاج في ديوانه ص٩، واللسان مادة رجا والطبري (١٩/ ٢٣).

(١٥٣) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (٦/ ٢٦٥) عن الحسن ولكن عند قوله تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾.

أحدها: أنه المالح، وهو قول عطاء، وقيل: هو أملح المالح.

الثاني: أنه المر، وهو قول قتادة.

والثالث: أنه الحار المؤجج، مأخوذ من تأجج النار، وهو قول ابن بحر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: حاجزاً من البر، وهو قول الحسن، ومجاهد.

الثاني: أن البرزخ: التخوم، وهو قول قتادة.

والثالث: أنه الأجل ما بين الدنيا والآخرة، وهو قول الضحاك.

﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ أي مانعاً لا يختلط العذب بالمالح، ومنه قول الشاعر:

فَرُبَّ في سُرادقٍ محجورِ   سرت إليه من أعالي السور

محجور أي ممنوع.

وتأول بعض المتعمقين في غوامض المعاني أن مرج البحرين قلوب الأبرار مضيئة بالبر، وهو العذب، وقلوب الفجار مظلمة بالفجور وهو الملح الأجاج، وهو بعيد(١٥٤).

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً﴾ يعني من النطفة إنساناً.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾ فالنسب مِن تناسُب كل والد وولد، وكل شيء أضفته إلى شيء عرفته به فهو مناسِبُهُ.

وفي الصهر وجهان:

أحدهما: أنه الرضاع وهو قول طاووس.

الثاني: أنه المناكح وهو معنى قول قتادة، وقال الكلبي: النسب من لا يحل نكاحه من القرابة، والصهر من يحل نكاحه من القرابة وغير القرابة.

وأصل الصهر الاختلاط، فسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها، ومنه قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِم﴾ [الحج: ٢٠] وقيل إن أصل الصهر الملاصقة.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا

---

(١٥٤) وقد أحسن المؤلف بالتعقيب على قول المتعمقين.

﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿... وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾(١٥٥) فيه وجهان:

أحدهما: عوناً(١٥٦)، مأخوذ من المظاهر وهي المعونة. ومعنى قوله ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ أي على أولياء ربه.

الثاني: هيناً، مأخوذ من قولهم ظهر فلان بحاجتي إذا تركها واستهان بها قال تعالى: ﴿وَ ٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُم ظِهْرِياً﴾ [هود: ٩٢] أي هيناً، ومنه قول الفرزدق:

تميم بن زيد(١٥٧) لا تكونن حاجتي ... بظهرٍ فلا يعيا عَلَيّ جوابها

قيل إنها نزلت في أبي جهل(١٥٨).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَن قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، وكان مأخوذاً من الكتاب فلما دعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الإسم سألواْ عنه مسألة الجاهل به فقالواْ ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَن أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

الثاني: أن مسيلمة الكذاب كان يسمى الرحمٰن، فلما سمعوا هذا الإسم في

(١٥٥) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/٨٣). والظهير المظاهر أي المعاون على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله وعلى دينه.

(١٥٦) وهو قول الحسن وابن زيد كما في الطبري (١٩/٢٦) وقول سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك راجع الدر (٦/٢٩٧).

(١٥٧) وفي فتح القدير (٤/٨٣) «تميم بن بدر».

(١٥٨) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٩/٢٧) والسند إليه ضعيف وهو قول الشعبي وعطية العوفي راجع الدر (٦/٢٦٧)

القرآن حسبوه مسيلمة، فأنكروا ما دعوا إليه من السجود له.

والثالث: أن هذا قول قوم كانوا يجحدون التوحيد ولا يقرون بالله تعالى، فلما أمروا أن يسجدوا للرحمٰن ازدادوا نفوراً مع هواهم بما دعوا إليه من الإيمان، وإلا فالعرب المعترفون بالله الذين يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفىٰ كانوا يعرفون الرحمٰن في أسمائه وأنه اسم مسمى من الرحمة يدل على المبالغة في الوصف، وهذا قول ابن بحر.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها النجوم العظام، وهو قول أبي صالح.

الثاني: أنها قصور في السماء فيها الحرس، وهو قول عطية العوفي.

الثالث: أنها مواضع الكواكب.

والرابع: أنها منازل الشمس، وقرىء بُرجاً، قرأ بذلك قتادة، وتأوله النجم.

﴿وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ يعني مضيئاً، ولذا جعل الشمس سراجاً والقمر منيراً، لأنه لما آقترن بضياء الشمس وهَّج حرّها جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما كان ذلك في القمر معدوماً جعله نوراً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَار خِلْفَةً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه جعل ما فات من عمل أحدهما خلفة يقضي في الآخر، قاله عمر ابن الخطاب والحسن.

الثاني: أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل أحدهما أبيض والآخر أسود، قاله مجاهد.

الثالث: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا مضىٰ هذا جاء هذا، قاله ابن زيد ومنه وقول زهير[١٥٩]:

(١٥٩) شرح ديوان زهير: ٥، غريب القرآن ٣١٤، مجاز القرآن (٢/ ٨) اللسان (خلف) ومختار الشعر الجاهلي (٢/ ٨٠).

بهـا العين والآرام يمشين خلفـة وأطـلاؤهـا ينهضن من كـل مجثم

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي يصلي بالنهار صلاة الليل ويصلي بالليل صلاة النهار.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ هو النافلة بعد الفريضة، وقيل نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: علماء وكلماء[١٦٠]، قاله ابن عباس.

الثاني: أعفاء أتقياء، قاله الضحاك.

الثالث: بالسكينة والوقار، قاله مجاهد.

الرابع: متواضعين لا يتكبرون، قاله ابن زيد[١٦١].

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَاماً﴾ الجاهلون فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار.

الثاني: السفهاء.

﴿قَالُواْ سَلَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(١٦٠) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب حكماء والتصويب من الدر (٦/ ٢٧١).

(١٦١) ولا تضاد بين هذه الأقوال وكلها صحيحة ولذلك قال العلامة ابن جرير (١٩/ ٣٣) يقول تعالى ذكره ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

أحدها: قالوا سداداً، قاله مجاهد لأنه قول سليم.

الثاني: قالوا وعليك السلام، قاله الضحاك.

الثالث: أنه طلب المسالمة، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لازماً، قاله ابن عيسىٰ، ومنه الغريم لملازمته وأنشد الأعشىٰ[١٦٢]:

إن يعاقب يكن غَراماً وإن يعـ ـطر جزيلاً فإنه لا يبالي

الثاني: شديداً، قاله ابن شجرة، ومنه سميت شدة المحنة غراماً قال بشر بن أبي خازم[١٦٣]:

ويوم الجفار ويوم النسا ر، كانا عذاباً، وكان غراما

الثالث: ثقيلاً، قاله قطرب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦].

الرابع: أنهم أغرموا بالنعيم في الدنيا عذاب النار، قال محمد بن كعب: إن الله سأل الكفار عن[١٦٤] فأغرمهم فأدخلهم جهنم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم ينفقواْ في معصية الله، والإسراف النفقة في المعاصي، قاله ابن عباس[١٦٥].

الثاني: لم ينفقوا كثيراً فيقول الناس قد أسرفوا، قاله إبراهيم.

الثالث: لا يأكلون طعاماً يريدون به نعيماً ولا يلبسون ثوباً يريدون به جمالاً، قاله يزيد بن أبي حبيب، قال: هؤلاء أصحاب النبي ﷺ كانت قلوبهم على قلب رجل واحد.

---

(١٦٢) ديوانه: ص ٩.

(١٦٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٠) معجم ما استعجم ص ٣٨٥ اللسان(غرم)ونسبه للطرماح والطبري (١٩/ ٣٦).

(١٦٤) هنا حدث سقط في الكلام وتمامه «إن الله سأل الكفارعن [نعمه فلم يردوها إليه] فأغرقهم» وتكملة الكلام نقلناه من الطبري (١٩/ ٣٦) وسنده إلى محمد بن كعب ضعيف ففيه موسى بن جبير الربذي وهو ضعيف.

(تنبيه): كان على محقق المطبوعة أن يلتفت إلى هذا ويكمل الكلام من تفسير الطبري لكن أكمله من عنده وكان الأولى نقله من المصدر.

(١٦٥) لكن الإسناد إليه منقطع رواه ابن جرير (١٩/ ٣٧) ورجحه قوله ابن جرير (١٩/ ٣٨، ٣٩).

الرابع: لم ينفقوا نفقة في غير حقها فإن النفقة في غير حقها إسراف، قاله ابن سيرين.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم يمنعوا حقوق الله فإن منع حقوق الله إقتار، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يعريهم ولا يجيعهم، قاله إبراهيم.

الثالث: لم يمسكوا عن طاعة الله، قاله ابن زيد.

الرابع: لم يقصروا في الحق، قاله الأعمش.

روىٰ معاذ بن جبل(١٦٦) قال: لما نزلت هذه الآية سألت رسول الله ﷺ عن النفقة في الإسراف والإقتار ما هو. فقال: من منع من حق فقد قتر، ومن أعطىٰ في غير حق فقد أسرف.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني عدلاً، قاله الأعمش.

الثاني: أن القوام: أن يخرجوا في الله شطر أموالهم، قاله وهب.

الثالث: أن القوام: أن ينفق في طاعة الله ويكف عن محارم الله(*).

ويحتمل رابعاً: أن القوام ما لم يمسك فيه عزيز ولم يقدم فيه على خطر، والفرق بين القَوام بالفتح والقِوام بالكسر، ما قاله ثعلب: أنه بالفتح الاستقامة والعدل، وبالكسر ما يدوم عليه الأمر ويستقر.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني لا يجعلون لله تعالىٰ

---

(١٦٦) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(*) وفي نسخة للمخطوطة «وهو قول ابن زيد».

شريكاً، ولا يجعلون بينهم وبينه في العبادة وسيطاً.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعني حرم قتلها، وهي نفس المؤمن والمعاهد.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ والحق المستباح به قتلها، ما روي عن النبي ﷺ[١٦٧] أنه قال «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: كُفرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنىً بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْل نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**».

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ والزنىٰ إتيان النساء المحرمات في قبل أو دبر، واللواط زنى في أحد القولين وهو في القول الثاني موجب لقتل الفاعل والمفعول به[١٦٨]، وفي إتيان البهائم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كالزنى في الفرق بين البكر والثيب.

الثاني: أنه يوجب قتل البهيمة ومن أتاها للخبر المأثور فيه[١٦٩].

الثالث: أنه يوجب التعزير. فجمع في هذه الآية بين ثلاث من الكبائر الشرك وقتل النفس والزنى. روى عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود[١٧٠] قال: قلت: يا رسول الله (أو قال غيري): أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَن تَجْعَلَ لِلَّه نِدًّا وَهُوَ خلَقَكَ**»، قال: ثم أي؟ قال: **أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خِيفَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**، قال: ثم أيّ؟ قال: **أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ**» قال فأنزل الله ذلك.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعني هذه الثلاثة أو بعضها.

﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(١٦٧) رواه الترمذي (٢١٥٩) والنسائي (٧/٩٢) وأبو داود (٤٥٠٢) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد صحح سنده الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول (١٠/٢١٥) وللحديث روايات أخرى متقاربة في اللفظ راجعها في جامع الأصول لابن الأثير.

(١٦٨) ويؤيده ما ورد من حديث ابن عباس مرفوعاً» من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» رواه أحمد (٢٧٣٢)(٢٧٢٧) والترمذي (١٤٥٦) وأبو داود (٤٤٦٢) وابن ماجة (٢٥٦١) والبيهقي (٨/٢٣٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٥/٤٠).

(١٦٩) وهو الراجح لما ورد في الحديث «من أتى بهيمة فاقتلوها واقتلوه معها» رواه أحمد (٢٤٢٠) وأبو داود (٤٤٦٤) والترمذي (١٤٥٤) والحاكم (١/٣٥٥) والبيهقي (٨/٢٣٣، ٢٣٤) وحسنه الأرناؤوط في زاد المعاد (٥/٤١).

(١٧٠) رواه البخاري (٨/٣٧٨) وأحمد (١/٢٨٠) ومسلم (١/٩) وابن جرير (١٩/٤١) وزاد في الدر (٦/٢٧٦) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أحدها: أن الأثام العقوبة قاله بلعام بن قيس[١٧١]:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

الثاني: أن الأثام اسم واد في جهنم، قاله ابن عمر، وقتادة، ومنه قول الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك تلقى أثاما

الثالث: الجزاء، قاله السدي، وقال الشاعر[١٧٢]:

وإن مقامنا ندعو عليكم بأبطح ذي المجاز له أثامُ

﴿يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: أنها الجمع بين عقوبات الكبائر المجتمعة.

الثالث: أنها استدامة العذاب بالخلود.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ أي يخلد في العذاب بالشرك.

﴿مُهَاناً﴾ بالعقوبة.

﴿إلَّا مَن تَابَ﴾ يعني من الزنى.

﴿وَءَامَنَ﴾ يعني من الشرك. ﴿وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾ يعني بعد السيئات.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: في الدنيا يبدلهم بالشرك إيماناً، وبالزنى إحصاناً وبذكر الله بعد نسيانه، وبطاعته بعد عصيانه، وهذا معنى قول الحسن، وقتادة.

الثاني: أنه في الآخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات، قاله أبو هريرة.

الثالث: أنه يبدل الله عقاب سيئاته إذا تاب منها بثواب حسناته إذا انتقل إليها، قاله ابن بحر.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما تقدم قبل التوبة.

﴿رَحِيماً﴾ لما بعدها.

وحكى الكلبي أن وحشياً وهو عبد عتبة بن غزوان كتب بعد وقعة أحد وقَتْلِ

---

(١٧١) وقيل هو شافع الليثي.
والبيت في غريب القرآن (٣١٥) وفي القرآن (٢ / ٨١) واللسان (إثم) والطبري (١٩ / ٤٠).

(١٧٢) وهو بشر بن أبي خازم والبيت في اللسان مادة (أثم).
وشطره الأول «وكان مقامنا ندعو عليهم».

حمزة إلى النبي ﷺ: هل من توبة؟ فإن الله أنزل بمكة إياسي من كل خير ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ﴾ الآية وإن وحشياً قد فعل هذا كله، وقد زنى وأشرك وقتل النفس التي حرم الله، فأنزل الله ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي من الزنى وآمن بعد الشرك وعمل صالحاً بعد السيئات، فكتب بها رسول الله ﷺ إليه فقال وحشي: هذا شرط شديد ولعلي لا أبقى بعد التوبة حتى أعمل صالحاً، فكتب لرسول الله ﷺ: هل من شيء أوسع من هذا؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، فكتب بها رسول الله ﷺ إلى وحشي. فأرسل وحشي إلى النبي ﷺ: إني لأخاف أن لا أكون في مشيئة الله، فأنزل الله في وحشي وأصحابه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. فبعث بها رسول الله ﷺ إلى وحشي إلى النبي ﷺ فأسلم.

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه الشرك بالله، قاله الضحاك(١٧٣)، وابن زيد.

الثاني: أنه أعياد أهل الذمة وشبهه، قال ابن سيرين هو الشعانين.

الثالث: أنه الغناء، قاله مجاهد.

الرابع: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس.

الخامس: أنه لعب كان في الجاهلية، قاله عكرمة.

السادس: أنه الكذب، قاله ابن جريج، وقتادة.

السابع: أنه مجلس كان يشتم فيه النبي ﷺ، قاله خالد بن كثير.

---

(١٧٣) رواه الطبري (١٩/٤٨) وسنده إليه ضعيف فيه جويبر وهو متروك.

ويحتمل ثامناً: أنه العهود على المعاصي[١٧٤].

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه ما كان يفعله المشركون من أذية المسلمين في أنفسهم وأعراضهم فيعرضوا عنهم وعن أذاهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم إذا ذكروا النكاح كَنّوا عنه، حكاه العوّام[١٧٥].

الثالث: أنهم إذا ذكروا الفروج كَنّوا عنها، قاله محمد بن علي الباقر رحمه الله.

الرابع: أنهم إذا مروا بإفك المشركين ينكروه، قاله ابن زيد.

الخامس: أن اللغو هنا المعاصي كلها، ومرهم بها كراماً إعراضهم عنها، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: وإذا مروا بالهزل عدلوا عنه إلى الجد.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بوعده ووعيده.

الثاني: بأمره ونهيه.

﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ يعني سمعوا الوعظ فلم يصموا عنه وأبصروا الرشد فلم يعموا عنه بخلاف من أصمه الشرك عن الوعظ وأعماه الضلال عن الرشد.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا﴾ وجهان:

أحدهما: لم يقيموا، قاله الأخفش.

الثاني: لم يتغافلوا، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى ﴿. . . رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، قاله الكلبي.

الثاني: ارزقنا من أزواجنا ومن ذرياتنا أعواناً ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي أهل طاعة تقر بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح، وفي الآخرة بالجنة.

وفي قرة العين وجهان:

---

(١٧٤) قال الشوكاني رحمه الله (٤/ ٨٩) والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الزور بل المراد الذين لا يحضرون مايصدق عليه اسم الزور كائناً ما كان» أهـ وبنحوه قال الطبري (١٩/ ٤٩).

(١٧٥) أي عن مجاهد كما رواه الطبري (١٩/ ٤٩).

أحدهما: أن تصادف ما يرضيهما فتقر على النظر إليه دون غيره.

الثاني: أن القرّ البرد فيكون معناة برّد الله دمعها، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة [الحزن] حارة، وضد قرة العين سخنة العين، قاله الأصمعي.

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أمثالاً، قاله عكرمة.

الثاني: رضاً، قاله جعفر الصادق.

الثالث: قادة إلى الخير، قاله قتادة.

الرابع: أئمة هدى يُهْتَدىٰ بنا، قاله ابن عباس.

الخامس: نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا، قاله مجاهد.

وفي الآية دليل على أن طلب الرياسة في الدين ندب.

أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الغرفة الجنة، قاله الضحاك.

الثاني: أنها أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى منازل الدنيا، حكاه ابن شجرة.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما صبروا عن الشهوات، قاله الضحاك.

الثاني: بما صبروا على طاعة الله.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بقاء دائماً.

الثاني: ملكاً عظيماً.

﴿وَسَلَاماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها جماع السلامة الخير.

الثاني : هو أن يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، قاله الكلبي .

ولأصحاب الخواطر في التحية والسلام وجهان :

أحدهما : التحية على الروح والسلام على الجسد .

الثاني : أن التحية على العقل والسلام على النفس .

قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما يصنع ، قاله مجاهد ، وابن زيد .

الثاني : ما يبالي ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لولا عبادتكم وإيمانكم به ، والدعاء العبادة .

الثاني : لولا دعاؤه لكم إلى الطاعة ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : لولا دعاؤكم له إذا مسكم الضر وأصابكم السوء رغبة إليه وخضوعاً إليه .

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كذبتم برسلي .

الثاني : قصرتم عن طاعتي مأخوذ من قولهم قد كذب في الحرب إذا قصّر .

﴿لِزَامًا﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر ، قاله ابن مسعود وأُبي .

الثاني : عذاب الآخرة في القيامة ، قاله قتادة .

الثالث : أنه الموت ، قاله محمد بن كعب ، ومنه قول الشاعر :

يولي عند حاجتها البشير ... ولم أجزع من الموت اللزام

الرابع : هو لزوم الحجة في الآخرة على تكذيبهم في الدنيا ، قاله الضحاك ، وأظهر الأوجه أن يكون اللزام الجزاء للزومه ، والله أعلم .



مكية كلها، وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها نزلن بالمدينة من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

قوله ﴿طسٓمٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، والمقسم عليه ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم﴾، قاله ابن عباس(١٧٦).

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه من الفواتح التي افتتح الله بها كتابه، قاله الحسن.

(١٧٦) تقدم الكلام على أوائل السور في صدر سورة البقرة فراجعه وأما قول ابن عباس هنا فقد رواه الطبري (٥٨/١٩) وسنده منقطع.

الرابع: أنها حروف هجاء مقطعة من أسماء الله وصفاته:

أما الطاء ففيها قولان:

أحدها: أنها من الطول.

الثاني: أنها من الطاهر.

وأما السين ففيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من القدوس.

الثاني: أنها من السميع.

الثالث: من السلام.

وأما الميم ففيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من المجيد.

الثاني: من الرحيم.

الثالث: من الملك.

ولأصحاب الخواطر في تأويل ذلك قولان:

أحدهما: (١٧٧) أن الطاء شجرة طوبىٰ، والسين سدرة المنتهىٰ، والميم محمد المصطفى ﷺ.

الثاني: أن الطاء طرب التائبين، والسين ستر الله على المذنبين، والميم معرفته بالغاوين، وقد ذكرنا في تفسير ﴿الٓمٓ﴾ من زيادة التأويلات ما يجزىء تخريجه قبل هذا الموضع.

قوله ﴿بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاتل نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والبخع القتل، قاله ذو الرمة(١٧٨):

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... بشيءٍ نحته عن يديه المقادِرُ

الثاني: محرج نفسك، قاله عطاء، وابن زيد.

---

(١٧٧) وهو قول جعفر الصادق كما في زاد المسير (٦/١١٥).

(١٧٨) هو ذو الرمة والبيت في ديوانه: ص ٢٥١ ومجاز القرآن (١/٣٩٣) والطبري (١٥/١٩٤) واللسان (بخع) ونسبه الألوسي في روح المعاني (١٩/٥٨) للفرزدق فأخطأ.

قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: ما عظم من الأمور القاهرة.

الثاني: ما ظهر من الدلائل الواضحة.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية.

الثاني: أنه أراد أصحاب الأعناق فحذفه وأقام المضاف إليه مقامه، ذكره ابن عيسىٰ.

الثالث: أن الأعناق الرؤساء، ذكره ابن شجرة، وقاله قطرب.

الرابع: أن العنق الجماعة من الناس، من قولهم: أتاني عنق من الناس أي جماعة، ورأيت الناس عنقاً إلى فلان، ذكره النقاش.

قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي نوع معه قرينة من أبيض وأحمر، وحلو وحامض.

﴿كَرِيمٍ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: حسن، قاله ابن جبير.

الثاني: أنه مما يأكل الناس والأنعام، قاله مجاهد.

الثالث: أنه النافع المحمود كما أن الكريم من الناس هو النافع المحمود.

الرابع: هم الناس نبات الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح: ١٧] فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ

﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي أخاف أن يضيق قلبي وفيه وجهان:

أحدهما: بتكذيبهم إياي، قاله الكلبي.

الثاني: بالضعف عن إبلاغ الرسالة.

﴿وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ (١٧٩) فيه وجهان:

أحدهما: من مهابة فرعون، قاله الكلبي.

الثاني: للعقدة التي كانت به.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي ليكون معي رسولاً، لأن هارون كان بمصر حيث بعث الله تعالىٰ موسى نبياً.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ فتكون علي بمعنى عندي، وهو قول المفضل، وأنشد قول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدَّعي ... علي ذَنْبا كلّه لم أصْنَعِ

والثاني: معناه ولهم عليّ عقوبة ذنب.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ قد خاف موسى أن يقتلوه بالنفس التي قتلها، فلا يتم إبلاغ الرسالة لأنه يعلم أن الله تعالى بعثه رسولاً تكفل بعونه على تأدية رسالته.

قوله عز وجل: ﴿فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أرْسَلَنا رب العالمين، حكاه ابن شجرة.

والثاني: معناه أن كل واحد منا رسول رب العالمين، ذكره ابن عيسى.

والثالث: معناه إنا رسالة رب العالمين، قاله أبو عبيدة، ومنه قول كثير(١٨٠):

لقد كَذَّب الواشون ما بُحْتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

أي رسالة.

---

(١٧٩) قال العلامة الألوسي (١٩/ ٦٥) «وهذا الكلام منه عليه السلام ليس تشبث بأذيال العلل والـ عن امتثال أمره عز وجل وتلقيه بالسمع والطاعة بل هو تمهيد عذر في استدعاء عوناً له على الامتثال وإقامة الدعوة على أتم وجه فإن ما ذكره ربما يوجب اختلال الدعوة وانتباذ الحجة وقد تضمن هذا الاستدعاء قوله تعالى «فارسل إلى هارون».

(١٨٠) اللسان مادة (رسل)، الطبري (١٩/ ٦٥) روح المعاني (١٩/ ٦٧).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ أي صغيراً، لأنه كان في داره لقيطاً.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ لم يؤذن له في الدخول عليه سنة، وخرج من عنده عشر سنين، وعاد إليه يدعوه ثلاثين سنة، وبقي بعد غرقه خمسين سنة، قال ذلك امتناناً عليه.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل النفس.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أي على ديننا الذي لا تقول إنه كفر، وهو قول السدي.

الثاني: من الكافرين لإحساني إليك وفضلي عليك(١٨١)، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني قتل النفس، قال المفضل: ومعنى إذن لموجب(*).

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: من الجاهلين(١٨٢)، وهو قول مجاهد لا يعلم أنها تبلغ.

والثاني: من الضالين عن النبوة، لأن ذلك كان قبل الرسالة، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: من الناسين، وهو قول ابن زيد، كما قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرَىٰ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه أن اتخاذك بني إسرائيل عبيداً قد أحبط نعمتك التي تمن عليّ، وهذا قول عليّ بن عيسى.

---

(١٨١) وقال ابن زيد في قوله ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ قال: ربيناك فينا وليداً فهذا الذي كافأتنا أن قتلت منا نفساً وكفرت بنعمتنا.

رواه الطبري (١٩/٦٦) واختاره ورجحه على قول السدي.

(*) هنا عبارة غير واضحة في الأصول.

(١٨٢) واختاره ابن جرير (١٩/٦٧) والألوسي (١٩/٦٩) والشوكاني (٤/٩٦) والزمخشري (٣/١١٠).

والثاني: معناه أنك لما ظلمت بني إسرائيل ولم تظلمني، أعددت ذلك نعمة تمنّ بها عليّ؟ قاله الفراء.

والثالث: أنه لم تكن لفرعون على موسىٰ نعمة لأن الذي رباه بنو إسرائيل بأمر فرعون لاستعباده لهم، فأبطل موسىٰ نعمته لبطلان استرقاقه.

والرابع: أن فرعون أنفق على موسى في تربيته من أموال بني إسرائيل التي أخذها من أكسابهم حين استعبدهم، فأبطل موسىٰ النعمة وأسقط المنة، لأنها أموال بني إسرائيل لا أموال فرعون، وهذا معنىٰ قول الحسن.

وفي التعبيد وجهان:

أحدهما: أنه الحبس والإذلال، حكاه أبان بن تغلب.

الثاني: أنه الاسترقاق، فالتعبيد الاسترقاق، سمي بذلك لما فيه من الإذلال، مأخوذ من قولهم طريق معبد، ومنه قول طرفة بن العبد(١٨٣):

تبارى عناقاً ناجيات وأتبعت ... وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ مُعَبَّدِ

أي طريق مذلل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى

(١٨٣) ديوان الستة الجاهليين ٣١، الطبري (١٦١/١) ونسباه إلى طرفة بن العبد كما هنا وأورده صاحب اللسان (عبد) ونسبه لبشر بن أبي خازم.

﴿ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ قال سعيد بن جبير: كانت من عوسج، قال الحكيم: ولم يسخر العوسج لأحد بعده، وقال الكلبي: كانت من آس الجنة عشرة أذرع على طول موسى.

﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الحية الذكر، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اعتم الحيات الصفر شعراء العنق، حكاه النقاش.

﴿مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبين أنه ثعبان.

الثاني: مبين أنها آية وبرهان، وكان فرعون قد همّ بموسىٰ، فلما صارت العصا ثعباناً فَاغِراً فَاهُ خافه ولاَذَ بموسى مستجيراً وَوَلَّىٰ قومُه هرباً حتىٰ وطىء بعضهم على بعض، قال ابن زيد: وكان اجتماعهم بالإسكندرية، قال الزجاج: روي أن السحرة كانوا اثني عشر ألفاً، وقيل: تسعة عشر ألفاً.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي تشيرون لأنه لا يجوز أن يأمر التابع المتبوع، فجعل المشورة أمراً لأنها على لفظه.

ويحتمل استشارته لهم وجهين:

أحدهما: أنه أراد أن يستعطفهم لضعف نفسه.

الثاني: أنه أذهله ما شاهد فحار عقله فلجأ إلى رأيهم وهو يقول أنا ربكم الأعلى، وقد خفي عليه تناقض الأمرين خذلاناً[١٨٤].

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا﴾

(١٨٤) هذه حيلة يديرها الطغاة في كل عصر وفي كل مصر لانخداع الناس حينما يرون أن كراسيهم على وشك الانهيار وأن عروشهم على وشك الاهتزاز فتراهم يطلقون التهم على عباد الله الأبرياء من الدعاة انظروا انهم يريدون الحكم. إنهم متعصبون... إنهم إرهابيون.. إنهم متطرفون ويظهرون بذلك حرصهم على الجماهير الغافلة المخدوعة.

لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أخره وأخاه، قاله ابن عباس.

الثاني: احبسه وأخاه، قاله قتادة.

وفي مشورتهم على فرعون بإرجائه ونهيهم له عن قتله ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم خافوا إن قتلوه أن يفتن الناس بما شاهدوه منه، وأمّلوا إن جاء السحرة أن يغلبوه.

الثاني: أنهم شاهدوا من فعله ما بهر عقولهم، فخافوا الهلاك من قتله.

الثالث: أن الله صرفهم عن ذلك تثبيتاً لدينه وتأييداً لرسوله.

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ في الشرذمة وجهان:

أحدهما: أنهم سفلة الناس وأدنياؤهم، قاله الضحاك، ومنه قول الأعشى:

وهم الأعبد في أحيائهم ... لعبيدٍ وتراهم شرذمة

الثاني: أنهم العصبة الباقية من عصبة كبيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة، ويقال لما قطع من فضول النعال من الجلد شراذم، وللقميص إذا خلق شراذم، وأنشد أبو عبيدة[١٨٥]

جاء الشتاء وقميصي أخلاق ... شراذم يضحك منها التواق

واختلف في عدد بني إسرائيل حين قال فرعون فيهم: إنهم لشرذمة قليلون، على أربعة أقاويل:

أحدها: ستمائة وتسعين[١٨٦] ألفاً، قاله ابن مسعود.

الثاني: ستمائة وعشرون ألفاً، قال مقاتل: لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره، وهو قول السدي.

الثالث: كانوا ستمائة ألف[١٨٧] مقاتل، قاله قتادة.

الرابع: كانو خمسمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة، وإنما استقل هذا العدد لأمرين:

أحدهما: لكثرة من قتل منهم.

الثاني: لكثرة من كان معه، حكى السدي أنه كان على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ليس فيها ماديانه[١٨٨]، وقال الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ﴾[١٨٩] قراءة ابن كثير ونافع، وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿حَاذِرُونَ﴾ وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهما لغتان ومعناهما واحد، حكاه ابن شجرة وقاله أبو عبيدة واسْتَشْهَد بقول الشاعر:

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذره

---

(١٨٥) اللسان (شرذم) وفتح القدير (٤/ ١٠٠) والشطر الثاني فيه «شراذم يضحك منها الخلائق».

(١٨٦) والذي في الطبري (١٩/ ٧٥) والدر (٦/ ٢٩٥) عن ابن مسعود أن العدد ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

(١٨٧) وهو قول ابن عباس.

(١٨٨) وفي الدر (٦/ ٢٩٤) من رواية ابن أبي حاتم [ليس فيها ما ذيانه].

(١٨٩) كذا هي قراءة يعقوب وأبي جعفر راجع المبسوط في القراءات ص ٣٢٧.

الثاني: أن الحذر المطبوع على الحذر، والحاذر الفاعل الحذر، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أن الحذر الخائف والحاذر المستعد.

الرابع: أن الحذر المتيقظ، والحاذر آخذ السلاح، لأن السلاح يسمى حذراً قال الله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُم﴾ [النساء: ١٠٢] أي سلاحكم، وقرأ ابن عامر: ﴿حَادِرُونَ﴾(١٩٠) بدال غير معجمة وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أقوياء من قولهم جمل حادر إذا كان غليظاً.

الثاني: مسرعون.

قوله تعالى: ﴿وكُنُوزٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الخزائن.

الثاني: الدفائن.

الثالث: الأنهار، قاله الضحاك.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: مجالس الأمراء، حكاه ابن عيسى.

الثالث: المنازل الحسان، قاله ابن جبير.

ويحتمل رابعاً: أنها مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عُدة وزينة فصار مقامها أكرم منزول.

فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ

(١٩٠) وهي قراءة ابن عامر، انظر السبعة في القراءات، الحجة في القراءات.

نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: حين أشرقت الشمس بالشعاع، قاله السدي.

الثاني: حين أشرقت الأرض بالضياء، قاله قتادة.

الثالث: أي بناحية المشرق، قاله أبو عبيدة.

قال الزجاج: يقال شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت.

واختلف في تأخر فرعون وقومه عن موسى وبني إسرائيل حتى أشرقوا على قولين:

أحدهما: لاشتغالهم بدفن أبكارهم لأن الوباء في تلك الليلة وقع فيهم.

الثاني: لأن سحابة أظلتهم فخافوا وأصبحوا، فانقشعت عنهم.

وقرىء ﴿مُشَرِّقِينَ﴾ بالتشديد[١٩١] أي نحو المشرق، مأخوذ من قولهم شرّق وغرّب، إذا سار نحو المشرق والمغرب.

﴿قَالَ: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي سيرشدني إلى الطريق.[١٩٢]

الثاني: معناه سيكفيني، قاله السدي.

و ﴿كَلَّا﴾ كلمة توضع للردع والزجر، وحكي أن موسى لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر فقال لقومه: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال موسىٰ فأيكم يدري أين قبره؟ قالوا: ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل فأرسل إليها

---

(١٩١) الحجة في القراءات، السبعة في القراءات.

(١٩٢) زاد المسير (٦/١٢٦)، السبعة في االقراءات.

فقال: دلِّيني على قبر يوسف، قالت: لا والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فثقل عليه فقيل له أعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واستخرجوا عظامه، فلما أقلوها فإذا الطريق مثل ضوء النهار.

فروى أبو بردة عن أبي موسى[١٩٣]: أن النبي ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ: **حَاجَتُكَ**؟ قال له: ناقة أرحلها وأعنزاً أحلبها فقال رسول الله ﷺ: «**أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ** فقال الصحابة: وما عجوز بني إسرائيل **فَذَكَرَ لَهُم حَالَ هَـٰذِهِ العَجُوزِ الَّتِي حَكَمَت عَلَى مُوسَىٰ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ**».

قوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَانفَلَقَ**﴾ روى عكرمة عن ابن عباس أن موسى لما بلغ البحر واتبعه فرعون قاله له فتاهُ يوشع بن نون: أين أمرك ربك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، ثم ذكر أنه أمر أن يضرب بعصاه البحر فضربه، فانفلق له اثنا عشر طريقاً وكانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط طريق، عرض كل طريق فرسخان.

وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكناً لا يتحرك، فلما كان ليلة ضربه موسى بالعصا صار يمد ويجزر.

وحكى النقاش: أن موسىٰ ضرب بعصاه البحر وقد مضىٰ من النهار أربع ساعات، وكان يوم الاثنين عاشر المحرم وهو يوم عاشوراء، قال: والبحر هو نهر النيل ما بين إيلة ومصر وقطعوه في ساعتين، فصارت ست ساعات.

﴿**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ أي كالجبل العظيم، قاله امرؤ القيس:

فبينا المرءُ في الأحياء طَودٌ رماه الناس عن كَثَبٍ فمالا[١٩٤]

وكان الأسباط لا يرى بعضهم بعضاً فقال كل سبط: قد هلك أصحابنا فدعا موسى ربه فجعل في كل حاجز مثل الكوى حتىٰ رأى بعضهم بعضاً.

---

(١٩٣) هذه القصة بما فيها حديث أبي موسى كلها مرفوعة وقد سبق الكلام عليها وعلى تخريجها في سورة يوسف في آخرها.

(١٩٤) ديوان: ٣١٠، فتح القدير (١٠٢/٤).
ورواية الديوان:

وبينا كان في الأحياء طوراً رماه الدهر عن كثب فمالا

قوله تعالى : ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : قربنا إلى البحر فرعون وقومه، قاله ابن عباس، وقتادة، ومنه قول الشاعر[١٩٥] :

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

الثاني : جمعنا فرعون وقومه في البحر، قاله أبو عبيدة، وحكي عن أُبي وابن عباس أنهما قرآ[١٩٦]: ﴿وَأَزْلَقْنَا﴾ بالقاف من زلق الأقدام، كأقدام فرعون أغرقهم الله تعالى في البحر حتى أزلقهم في طينه الذي في قعره.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الذي خلقني بنعمته فهو يهدين لطاعته.

الثاني : الذي خلقني لطاعته فهو يهديني لجنته، فإن قيل فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها إبراهيم دليلاً على هدايته ولم يهتد بها غيره؟

قيل : إنما ذكرها احتجاجاً على وجوب الطاعة، لأن من أنعم وجب أن يطاع ولا يُعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها، وهذا إلزام صحيح ثم فصل ذلك بتعديد نعمه عليه وعليهم فقال :

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

وهذا احتجاجاً عليهم لموافقتهم له ثم قال :

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ وهذا قاله استدلالاً ولم يقله احتجاجاً، لأنهم خالفوه فيه، فبين لهم أن ما وافقوه عليه موجب لما خالفوه فيه.

وتجوز بعض المتعمقة في غوامض المعاني فعدل بذلك عن ظاهره إلى ما

---

(١٩٥) فتح القدير (١٠٢/٤)

(١٩٦) وهي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي رجاء والضحاك وابن يعمر كما في زاد المسير (١٢٧/٦).

تدفعه بداهة العقول فتأول ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي يطعمني لذة الإيمان ويسقيني حلاوة القبول.

وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وجهان:

أحدهما: إذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته.

الثاني: مرضت بمقاساة الخلق شفاني بمشاهدة الحق.

وتأولوا قوله: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ على ثلاثة أوجه:

أحدها: والذي يميتني بالمعاصي ويحييني بالطاعات.

الثاني: يميتني بالخوف ويحييني بالرجاء.

الثالث: يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة. وهذه تأويلات تخرج عن حكم الاحتمال إلى جهة الاستطراف، فلذلك ذكرناها وإن كان حذفها من كتابنا أَوْلى.

رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه اللب، قاله عكرمة.

الثاني: العلم، قاله ابن عباس.

الثالث: القرآن، قاله مجاهد.

الرابع: النبوة، قاله السدي.

ويحتمل خامساً: أنه إصابة الحق في الحكم.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: مع الأنبياء والمؤمنين.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: بالصالحين من أصفيائك في الدنيا.

الثاني: بجزاء الصالحين في الآخرة ومجاورتهم في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ثناء حسناً في الأمم كلها، قاله مجاهد، وقتادة، وجعله لساناً لانه يكون باللسان.

الثاني: أن يؤمن به أهل كل ملة، قاله ليث بن أبي سليم.

الثالث: أن يجعل من ولده من يقوم بالحق بعده، قاله علي بن عيسىٰ.

ويحتمل رابعاً: أن يكون مصدقاً في جمع الملل وقد أجيب إليه.

قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِي﴾ الآية. في أبيه قولان:

أحدهما: أنه كان يسر الإيمان ويظهر الكفر فعلىٰ هذا يصح الاستغفار له.

الثاني: وهو الأظهر أنه كان كافراً في الظاهر والباطن.

فعلى هذا في استغفاره له قولان:

أحدهما: أنه سأل أن يغفر له في الدنيا ولا يعاقبه فيها.

والثاني: أنه سأل أن يغفر له سيئاته التي عليه والتي تسقط بعفوه.

قوله تعالى: ﴿بِقَلْبٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: سليم من الشك، قاله مجاهد.

الثاني: سليم من الشرك، قاله الحسن، وابن زيد.

الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح.

الرابع: أنه الخالص، قاله الضحاك.

الخامس: أنه الناصح في خلقه، قاله عبد الرحمن بن أبي حاتم.

ويحتمل سادساً: سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرىٰ عند المعاينة[١٩٧].

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(١٩٧) والأولى أن يقال: سلم من هذه الأشياء كلها فسلم من الشهوات ومن الشبهات على حد سواء. راجع إغاثة اللهفان (١/ ٨٢٧).

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٢ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: معناه جمعوا فيها أي النار، قاله ابن عباس.

الثاني: طرحوا فيها على وجوههم، قاله ابن زيد، وقطرب.

الثالث: نكسوا فيها على رؤوسهم، قاله السدي، وابن قتيبة.

الرابع: قلب بعضهم على بعض، قاله اليزيدي، قال الشاعر:

يقول لهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب في القَليب

﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ يعني الآلهة التي يعبدون.

وفي الغاوين قولان:

أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس.

الثاني: الشياطين، قاله قتادة.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أعوانه من الجن.

الثاني: أتباعه من الإنس.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: الملائكة.

الثاني: من الناس.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الشقيق: قاله مجاهد.

الثاني: القريب النسيب، يقال حم الشيء إذا قرب ومنه الحمى لأنها تقرب الأجل، قال قيس بن ذريح:

لعل لبنى اليوم حُمّ لقاؤها ... وببعض بلاء إنَّ ما حُمَّ واقِعُ

وقال ابن عيسى: إنما سمي القريب حميماً لأنه يحمى بغضب صاحبه، فجعله

مأخوذاً من الحمية، وقال قتادة: يذهب الله يومئذٍ مودة الصديق، ورقة الحميم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين يسألون ولا يقنعون.

الثاني: أنهم المتكبرون.

الثالث: سفلة الناس وأراذلهم، قاله قتادة.

الرابع: أنهم الحائكون، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم الأساكفة، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أنهم أصحاب المهن الرذلة كلها.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: بالقتل، قاله محمد بن الحسن.

الثالث: بالشتيمة، قاله السدي. قال أبو داود:

صدّت غواة معدٍّ أن تراجمني   كما يصدون عن لب كجفان

قوله تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾ قال قتادة والسدي: معنا[١٩٨] واقض بيني وبينهم قضاء، وهو أن ينجيه ومن معه من المؤمنين ويفرق الكافرين، ولم يدعُ نوح ربه عليهم إلا بعد أن أعلمه، ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فحينئذ دعا عليهم.[١٩٩]

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الريع الطريق، قاله السدي، ومنه قول المسيب بن علي:

في الآل يخفضها ويرفعها ... ريع يلوح كأنه سحل

السحل: الثوب الأبيض، شبه الطريق به.

الثاني: أنه الثنية الصغيرة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه السوق، حكاه الكلبي.

الرابع: أنه الفج بين الجبلين، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الجبال، قاله أبو صخر[٢٠٠].

السادس: أنه المكان المشرف من الأرض، قاله ابن عباس، قال ذو الرمة[٢٠١]:

طِراق الخوافي مشرق فوق ريعهِ ... ندى ليله في ريشه يترقرق

---

(١٩٨) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب معناه.

(١٩٩) اللسان (ريع) والبيت منسوب فيه إلى المسيب بن علس.

(٢٠٠) قول ابن صخر في الدر (٣١٢/٦) «والريع ما استقبل الطريق بين الجبال والظراب».

(٢٠١) اللسان (ريع)، فتح القدير (١٠٩/٤)، الطبري (٩٣/١٩).

﴿ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ في آية ثلاثة أوجه:

أحدها: البنيان، قاله مجاهد.

الثاني: الأعلام، قاله ابن عباس.

الثالث: أبراج الحمام، حكاه ابن أبي نجيح.

وفي العبث قولان:

أحدها: اللهو واللعب، قاله عطية.

الثاني: أنه عبث العشّارين بأموال من يمر بهم، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: القصور المشيدة، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٢٠٢):

تركنا ديارهم منهم قفاراً وهَدّمنا المصانع والبُروجا

الثاني: أنها مآجل الماء تحت الأرض، قاله قتادة، ومنه قول لبيد(٢٠٣):

بَلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

الثالث: أنها بروج الحمام، قاله السدي(٢٠٤).

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي كأنكم تخلدون باتخاذكم هذه الأبنية، وحكى قتادة: أنها في بعض القراءات: كأنكم خالدون(٢٠٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أقوياء، قاله ابن عباس.

الثاني: هو ضرب السياط، قاله مجاهد.

---

(٢٠٢) فتح القدير (٤/ ١١٠) وفيه:

تركن .... هدّ من ....

(٢٠٣) فتح القدير (٤/ ١١٠).

(٢٠٤) قال العلامة ابن جرير (١٩/ ٩٥، ٩٦) «والصواب من القول في ذلك أن يقال إن المصانع جمع مصنعة من العرب تسمي كل بناء مصنعة وجاز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً أو حصوناً مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ للماء ولا خبر يقطع العذر بأن ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله أنهم كانوا يتخذون مصانع» أ هـ.

(٢٠٥) وفيها قراءة أخرى وهي تخلدون برفع التاء وتسكن الخاء وفتح اللام مخففة وفيها قراءة ثالثة وهي تخلدون بفتح الخاء وتشديد اللام راجع زاد المسير (٦/ ١٣٦).

الثالث: هو القتل بالسيف في غير حق، حكاه يحيى بن سلام.

وقال الكلبي: هو القتل على الغضب.

ويحتمل رابعاً: أنه المؤاخذة على العمد والخطأ من غير عفو ولا إبقاء.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)﴾

قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: دين الأولين، قاله ابن عباس.

الثاني: كدأب الأولين، قاله مجاهد.

الثالث: عادة الأولين، قاله الفراء.

الرابع: يعني أن الأولين قبلنا كانوا يموتون فلا يبعثون ولا يحاسبون، قاله قتادة.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أنه الرطب اللين، قاله عكرمة.

الثاني: المذنب من الرطب، قاله ابن جبير.

الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى، قاله الحسن.

الرابع: أنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتّت، قاله مجاهد.

الخامس: المتلاصق بعضه ببعض، قاله أبو صخر.

السادس: أنه الطلع حين يتفرق ويخضر، قاله الضحاك.

السابع: اليانع النضيج، قاله ابن عباس.

الثامن: أنه المكتنز قبل أن ينشق عنه القشر، حكاه ابن شجرة، قال الشاعر:

كأن حمولة تجلى عليه هضيم ما يحس له شقوقُ

التاسع: أنه الرخو، قال الحسن.

العاشر: أنه اللطيف، قاله الكلبي.

ويحتمل أن يكون الهضيم هو الهاضم المريء.

والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو الظهور، ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات.

قوله تعالى: ﴿فَرِهِينَ﴾[٢٠٦] قرأ بذلك أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وقرأ الباقون ﴿فَارِهِينَ﴾ بالألف فمن قرأ ﴿فَرِهِينَ﴾ ففي تأويله ستة أوجه:

أحدها: شرهين، قاله مجاهد.

الثاني: معجبين، قاله خصيف.

الثالث: آمنين، قاله قتادة.

الرابع: فرحين، حكاه ابن شجرة.

الخامس: بطرين أشرين، قاله ابن عباس.

السادس: متخيرين[٢٠٧]، قاله الكلبي، ومنه قول الشاعر:

إلى فره يماجدُ كلَّ أمْرٍ قصدت له لأختبر الطِّباعَا

ومن قرأ: ﴿فَارِهِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه كيّسين قاله الـ[٢٠٨].

الثاني: حاذقين، قاله أبو صالح، مأخوذ من فراهة الصنعة، وهو قول ابن عباس.

---

(٢٠٦) المبسوط في القراءات ص ٣٢٨، زاد المسير (٦/١٣٨).

(٢٠٧) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب متجبرين وهو قول عطية العوفي.

(٢٠٨) كذا وقع سقط هنا وتهامة من الطبري (١٩/١٠١) هو قول الضحاك.

الثالث: قادرين، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه جمع فارِه، والفاره المرح، قاله أبو عبيدة، وأنشد لعدي بن الرقاع[٢٠٩] الغنوي:

لا أستكين إذا ما أزمةٌ أزمت ولن تراني بخير فاره اللبب

أي من اللبب.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: من المسحورين، قاله مجاهد.

الثاني: من السكرانين، قاله قتادة.

الثالث: من المخلوقين، قاله ابن عباس.

الرابع: من المخدوعين، قاله سهل بن عبدالله.

الخامس: أن المسحر الذي ليس له شيء ولا يملك، وهو المقل، أي لست بملك فيبقى، وهذا معنى قول الكلبي.

السادس: ممن له سحر أي رقية، حكاه ابن عيسى.

السابع: ممن يأكل ويشرب، حكاه ابن شجرة، ومنه قول لبيد[٢١٠]:

إن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

أي المعلل بالطعام والشراب، قال امرؤ القيس[٢١١]:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

---

(٢٠٩) معجم الشعراء ٢٥٢، الطبري (١٠١/١٩) واللسان فرة.

(٢١٠) تقدم تخريج هذا البيت.

(٢١١) ديوانه: ٩٧، وفتح القدير (١١٢/٤).

رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه القبان، قاله الحسن.

الثاني: الحديد، رواه ابن المبارك.

الثالث: أنه المعيار، قاله الضحاك.

الرابع: الميزان، قاله الأخفش والكلبي.

الخامس: العدل.

واختلف قائلو هذا التأويل فيه هل هو عربي أو رومي؟ فقال مجاهد والشعبي: هو العدل بالرومية، وقال أبو عبيدة وابن شجرة: هو عربي وأصله القسط وهو العدل،

ومنه قوله تعالى ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] أي بالعدل.

قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه قولان:

أحدها: معناه ولا تمشوا فيها بالمعاصي، قاله أبو مالك.

الثاني: لا تمشوا فيها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، قاله ابن المسيب.

ويحتمل ثالثاً: أن عبث المفسد ما ضر غيره ولم ينفع نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَالْجِبِلَّةِ﴾ يعني الخليقة، قال امرؤ القيس:

والموت أعظم حادثٍ فيما يمر على الجبلة(٢١٢)

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ يعني الأمم الخالية، والعرب تكسر الجيم والباء من الجبلة، وقد تضمها وربما أسقطت الهاء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾ [يس: ٦٣].

قال أبو ذؤيب:

صناتا يقربن الحتوف لأهلها جهاراً ويستمتعن بالأنس الجبل(٢١٣)

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (١٨٦) فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١)﴾

قوله تعالى: ﴿كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: جانباً من السماء، قاله الضحاك.

الثاني: قطعاً، قاله قتادة.

الثالث: عذاباً، قاله السدي. قال الشاعر:

---

(٢١٢) غريب القرآن (٣٢٠)، مجمع البيان (١٩/١٧٨) فتح القدير (٤/١١٥).

(٢١٣) والبيت في اللسان (جبل)،الطبري (١٩/١٠٨) ووقع في البيت تحريف في أوله هنا وفي المطبوعة. والصواب «منايا يقربن الحتوف لأهلها».

وُدّي لها خالص في القلب مجتمع ... ودها فاعلمي كسف لما فوق

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ يعني القرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني جبريل.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يعني محمد ﷺ.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ يعني لأمتك.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني أن لسان القرآن عربي مبين لأن المنزل عليه عربي، والمخاطبون به عرب ولأنه تحدىٰ بفصاحته فصحاء العرب.

وفي اللسان العربي قولان:

أحدهما: لسان جرهم، قاله أبو برزة.

الثاني: لسان قريش، قاله مجاهد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني كتب الأولين من التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المراد به ذكر القرآن في زبر الأولين(٢١٤)، قاله قتادة.

الثاني: بعث محمد ﷺ في زبر الأولين، قاله السدي.

الثالث: ذكر دينك وصفة أمتك في زبر الأولين، قاله الضحاك.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

(٢١٤) واختاره الطبري (١٩/ ١١٣) ورجحه الشوكاني (٤/ ١١٧) والألوسي (١٩/ ١٢٥) وقال ابن الجوزي (٦/ ١٤٤) وهو قول الأكثرين.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كذلك أدخلنا الشرك. قاله أنس بن مالك.

الثاني: التكذيب، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: القسوة، قاله عكرمة.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لمصروفون عن السمع للقرآن.

الثاني: أنهم مصروفون عن فهمه وإن سمعوه.

الثالث: أنهم مصروفون عن العمل به وإن سمعوه وفهموه.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: حين تقوم في الصلاة، قاله ابن عباس.

الثاني: حين تقوم من فراشك ومجلسك، قاله الضحاك.

الثالث: يعني قائماً وجالساً وعلى حالاتك كلها، قاله قتادة.

الرابع: يعني حين تخلو، قاله الحسن، ويكون القيام عبارة عن الخلوة لوصوله إليها بالقيام عن ضدها.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، قاله ابن عباس.

الثاني: يرىٰ تقلبك في صلاتك وركوعك وسجودك، حكاه ابن جرير.

الثالث: أنك ترىٰ تقلبك في صلاتك من خلفك كما ترىٰ بعينك من قدامك، قاله مجاهد.

الرابع: معناه وتصرفك في الناس، قاله الحسن لتقلبه في أحواله وفي أفعاله.

الخامس: تقلب ذكرك وصفتك على ألسنة الأنبياء من قبلك.

السادس: أن معنى قوله ﴿ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إذا صليت منفرداً ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ إذا صليت في الجماعة، قاله قتادة.

ويحتمل سابعاً: الذي يراك حين تقوم لجهاد المشركين، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ فيما تريد به المسلمين وتشرعه من أحكام الدين.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ﴾ يعني إذا غضبوا سبوا. وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الشياطين، قاله مجاهد.

الثاني: المشركون، قاله ابن زيد.

الثالث: السفهاء، قاله الضحاك.

الرابع: الرواة[٢١٥]، قاله ابن عباس.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في كل فن من الكلام يأخذون[٢١٦]، قاله ابن عباس.

الثاني: في كل لغو يخوضون، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر[٢١٧]:

إني لمعتذر إليك من الذي ... أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

الثالث: هو أن يمدح قوماً بباطل، ويذم قوماً بباطل، قاله قتادة.

وفي الهائم وجهان:

أحدهما: أنه المخالف في القصد، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه المجاوز للحد.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني ما يذكرونه في شعرهم من الكذب بمدح أو ذم أو تشبيه أو تشبيب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تقديره فإنهم لا يتبعهم الغاوون ولا يقولون ما لا يفعلون.

روي أن عبدالله[٢١٨] بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت أتوا رسول الله ﷺ حين نزل ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فبكوا عنده وقالوا: هلكنا يا رسول الله،

---

(٢١٥) قال أبو جعفر الطبري (١٩/١٢٧، ١٢٨) وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنه يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك أن الله عم بقوله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية ا هـ.

(٢١٦) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٤/٢١) قوله ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ أي ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون، وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يمزقون الأرض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس إلى فعل المنكرات كما تسمعه في اشعارهم في مدح الخمر والزنا واللواط ونحوه من الرذائل الملعونة.

(٢١٧) هو عبدالله بن الزبعري.

(٢١٨) رواه الطبري (١٩/١٢٩، ١٣٠) بسنده عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري قال: لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت.... الحديث.

قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٥٥) هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الانصار ففي ذلك نظر. ولم يتقدم آي في سبب النزول إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم.

فأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فقرأها عليهم حتىٰ بلغ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فقال: أنتم.

﴿وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شعرهم.

الثاني: في كلامهم[٢١٩].

﴿وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ أي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين فقاتلوهم عليه نصرة للمؤمنين وانتقاماً من المشركين.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وهذا وعيد يراد به من هجا رسول الله ﷺ من الشعراء لكل كافر من شاعر[٢٢٠] وغير شاعرسيعلمون يوم القيامة أي مصير يصيرون وأي مرجع يرجعون، لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب وهو شر مرجع.

والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار إلى مرجع منقلباً وليس كل منقلب مرجعاً.

---

(٢١٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٥٦/٣) وكلا القولين صحيح مكفِّر لما سبقه.

(٢٢٠) ولذلك قال الحافظ ابن كثير (٣٥٦/٣) والصحيح ان هذه الآية عامة في كل ظالم ا هـ.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي هذه آيات القرآن.

﴿وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ أي وآيات الكتاب المبين، والكتاب هو القرآن، فجمع له بَيْنَ الصفتين بأنه قرآن وأنه كتاب لأنه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة.

﴿مُّبِينٍ﴾ لأنه يبين فيه نهيه وأمره، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده.

وفي المضمر في ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه يعود إلى الحروف التي في ﴿طسٓ﴾ قاله الفراء.

الثاني: إلى جميع السورة.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هدى إلى الجنة وبشرىٰ بالثواب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : هدى من الضلالة وبشرىٰ بالجنة ، قاله الشعبي .

قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة ، وفي إقامتها وجهان :

أحدهما : إستيفاء فروضها وسنتها ، قاله ابن عباس .

الثاني : المحافظة على مواقيتها ، قاله قتادة .

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها زكاة المال ، قاله عكرمة ، وقتادة ، والحسن .

الثاني : أنها زكاة الفطر ؛ قاله الحارث العكلي .

الثالث : أنها طاعة الله والإخلاص ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

الرابع : أنها تطهير أجسادهم من دنس المعاصي .

قوله تعالى : ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يترددون ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : يتمادون ، قاله أبو العالية ، وأبو مالك ، والربيع بن أنس .

الثالث : يلعبون ، قاله قتادة ، والأعمش

الرابع : يتحيرون ، قاله الحسن ، ومنه قول الراجز(٢٢١) :

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجاهلين العمه

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لتأخذ القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : لتوفى القرآن ، قاله السدي .

الثالث : لتلقن القرآن ، قال ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : لتقبل القرآن ، لأنه أوّل من يلقاه عند نزوله .

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي من عند حكيم في أمره ، عليم بخلقه .

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ

(٢٢١) هو رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه : ١٩٩، وقدتقدم تخريجه موسعاً في سورة البقرة .

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رأيت ناراً، قاله أبو عبيدة ومنه سمي الإنسان إنساً لأنهم مرئيون.

الثاني: أحسست ناراً، قاله قتادة، والإيناس: الإحساس من جهة يؤنس بها.

﴿سَئَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سأخبركم عنها بعلم، قاله ابن شجرة.

الثاني: بخبر الطريق، لأنه قد كان ضل الطريق، قاله ابن عباس.

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ والشهاب الشعاع المضيء، ومنه قيل للكوكب الذي يمر ضوؤه في السماء شهاب، قال الشاعر[٢٢٢]:

في كفِّهِ صعدة مثقفة ... فيها سنان كشعلة القبسِ

والقبس هو القطعة من النار، ومنه اقتبست النارَ، أخذت منها قطعة، واقتبست منه علماً إذا أخذت منه علماً، لأنك تستضيء به كما تستضيء بالنار.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي لكي تصطلون من البرد. قال قتادة: وكان شتاء.

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعني ظن أنها نار، وهي نور، قال وهب بن منبه: فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق، لا تزداد النار إلا تضرماً وعظماً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً، فعجب منها ودنا وأهوىٰ إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه فخافها

(٢٢٢) الطبري (١٩/١٣٣) وفتح القدير (٤/١٢٦).

فتأخر عنها، ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن وضع أمْرها على أنها مأمورة ولا يدري ما أمرها، إلى أن:

﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وفي ﴿بُورِكَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قُدِّس، قاله ابن عباس.

الثاني: تبارك، حكاه النقاش.

الثالث: البركة في النار، حكاه ابن شجرة، وأنشد لعبدالله بن الزبير:

فبورك في بنيك وفي بنيهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء

وفي النار وجهان:

أحدهما: أنها نار فيها نور.

الثاني: أنها نور ليس فيها نار، وهو قول الجمهور.

وفي ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: بوركت النار، و ﴿مَن﴾ زيادة، وهي في مصحف أُبي: ﴿بُورِكَتِ النَّارُ وَمَن حَوْلَهَا﴾ قاله مجاهد.

الثاني: بورك النور الذي في النار، قاله ابن عيسى.

الثالث: بورك الله الذي في النور، قاله عكرمة، وابن جبير.

الرابع: أنهم الملائكة، قاله السدي.

الخامس: الشجرة لأن النار اشتعلت فيها وهي خضراء لا تحترق.

وفي قوله: ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾ وجهان:

أحدهما: الملائكة، قاله ابن عباس.

الثاني: موسىٰ، قاله أبو صخر.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن موسىٰ قال حين فرغ من سماع النداء من قول الله: ﴿سبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ استعانة بالله وتنزيهاً له، قاله السدي.

الثاني: أن هذا من قول الله ومعناه: وبورك فيمن يسبح الله رب العالمين، حكاه ابن شجرة. ويكون هذا من جملة الكلام الذي نودي به موسىٰ.

وفي ذلك الكلام قولان:

أحدهما: أنه كلام الله تعالى من السماء عند الشجرة وهو قول السدي. قال وهب بن منبه: ثم لم يمس موسىٰ امرأة بعدما كلمه ربه.

والثاني: أن الله خلق في الشجرة كلاماً خرج منها حتى سمعه موسىٰ[٢٢٣]، حكاه النقاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال وهب: ظن موسى أن الله أمره برفضها فرفضها.

﴿فَلَمَا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجان الحية الصغيرة، سميت بذلك لاجتنانها واستتارها.

والثاني: أنه أراد بالجان الشيطان من الجن، لأنهم يشبهون كل ما استهولوه بالشيطان، كما قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

وقد كان انقلاب العصا إلى أعظم الحيات لا إلى أصغرها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] و[الشعراء: ٣٢].

قال عبدالله بن عباس: وكانت العصا قد أعطاه إياها ملك من الملائكة حين توجه إلى مَدْيَن وكان اسمها: ما شاء، قال ابن جبير: وكانت من عوسج[٢٢٤].

﴿وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولم يرجع، قاله مجاهد، قال قطرب: مأخوذ من العقب.

الثاني: ولم ينتظر، قاله السدي.

الثالث: ولم يلتفت، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: أن يكون معناه أنه بقي ولم يمش، لأنه في المشيء معقب لابتدائه بوضع عقبة قبل قدمه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قيل إنه أراد في الموضع الذي يوحىٰ فيه إليهم، وإلا فالمرسلون من الله أخوف.

---

(٢٢٣) ويلزم من قول النقاش هذا أن الشجرة هي التي قالت لموسى نبي الله إني أنا ربك، وأنني أنا الله والحقيقة أن هذا القول مرذول من أقوال المعتزلة وقد نبهت عليه فيما تقدم. وأما الصواب من القول في ذلك فهو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا.

(٢٢٤) تقدم أنه لا طائل تحت هذا التعيين.

﴿إلَّا مَن ظَلَمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد من غير المسلمين لأن الأنبياء لا يكون منهم الظلم، ويكون منهم هذا الاستثناء المنقطع.

الوجه الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى المرسلين.

وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: فيما كان منهم قبل النبوة كالذي كان من موسى في قتل القبطي، فأما بعد النبوة فهم معصومون فيها من الكبائر(٢٢٥) والصغائر جميعاً.

الوجه الثاني: بعد النبوة فإنهم معصومون فيها مع وجود الصغائر منهم، غير أن الله لطف بهم في توفيقهم للتوبة منها، وهو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يعني توبة بعد سيئة.

﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي غفور لذنبهم، رحيم بقبول توبتهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: فهماً، قاله قتادة.

(٢٢٥) هذا قول كثير من أهل السنة والجماعة وقد تقدم التفصيل في ذلك في سورة الأنبياء.

الثاني : صنعة الكيمياء وهو شاذ.

الثالث: فصل القضاء.

الرابع : علم الدين.

الخامس: منطق الطير.

السادس: بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وحمدهما لله شكراً على نعمه.

وفيما فضلهما به على كثير من عباده المؤمنين ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالنبوة.

الثاني : بالملك.

الثالث: بالنبوة والعلم.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ورث نبوته وملكه، قاله قتادة. قال الكلبي: وكان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً وإنما خص سليمان بوراثته لأنها وراثة نبوة وملك، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء[٢٢٦].

الثاني : أن سخر له الشياطين والرياح، قاله الربيع.

الثالث: أن داود استخلفه في حياته على بني إسرائيل وكانت ولايته هي الوراثة وهو قول الضحاك، ومنه قيل: العلماء ورثة الأنبياء[٢٢٧]، لأنهم في الدين مقام الأنبياء.

---

(٢٢٦) ورجحه ابن كثير (٣٥٨/٣) والألوسي في روح المعاني (١٩/ ١٧٠) وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٦/٦) وغيرهم.

(٢٢٧) جزء من حديث رواه أحمد (١٩٦/٥) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجة (٢٢٣) والدارمي (٩٨/١) وابن حبان (٨٨) والبغوي (١٢٩) والبزار (١٣٦) مختصراً وابن عبد البر في جامع بيان العلم (ص ٦٣، ٦٨) والخطيب في الرحلة (٧٧ ـ ٨١) منهم من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل عن كثير بن قيس أن رجلاً قدم من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق.. الحديث.

وهذا إسناد ضعيف قال ابن عبد البر أما داود بن جميل فمجهول لا يعرف هو ولا أبوه ولا نعلم أحداً روى عنه غير عاصم بن رجاء، وأما كثير بن قيس فروى عن أبي الدرداء وابن عمر وسمع منهما وروى عنه =

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: يساقون، وهو قول ابن زيد.

الثاني: يدفعون، قاله الحسن، قال اليزيدي: تدفع أخراهم وتوقف أولاهم.

الثالث: يسحبون، قاله المبرِّد.

الرابع: يجمعون.

الخامس: يسجنون، قال الشاعر:

لسان الفتى سبع عليه سداته ... وإلا يزع من غَرْبه فهو قاتله

وما الجهل إلا منطق متسرع ... سواءٌ عليه حق أمرٍ وباطله

السادس: يمنعون، مأخوذ من وزعه عن الظلم، وهو منعه عنه، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما وزع الله بالسلطان أكبر مما وزع بالقرآن. وقال النابغة[٢٢٨]:

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا ... وقلت ألما تصدع والشيب وازعُ

والمراد بهذا المنع ما قاله قتادة: أن يُرد أولهم على آخرهم ليجتمعوا ولا يتفرقوا.

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه وادٍ بأرض الشام[٢٢٩]. وقال كعب: هو بالطائف.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ﴾ قال الشعبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير[٢٣٠]، فلذلك علم منطقها، ولولا ذلك، ما علمه[٢٣١].

= داود بن جميل والوليد بن مرة وليسا بالمشهورين. قال الذهبي في الميزان (٢/٥) في ترجمة داود بن جميل قال داود وابن كثير بن قيس عن ابي الدرداء بخبر من سلمك طريقاً يطلب علماً وعنه عاصم بن رجاء بن حيوة حديث مضطرب وضعفه الأزدي وأما ابن حبان فذكره في الثقات وداود لا يعرف كشيخه وقال الدارقطني في العلل عاصم ومن فوقه ضعفاء ولا يصح ا هـ.

وفي التقريب داود وكثير ضعيفان. ولكن للحديث شواهد ومتابعات منها عن أبي هريرة وعائشة ومعاذ وأنس وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٣٣) وراجع الفتح (١/١٦٠).

(٢٢٨) ديوانه: ٣٢ مختار الشعر الجاهلي ١٥٦ والطبري (١٩/١٤٢).

(٢٢٩) قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٥٩) ومن قال من المفسرين هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.

(٢٣٠) انظر التعليق السابق.

(٢٣١) وأما ما نسب إلى أبي حنيفة رحمه الله أن سئل عن نملة سليمان أذكر هي أم أنثى الخ فهذا لا يصح عن=

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي لا يهلكنكم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والنمل لا يشعرون بسليمان وجنوده[٢٣٢]، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: وسليمان وجنوده لا يشعرون بهلاك النمل، وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها. وقيل إن النمل أكثر جنسه حساً لأنه إذا التقط الحبة من الحنطة والشعير للادخار قطعها اثنين لئلا تنبت، وإن كانت كزبرة قطعها أربع قطع لأنها تنبت إذا قطعت قطعتين، فألهم بحسه فرق ما بين الأمرين فلهذا الحس قالت ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ فحكي أن الريح أطارت كلامها[٢٣٣] إلى سليمان حتى سمع قولها من ثلاثة أميال فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمغادرة.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه تبسم من حذرها بالمغادرة.

الثاني: أنه تبسم من ثنائها عليه.

الثالث: أنه تبسم من استبقائها للنمل.

قال ابن عباس: فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ألهمني، قاله قتادة.

الثاني: اجعلني، قاله ابن عباس.

الثالث: حرضني، قاله ابن زيد فحكى سفيان أن رجلاً من الحرس قال لسليمان، أنا بمقدرتي أشكر لله منك، قال فخرّ سليمان عن فرسه ساجداً.

= الإمام رحمه الله راجع روح المعاني (١٧٨/٤٩) وتعليق ابن المنير على الكشاف (٣٥٦/٣).

(٢٣٢) قال العلامة الألوسي (١٧٨/١٩) «وهذا يشعر بأدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده.. وليت من طعن في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم تأسى بها فكف عن ذلك وأحسن الأدب».

(٢٣٣) قال الحافظ ابن كثير (٣٥٨/٣) «ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف اصنافها اهـ.

وفي سبب شكره قولان:

أحدهما: أن علم منطق الطير حتى فهم قولها.

الثاني: أن حملت الريح قولها إليه حتى سمعه قبل وصوله لجنوده على ثلاثة أميال فأمكنه الكف.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شكر ما أنعم به عليه، قاله الضحاك.

الثاني: حفظ ما استرعاه، وهو محتمل.

﴿وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالنبوة التي شرفتني بها.

الثاني: بالمعونة التي أنعمت عليّ بها.

﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في جملة أنبيائك.

الثاني: في الجنة التي هي دار أوليائك.

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قيل إن سليمان كان إذا سافر أظله الطير من الشمس، فأخل الهدهد بمكانه، فبان بطلوع الشمس منه بعده عنه، وكان دليله على الماء، وقيل: إن الأرض كانت كالزجاج للهدهد، يرى ما تحتها فيدل على مواضع الماء حتى يحضر، قال ابن عباس[٢٣٤]: فكانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض، فقال نافع بن الأزرق: فكيف يعلم أقرب الماء إلى الأرض ولا يعلم بالفخ حتى يأخذه بعنقه؟ فقال ابن عباس: ويحك يا نافع ألم تعلم أنه إذا جاء القدر ذهب الحذر؟ فقال سليمان عند زوال الهدهد عن مكانه ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ﴾ أي انتقل عن مكانه أم غاب.

---

(٢٣٤) وهو حديث حسن رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٦، ١٠٧) وحسنه الألباني وأما توقف الألوسي (١٩/١٨٢) فيه بعد ثبوته فلا ينبغي».

﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه نتف ريشه[٢٣٥] حتى لا يمتنع من شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يحوجه إلى جنسه.

الثالث: أن يجعله مع أضداده.

﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بحجه بينة.

الثاني: بعذر ظاهر، قاله قتادة.

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي أقام غير طويل ويحتمل وجهين:

أحدهما: مكث سليمان غير بعيد حتى أتاه الهدهد.

الثاني: فمكث الهدهد[٢٣٦] غير بعيد حتى أتى سليمان.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بلغت ما لم تبلغه، قاله قتادة.

الثاني: علمت ما لم تعلمه، قاله سفيان.

---

(٢٣٥) قال السيوطي في الإكليل ص٢٠١ «يستدل بالآية على جواز تأديب الحيوانات والبهائم بالضرب عند تقصيرها في المشي أو إسراعها أو نحو ذلك وعلى جواز نتف ريش الحيوان لمصلحة بناء على أن المراد بالتعذيب نتف ريشه ا هـ.

(٢٣٦) وهذا القول أظهر رجحه الشوكاني في فتح القدير (١٣٢/٤) والألوسي (١٨٦/١٩) ورجحه ابن كثير (٣٦٠/٣) وقد شرح ابن القيم هذه الآية في مفتاح دار السعادة.

الثالث: اطلعت على ما لم تطلع عليه، قاله ابن عباس، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته، وفي الكلام حذف تقديره: ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن غيبته.

﴿وَجِئْتُكَ مِنَ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يقين﴾ أي بخبر صحيح صدق، وفي ﴿سبأ﴾ قولان:

أحدهما: أنها مدينة بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال، قاله قتادة، قال السدي: بعث الله إلى سبأ اثني عشر نبياً، وقال الشاعر[٢٣٧]:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

الثاني: أن سبأ حي من أحياء اليمن[٢٣٨] واختلف قائلو هذا في نسبتهم إلى هذا، فذهب قوم إلى أنه اسم امرأة كانت أمهم، وروى علقمة عن ابن عباس قال[٢٣٩]: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ فقال «**هُوَ وَلَدُ رَجُلٍ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ فَبِاليَمَنِ مِنهُم سِتةٌ وبالشَّامِ مِنهُم أَربَعَةٌ، فَأَمَّا اليَمَانِيونَ فَمَذحَجُ وَجُهَينَةُ وَكِندَةُ وأنمارُ وَالأَزْدُ وَالأَشعَرِيون وأَمَّا الشامِيون فَلَخْمُ وَجذامُ وعَامِلَةُ وَغسَّانُ**»

وقيل هو سبأ بن يعرب بن قحطان. قال المفضل وسُمِّيَ سبأ لأنه أول من سبا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ آمْرَأَةً تَمْلِكُهُم﴾ قال الحسن: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، وقال زهير بن محمد: هي بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن الديان وأمها فارعة الجنية، وقيل ولدها أربعون ملكاً آخرهم شرحبيل. قال قتادة كان

---

(٢٣٧) هو الجعدي والبيت في اللسان «عرم» وروى البيت في اللسان

من سبأ الحاضرين مأرب إذ شرَّ من دون سيله العرما

(٢٣٨) قال الشوكاني (٤/١٣٤) ولا شك أن سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس وهو أيضاً اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ولكن المراد هنا أن الهدهد جاء الى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ.

(٢٣٩) رواه أحمد (١/٣١٦) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٨٧) نسبة الحديث للطبراني وعبد بن حميد وابن مردوية، وابن أبي حاتم وابن عدي قال الهيثمي في المجمع (٤/٩٤) رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجالهما ثقات اهـ. قلت وقد حسَّن إسناد أحمد ابنُ كثير (٣/٥٣٠) قلت ولم يتفرد به ابن لهيعة بل تابعه عبدالله بن عياش القتاني عند الحاكم (٢/٤٢٣) وصححه ووافقه الذهبي وللحديث شاهد من حديث يزيد بن حصيد السلمي قال الهيثمي (٤/٩٤) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه وله شاهد ثان من حديث فروة بن مسيك رواه الحاكم (٢/٤٢٤) وصححه والترمذي (٢/١٥٤) وحسنه راجع تخريجه في الدر (٦/٦٨٦).

أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من كل شيء في أرضها، قاله السدي.

الثاني: من أنواع الدنيا كلها، قاله سفيان.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه السرير، قاله قتادة.

الثاني: أنه الكرسي، قاله سفيان.

الثالث: المجلس، قاله ابن زيد.

الرابع: الملك، قاله ابن بحر.

وفي قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: ضخم.

الثاني: حسن الصنعة، قاله زهير.

الثالث: لأنه كان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وكان مستراً بالديباج والحرير عليه سبعة تعاليق، قاله قتادة.

قال ابن إسحاق: وكان يخدمها النساء فكان معها لخدمتها ستمائة امرأة.

قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني غيب السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن جبير.

الثاني: أن خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات، قاله ابن زيد، والخبء بمعنى المخبوء وقع المصدر موقع الصفة.

وفي معنى الخبء في اللغة وجهان:

أحدهما: أنه ما غاب.

الثاني: أنه ما استتر.

وقرأ الكسائي ﴿أَلَا يَسْجُدُواْ﴾ بالتخفيف[٢٤٠] وقرأ الباقون بالتشديد ﴿أَلَّا

(٢٤٠) زاد المسير (٦/١٦٦) الحجة في القراءات ص ٢٦.

﴿يَسْجُدُواْ﴾ . قال الفراء: من قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة.

وفي قائل هذا قولان:

أحدهما: أنه قول الله تعالى أمر فيه بالسجود له، وهو أمر منه لجميع خلقه وتقدير الكلام: ألا يا ناس اسجدواْ لله.

الثاني: أنه قول الهدهد حكاه الله عنه.

ويحتمل قوله هذا وجهين:

احدهما: أن يكون قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله.

الثاني: أن يكون قاله لسليمان عند عوده إليه واستكباراً لما وجدهم عليه.

وفي قول الهدهد لذلك وجهان:

أحدهما: أنه وإن يكن ممن قد علم وجوب التكليف بالفعل فهو ممن قد تصور بما ألهم من الطاعة لسليمان أنه نبي مطاع لا يخالف في قول ولا عمل.

الثاني: أنه كالصبي منا إذا راهق فرآنا على عبادة الله تصوّر أن ما خالفها باطل فكذا الهدهد في تصوره أن ما خالف فعل سليمان باطل.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ...﴾ الآية، هذا قول سليمان للهدهد قال ابتلي فاختبر من ذلك فوجده صادقاً.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيهِمْ﴾ قال مجاهد أخذ الهدهد الكتاب بمنقاره فأتى بهوها فجعل يدور فيه فقالت ما رأيت خيراً منذ رأيت هذا الطير في بهوي فألقى الكتاب إليها.

قال قتادة: فألقاه على صدرها وهي نائمة، قال يزيد بن رومان: كانت في ملك

من مضى من أهلها وقد سيست وساست حتى أحكمها ذلك.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قال ابن عباس كن قريباً منهم.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، حكاه ابن عيسى، وقاله الفراء.

قوله: ﴿قَالَتْ يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وفي صفتها الكتاب أنه كريم، أربعة أوجه:

أحدها: لأنه مختوم، قاله السدي.

الثاني: لحسن ما فيه، قاله قتادة.

الثالث: لكرم صاحبه وأنه كان ملكاً، حكاه ابن بحر.

الرابع: لتسخير الهدهد به بحمله.

ويحتمل خامساً: لإلقائه عليها عالياً من نحو السماء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ الآية، أما قولها إنه من سليمان فلإعلامهم مرسل الكتاب وممن هو.

وأما قولها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فلاستنكار هذا الاستفتاح الذي لم تعرفه هي ولا قومها لأن أول من افتتح ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ سليمان.

روى ابن بريدة عن أبيه (٢٤١) قال كنت أمشي مع رسول اللّه ﷺ فقال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَمْ تَنزِلْ عَلَى نَبِيٍ قَبْلِي بَعْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ**، قال: قلت يا رسول الله أي آية هي؟ قال: **سَأُعَلِّمُكَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ** قال: فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت: نسي ثم التفت إليّ فقال: **إِنَّهُ مِنْ سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ**»

حكى عاصم عن الشعبي قال: كَانَتْ كُتُبُ رسول(٢٤٢) الله ﷺ أربعة كتب كان

(٢٤١) رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في المجمع (٧/٨٧).
فيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف وفيه من لم أعرفهم.

(٢٤٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن الحرث العكلي وقال: قال لي الشعبي كيف كتاب النبي ﷺ إليكم. . .
أخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الشعبي بنحوه راجع الدر (٦/٣٥٤).

يكتب: باسمك اللهم، فلما نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيهَا﴾ [هود: ٤١] كتب: باسم الله، فلما نزلت ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب: باسم الله الرحمن، فلما نزلت ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كتب: بسم الله الرحمن الرحيم. قال عاصم قلت للشعبي أنارأيت كتاب رسول الله ﷺ. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال ذلك الكتاب الثالث.

وأما قوله: ﴿ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين﴾ فهذه كتب الأنبياء موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط ولا إسهاب.

وفي ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا تخالفوا عليّ، قاله قتادة.

الثاني: لا تتكبروا علي، قاله السدي وابن زيد.

الثالث: لا تمتنعوا عليّ، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات.

أحدها: مستسلمين، قاله الكلبي.

الثاني: موحدين، قاله ابن عباس.

الثالث: مخلصين، قاله زهير.

الرابع: طائعين، قاله سفيان.

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله: ﴿قَالَتْ يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أشيروا عليّ في هذا الأمر الذي نزل بي فجعلت المشورة فتيا وقيل: إنها أول من وضع المشورة.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ أي ممضية أمراً، وفي قراءة ابن مسعود قاضية أمراً، والمعنىٰ واحد.

﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: حتى تشيروا، قاله زهير.

الثاني: حتى تحضرواْ، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ أي أهل عدد وعدة.

﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي شجاعة وآلة، وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها لأنها المدبرة لهم.

الثاني: أنهم أجابوها تبادرين إلى قتاله، قاله ابن زيد.

قال مجاهد: كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل(٢٤٣) تحت كل قيل مائة ألف مقاتل وهذا بعيد.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ الآية. عرضوا عليها الحرب وردواْ إليها الأمر، قال الحسن: ولّوا أمرهم علجة يضطرب ثدياها. حدث أبو بكرة قال رسول الله ﷺ(٢٤٤): «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ**».

قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ قال ابن عباس أخذوها عنوة، وأفسدوها، وخربوها.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون بالاستيلاء على مساكنها وإجلاء أهلها عنها.

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أي أشرافهم وعظماءهم أذلة وفيه وجهان:

أحدهما: بالسيف، قاله زهير.

الثاني: بالاستعباد، قاله ابن عيسىٰ.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون بأخذ أموالهم وحط أقدارهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن هذا من قول الله، وكذلك يفعل الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، قاله ابن عباس.

---

(٢٤٣) القيل بفتح القاف وسكون الياء ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم بمثابة القائد للجيش وجمعه أقيال وأقوال.

(٢٦٤) رواه البخاري (٨ / ٤٤٢٥) والترمذي (٢٢٦٣) والنسائي (٨/٢٢٧) وأحمد (٥/٣٨، ٤٣، ٤٧، ٥١).

الثاني أن هذا حكاية عن قول بلقيس: كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا، قاله ابن شجرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ اختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها كانت لبنة من ذهب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها كانت جوهراً، قاله ابن جبير.

الثالث: أنها كانت صحائف الذهب في أوعية الديباج، قاله ثابت البناني.

الرابع: أنها أهدت غلماناً لباسهم لباس الجواري، وجواري لباسهم لباس الغلمان، قاله مجاهد، وعكرمة وابن جبير، والسدي، وزهير، واختلف في عددهم فقال سعيد بن جبير: كانوا ثمانين غلاماً وجارية، وقال زهير كانوا ثمانين غلاماً وثمانين جارية.

﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة: يرحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها، قد علمت أن الهدية تقع موقعها من الناس.

واختلف فيما قصدت بهديتها على قولين:

أحدهما: ما ذكره قتادة من الملاطفة والاستنزال.

الثاني: إختبار نبوته من ملكه، ومن قال بهذا اختلفوا بماذا اختبرته على قولين:

أحدهما: أنها اختبرته بالقبول والرد، فقالت: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه على ملككم وإن لم يقبل الهدية فهو نبي لا طاقة لكم بقتاله، قاله ابن عباس وزهير.

الثاني: أنها اختبرته بتمييز الغلمان من الجواري، ومن قال بهذا اختلفوا بماذا ميزهم سليمان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أمرهم بالوضوء فاغترف الغلام بيده وأفرغت الجارية على يديها فميزهم بهذا، قاله السدي.

الثاني: لما توضؤوا غسل الغلمان ظهور السواعد قبل بطونها، وغسل الجواري بطون السواعد قبل ظهورها، فميزهم بهذا[٢٤٥]، قاله قتادة.

---

(٢٤٥) قال الحافظ ابن كثير (٣٦٤/٣) والله أعلم أكان ذلك أم لا وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاؤوا به، ولا اعتني به بل أعرض عنه.

الثالث: أنهم لما توضؤوا بدأ الغلام من مرفقه إلى كفه وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها، فميزهم بهذا، قاله ابن[٢٤٦] جبير.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلما جاءت هداياها سليمان، قاله يزيد بن رومان.

الثاني: فلما جاءت رسلها سليمان لأن الهدهد قد كان سبق إلى سليمان فأخبره بالهدية والرسل فتأهب سليمان لهم.

قال السدي: فأمر الشياطين فموّهوا لَبِن المدينة وحيطانها ذهباً وفضة، وقيل إنها بعثت مع رسلها بعصاً كان يتوارثها ملوك حمير، وقالت: أريد أن يعرفني رأس هذه من أسفلها، وبقدح وقالت: يملؤه ماءً ليس من الأرض ولا من السماء، وبخرزتين إحداهما ثقبُها معوج وقالت يدخل فيها خيطاً والأخرى غير مثقوبة وقالت يثقب هذه.

﴿قَالَ﴾ سليمان للرسل حين وصلوا إليه ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ معناه أتزيدونني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي.

﴿فَمَا ءَاتَانِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُم﴾ أي فما آتاني من النبوة والملك خير مما آتاكم من المال، فرد عليهم المال وميز الغلمان من الجواري، وأرسل العصا إلى الأرض فقال أي الرأسين سبق للأرض فهو أصلها، وأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال: ليس هذا من الأرض ولا من السماء، وثقب إحدى الخرزتين وأدخل الخيط في الأخرى. فقال الرسل ما شاهدوا.

واختلف في الرسل هل كانوا رجالاً أو نساء على قولين.

قوله ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان:

---

(٢٤٦) قال العلامة الألوسي (١٩/٢٠٠) بعد سرد الأقوال «كل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها ولعل في بعضها ما يحيل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم.

أحدهما: أنه قال ذلك للرسول ارجع إليهم بما جئت به من الهدايا، قاله قتادة، ويزيد بن رومان.

الثاني: أنه قال ذلك للهدهد [ارجع إليه]، قائلاً لهم:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها ليكون الهدهد نذيراً لهم، قاله زهير.

وصدق نبي الله سليمان ﷺ لأن من جنوده الإنس والجن والطير فليس لأحدٍ بها طاقة.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ الآية. إخباراً لهم عما يصنعه بهم ليسعد منهم بالإيمان من هدي وهذه سنة كل نبي.

قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ الآية. حكى يزيد بن رومان أنه لما عاد رسلها بالهدايا قالت: قد والله عرفت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، ثم بعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي ثم أمرت بعرشها فجعلته في سبعة أبيات بعضها في جوف بعض وغلقت عليه الأبواب وشَخَصَت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن، فقال سليمان حين علم قدومها عليه:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ الآية: وفيه وجهان:

أحدهما: مسلمين أي مستسلمين طائعين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يأتوني مسلمين أي بحرمة الإسلام ودين الحق، قاله ابن جريج.

فإن قيل: فلم أَمَرَ أن يؤتى بعرشها قبل أن يأتوا إليه مسلمين؟

قيل عنه في الجواب خمسة أوجه:

أحدها: أنه أراد أن يختبر صدق الهدهد، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه أعجب بصفته حين وصفه الهدهد وخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أخذه قبل أن يحرم عليه بإسلامها، قاله قتادة.

الثالث: أنه أحب أن يعاليها به وكانت الملوك يعالون بالملك والقدرة، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها، وهل تعرفه أو تنكره، قاله ابن جبير.

الخامس: أنه أراد أن يجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته، لأنها خلفته في دارها وأوثقته في حرزها ثم جاءت إلى سليمان فوجدته قد تقدمها، قاله[٢٤٧] وهب.

قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ العفريت المارد القوي، قال أبو صالح كأنه جبل وفيه وجهان:

أحدهما: أنه المبالغ في كل شيء مأخوذ من قولهم فلان عفرية نفرية إذا كان مبالغاً في الأمور، قاله الأخفش.

الثاني: أصله العفر وهو الشديد، زيدت فيه التاء فقيل عفريت، قاله ابن قتيبة.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من مجلسك وسمي المجلس مقاماً لإقامة صاحبه فيه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

الثاني: أنه أراد يوماً معروفاً كان عادة سليمان أن يقوم فيه خطيباً يعظهم، ويأمرهم، وينهاهم، وكان مجيء اليوم تقريباً.

الثالث: أنه أراد قبل أن تسير عن ملكك إليهم محارباً.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ لقوي على حمله، وفي الأمين ثلاثة أقاويل:

أحدها: أمين على ما فيه من جوهر ولؤلؤ، قاله الكلبي وابن جرير[٢٤٨].

الثاني: أمين ألا آتيك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد.

---

(٢٤٧) واختاره ابن جرير (١٩/ ١٦١).

(٢٤٨) جامع البيان (١٩/ ١٦٢).

الثالث: أمين على فرج المرأة، قاله ابن عباس، وحكى يزيد بن رومان ان اسم العفريت كودي، وحكى ابن أبي طلحة أن اسمه صخر، وحكى السدي أنه آصف بن السيطر بن إبليس، والله أعلم بصحة ذلك.

قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ملك أيد الله به سليمان، والعلم الذي من الكتاب هو ما كتب الله لبني آدم، وقد علم الملائكة منه كثيراً فأذن الله له أن يعلم سليمان بذلك، وأن يأتيه بالعرش الذي طلبه، حكاه ابن بحر.

القول الثاني: أنه بعض جنود سليمان من الجن والإنس، والعلم الذي عنده من الكتاب هو كتاب سليمان الذي كتبه إلى بلقيس وعلم أن الريح مسخرة لسليمان وأن الملائكة تعينه فتوثق بذلك قبل أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه.

والقول الثالث: أنه سليمان قال ذلك للعفريت.

والقول الرابع: أنه قول غيره من الإنس. وفيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه مليخا، قاله قتادة.

الثاني: أنه أسطوم، قاله مجاهد.

الثالث: أنه آصف ابن برخيا وكان صدّيقاً، قاله ابن رومان.

الرابع: أنه ذو النور بمصر، قاله زهير.

الخامس: أنه الخضر، قاله ابن لهيعة(٢٤٩).

و ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ يعني بالعرش.

﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير.

الثاني: قبل أن يعود طرفك إلى مد بصرك، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثالث: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس.

الرابع: قبل الوقت الذي تنتظر وروده فيه من قولهم: أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك، قاله ابن بحر.

---

(٢٤٩) قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٦٤) وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جداً.

الخامس: قبل أن يرجع طرف رجائك خائباً لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف.

السادس: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنه سيأتيه قبل موته.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ﴾ قبل أن يرتد إليه طرفه لأن الذي عنده علم من الكتاب دعا باسم الله الأعظم وعاد طرف سليمان إليه فإذا العرش بين يديه.

قال عبد الرحمن بن زيد: لم يعلم سليمان ذلك الإسم وقد أُعطي ما أُعطي.

قال السدي: فجزع سليمان وقال: غيري أقدر على ما عند الله مني، ثم استرجع.

﴿قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ يعني وصول العرش إليّ قبل أن يرتد إليَّ طرفي.

﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ قال زهير: أأشكر على العرش إذ أوتيته في سرعة أم أكفر فلا أشكر إذ رأيت من هو أعلم مني في الدنيا.

قال زهير: ثم عزم الله له على الشكر فقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن الشكر تأدية حق واستدعاء مزيد.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل، وهذه معجزة لسليمان أجراها الله على يد من اختصه من أوليائه.

وكان العرش باليمن وسليمان بالشام فقيل: ان الله حرك به الأرض حتى صار بين يديه.

قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه وفي تغييره خمسة أوجه:

أحدها: أنه نزع ما عليه من فصوصه، ومرافقه وجواهره، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه غيّر ما كان أحمر فجعله أخضر وما كان أخضر جعله أحمر، قاله مجاهد.

الثالث: غيّر بأن زيد فيه ونقص منه، قاله عكرمة.

الرابع: حوّل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره، قاله شيبان بن عبد الرحمن.

الخامس: غيّره بأن جعل فيه تمثال السمك، قاله أبو صالح.

﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتهتدي إلى الحق بعقلها أم تكون من الذين لا يعقلون، وهذا معنىٰ قول ابن رومان.

الثاني: إلى معرفة العرش بفطنتها أم تكون من الذين لا يعرفون، وهذا معنى قول ابن جبير، ومجاهد.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فلم تثبته ولم تنكره واختلف في سبب قولها ذلك، على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها خلفته وراءها فوجدته أمامها فكان معرفتها له تمنع من إنكاره وتركها له وراءها يمنع من إثباته، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: لأنها وجدت فيه ما تعرفه فلذلك لم تنكره ووجدت فيه ما بُدِّل وغير فلذلك لم تثبته، قاله السدي.

الثالث: شبهوا عليها حين قالوا: أهكذا عرشك؟ فشبهت عليهم فقالت: كأنه هو ولو قالوا لها: هذا عرشك لقالت: نعم، قاله مقاتل.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ وهذا قول من سليمان وقيل هو من كلام قومه، وفي تأويله ثلاثة أقاويل:

أحدها: معرفة الله وتوحيده، قاله زهير.

الثاني: النبوة، قاله يحيـى بن سلام.

الثالث: أي علمنا أن العرش عرشها قبل أن نسألها، قاله ابن شجرة.

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طائعين لله بالاستسلام له.

الثاني: مخلصين لله بالتوحيد.

قوله تعالى ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وصدها عبادة الشمس أن تعبد الله.

الثاني: وصدّها كفرها بقضاء الله أن تهتدي للحق.

الثالث: وصدّها سليمان عما كانت تعبد في كفرها.

الرابع: وصدها الله تعالى إليه بتوفيقها بالإيمان عن الكفر.

قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها بركة بنيت قوارير، قاله مجاهد.

الثاني: أنها صحن الدار، حكاه ابن عيسى يقال صرحة الدار وساحة الدار وباحة الدار وقاعة الدار كله بمعنى واحد. قال زهير مأخوذ من التصريح ومنه صرح بالأمر إذا أظهره.

الثالث: أنه القصر قاله ابن شجرة، واستشهد بقول الهذلي[٢٥٠].

على طرق كنحور الظباء   تحسب أعلامهن الصروحا

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أي ماء لأن سليمان أمر الجن أن يبنوه من قوارير في ماء فبنوه وجعلوا حوله أمثال السمك فأمرها بالدخول لأنها وصفت له فأحب أن يراها.

قال مجاهد: وكانت هلباء الشعر والهلباء الطويلة الشعر، قدمها كحافر الحمار وكانت أمها جنية. قال الحسن: وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فيطلع منها على أشياء كانت الجن تخفيها عنه. وهذا القول بأن أمها جنية مستنكر في العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الجسمين، لأن الآدمي جسماني، والجني روحاني، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجني من مارج من نار، ويمتنع الامتزاج من هذا[٢٥١] التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف، لكنه قيل فذكرته حاكياً.

---

(٢٥٠) هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (١/١٣٦) غريب القرآن (٣٢٥) واللسان (صرح) زاد المسير (٦/١٧٩).

(٢٥١) وقال بعضهم بإمكانية حدوث التزاوج بن الإنس والجن كمالك رحمه الله.

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فرآهما سليمان شعراوين فصنعت له الجن النورة فحلقهما، فكان أول ما صنعت النورة.

واختلفوا في السبب الذي كان من أجله أراد سليمان كشف ساقيها لدخول الصرح على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنه أراد أن يختبر بذلك عقلها.

الثاني: أنه ذكر له أن ساقها ساق حمار لأن أمها جنية فأحب أن يختبرها.

الثالث: لأنه أراد أن يتزوجها فأحب أن يشاهدها(٢٥٢).

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه المجلس ومنه الأمرد لملوسته، قاله علي بن عيسىٰ.

الثاني: أنه الواسع في طوله وعرضه، قاله ابن شجرة وأنشد(٢٥٣):

غدوت صباحاً باكراً فوجدتهم ... قبيل الضحى في البابلي الممرد

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالشرك الذي كانت عليه، قاله ابن شجرة.

الثاني: بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها لما أمرت بدخول الصرح حسبته لجة وأن سليمان يريد تغريقها فيه فلما بان لها أنه صرح ممرد من قوارير علمت أنها ظلمت نفسها بذلك الظن، قاله سفيان.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي استسلمت مع سليمان لله طائعة لله رب العالمين.

قال مقاتل: فتزوجها سليمان واتخذ لها حماماً ونورة بالشام، وهو أول من اتخذ ذلك، ثم لم ير إلا كذلك حتى فرق الموت بينهما، فحكى الشعبي عن ناس من حمير أنهم حفروا مقبرة الملك فوجدوا فيها أرضاً معقودة فيها امرأة عليها حلل منسوخة بالذهب وعند رأسها لوح رخام فيه مكتوب: ـ

يا أيها الأقوام عُوجوا معاً ... وأربعوا في مقبري العيسا

---

(٢٥٢) لأن من المعروف أنه يستحب رؤية المرأة قبل خطبتها فلعل الأمر كان كذلك.

(٢٥٣) فتح القدير (٤/١٤١).

لتعلموا أني تلك التي | قد كنت أدْعي الدهر بلقيسا
شيّدت قصر الملك في حمير | قومي وقد كان مأنوسا
وكنت في ملكي وتدبيره | أرغم في الله المعاطيسا
بَعْلي سليمان النبي الذي | قد كان للتوراة دريسا
وسخّر الريح له مركباً | تهب أحياناً رواميسا
مع ابن داود النبي الذي | قدسه الرحمن تقديسا

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كافر ومؤمن، قاله مجاهد.

الثاني: مصدق ومكذب، قاله قتادة.

وفيم اختصموا؟ فيه قولان:

أحدهما: أن تقول كل فرقة نحن على الحق دونكم.

الثاني: اختلفوا أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه، قاله مجاهد.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالعذاب قبل الرحمة، قاله مجاهد، لقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الثاني: بالبلاء قبل العافية، قاله السدي.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالكفاية.

الثاني: بالإجابة.

قوله: ﴿قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي تشاءَمنا بك وبمن معك مأخوذ من الطيرة، وفي تطيرهم به وجهان:

أحدهما: لافتراق كلمتهم، قاله ابن شجرة.

الثاني: للشر الذي نزل بهم، قاله قتادة.

﴿قَالَ طَآئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مصائبكم عند الله، قاله ابن عباس، لأنها في سرعة نزولها عليكم كالطائر.

الثاني: عملكم عند الله، قاله قتادة، لأنه في صعوده إليه كالطائر.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تبتلون بطاعة الله ومعصيته، قاله قتادة.

الثاني: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به وهو الإسلام، قاله الحسن.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط الجمع لا واحد له يعني من ثمود قوم صالح وهم عاقرو الناقة، وذكر ابن عباس أساميهم فقال: هم زعجي وزعيم وهرمي ودار وصواب ورباب ومسطح وقدار(٢٥٤)، وكانوا بأرض الحجر وهي أرض الشام، وكانوا فساقاً من أشراف قومهم.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يفسدون بالكفر ولا يصلحون بالإيمان.

الثاني: يفسدون بالمنكر ولا يصلحون بالمعروف.

---

(٢٥٤) وقيل هو الذي تولى عقر الناقة.

الثالث: يفسدون بالمعاصي ولا يصلحون بالطاعة.

الرابع: يفسدون بكسر الدراهم والدنانير ولا يصلحون بتركها صحاحاً، قاله ابن المسيب، قاله عطاء.

الخامس: أنهم كانوا يتتبعون عوارت النساء ولا يسترون عليهن.

قوله: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي تحالفواْ بالله.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي لنقتلنه وأهله ليلاً، والبيات قتل الليل.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي لرهط صالح.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي قتله، وقتل أهله، ولا علمنا ذلك.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في إنكارنا لقتله.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً﴾ وهو ما همّوا به من قتل صالح.

﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ وهو أن رماهم الله بصخرة فأهلكهم.

﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون بمكرنا وقد علمنا بمكرهم.

وفي مكرهم ومكر الله تعالى بهم قولان:

أحدهما: قاله الكلبي، وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزل الله على صالح ليحفظوه من قومه حين دخلوا عليه ليقتلوه، فرموا كل رجل منهم بحجر حتى قتلوهم جميعاً، وسَلِمَ صالح من مكرهم.

الثاني: قاله الضحاك، أنهم مكروا بأن أظهروا سفراً وخرجوا فاستتروا في غار ليعودوا في الليل فيقتلوهُ، فألقىٰ الله صخرة على باب الغار حتى سدّه وكان هذا مكر الله بهم.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة.

الثاني: يبصر بعضكم بعضاً.

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها النخل، قاله الحسن.

الثاني: الحائط من الشجر والنخل، قاله الكلبي.

﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ذات غضارة، قاله قتادة.

الثاني: ذات حسن، قاله الضحاك.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾ أي ما كان في قدرتكم أن تخلقوا مثلها.

﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي ليس مع الله إله، قاله قتادة.

الثاني: أإله مع الله يفعل هذا، قاله زيد بن أسلم.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي يعدلون عن الحق.

الثاني: يشركون بالله فيجعلون له عدلاً أي مثلاً، قاله قطرب ومقاتل.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً﴾ أي جعلها مستقراً.

﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَآ أَنْهَاراً﴾ أي في مسالكها ونواحيها أنهار جارية ينبت بها الزرع ويحيي به الخلق.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني جبالاً هي لها ماسكة والأرض بها ثابتة.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: بحر السماء والأرض، قاله مجاهد.

الثاني: بحر فارس والروم، قاله الحسن.

الثالث: بحر الشام والعراق، قاله السدي.

الرابع: العذب والمالح، قاله الضحاك.

والحاجز المانع من اختلاط أحدهما بالآخر فيه وجهان:

أحدهما: حاجزاً من الله لا يبغي أحدهما على صاحبه، قاله قتادة.

الثاني: حاجزاً من الأرض أن يختلط أحدهما بالآخر، حكاه قتادة.

﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يعقلون، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يعلمون توحيد الله، حكاه النقاش.

الثالث: لا يتفكرون، حكاه ابن شجرة.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ وإنما خص إجابة المضطر لأمرين:

أحدهما: لأن رغبته أقوى وسؤاله أخضع.

الثاني: لأن إجابته أعم وأعظم لأنها تتضمن كشف بلوى وإسداء نعمى.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون عن المضطر بإجابته.

الثاني: عمن تولاه ألاّ ينزل به.

وفي ﴿السُّوءَ﴾ وجهان:

احدهما: الضر.

الثاني : الجور، قاله الكلبي .

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدهما : خلفاً من بعد خلف، قاله قتادة .

الثاني : أولادكم خلفاء منكم، حكاه النقاش .

الثالث : خلفاء من الكفار ينزلون أرضهم وطاعة الله بعد كفرهم، قاله الكلبي .

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي ما أقل تذكركم لنعمة الله عليكم !

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

قوله ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يرشدكم من مسالك البر والبحر .

الثاني : يخلصكم من أهوال البر والبحر، قاله السدي .

وفي ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وجهان :

أحدهما : أن البر الأرض والبحر الماء .

الثاني : أن البر بادية الأعراب والبحر الأمصار والقرى . قاله الضحاك .

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مبشرة، قاله ابن عباس وتأويل من قرأ بالباء .

الثاني : منشرة، قاله السدي وهو تأويل من قرأ بالنون(٢٥٥) .

الثالث : ملقحات، قاله يحيى بن سلام .

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو المطر في قول الجميع .

﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عما أشرك المشركون به من الأوثان .

---

(٢٥٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، راجع الحجة في القراءات ص ٢٨٥ والسبعة في القراءات ص ٢٨٣ .

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ وفي صفة علمهم بهذه الصفة قولان:

أحدهما: أنها صفة ذم فعلى هذا في معناه أربعة أوجه:

أحدها: غاب عليهم، قاله ابن عباس.

الثاني: لم يدرك علمهم، قاله ابن محيصن.

الثالث: اضمحل علمهم، قاله الحسن.

الرابع: ضل علمهم وهو معنى قول قتادة. فهذا تأويل من زعم أنها صفة ذم.

والقول الثاني: أنها صفة حمد لعلمهم وإن كانوا مذمومين فعلى هذا في معناه ثلاثة أوجه:

أحدها: أدرك علمُهم، قاله مجاهد.

الثاني: اجتمع علمهم، قاله السدي.

الثالث: تلاحق علمهم، قاله ابن شجرة.

﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يعني من الآخرة فمن جعل ما تقدم صفة ذمٍ لعلمهم جعل نقصان علمهم في الدنيا فلذلك أفضى بهم إلى الشك في الآخرة. ومن جعل ذلك صفة حمد لعلمهم جعل كمال علمهم في الآخرة فلم يمنع ذلك أن يكونوا في الدنيا على شك في الآخرة.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه اقترب لكم ودنا منكم، قاله ابن عباس وابن عيسى.

الثاني: أعجل لكم، قاله مجاهد.

الثالث: تبعكم، قاله ابن شجرة ومنه رِدْف المرأة لأنه تبع لها من خلفها، قال أبو ذؤيب[٢٥٦]:

عاد السواد بياضاً في مفارقه لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردفا

وفي قوله تعالى: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يوم بدر.

الثاني: عذاب القبر.

قوله: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ . . . .﴾ الآية. فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغائبة القيامة، قاله الحسن.

الثاني: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض، حكاه النقاش.

الثالث: جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيَّبه عنهم، حكاه ابن شجرة.

وفي ﴿كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قولان:

أحدهما: اللوح المحفوظ.

---

(٢٥٦) فتح القدير (٤/ ١٥٠).

الثاني : القضاء المحتوم .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

قوله ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : وجب الغضب عليهم ، قاله قتادة .

الثاني : إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون ، قاله مجاهد .

الثالث : إذا لم يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم ، قاله ابن عمر وأبو سعيد الخدري .

الرابع : إذا نزل العذاب ، حكاه الكلبي .

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فيها قولان :

أحدهما : ما حكاه محمد بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن الدابة فقال : أما والله لها ذنب، وإن لها للحية ، وفي هذا القول إشارة إلى أنها من الإنس وإن لم يصرح .

الثاني :وهو قول الجمهور أنها دابة من دواب الأرض(٢٥٧)، واختلف من قال بهذا في صفتها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم ، قاله ابن عباس :

الثاني : أنها دابة ذات وبر تناغي السماء ، قاله الشعبي .

القول الثالث :أنها دابة رأسها رأس (٢٥٨) ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيِّل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت في وجه المسلم بعصا موسى نكتة بيضاء وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه ، قاله ابن الزبير .

---

(٢٥٧) وقد ورد في صفتها حديث تميم الداري وهو من صحيح مسلم ومن أصح الأحاديث التي يعتمد عليها في وصف الدابة فهو أولى ما أخذ ، له ولإقرار النبي ﷺ له .

(٢٥٨) وهذا الوصف من الإسرائيليات ولا دليل عليها .

وفي قوله ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنها تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس.

الثاني: من صخرة من شعب أجياد، قاله ابن عمر.

الثالث: من الصفا، قاله ابن مسعود.

الرابع: من بحر سدوم، قاله ابن منبه.

وفي ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قراءتان:

الشاذة منهما[٢٥٩]: ﴿تَسِمُهم﴾ بفتح التاء، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: تسمهم في وجوههم بالبياض في وجه المؤمن، وبالسواد في وجه الكافر حتى يتنادى الناس في أسواقهم يامؤمن يا كافر، وقد روى أبو أمامة[٢٦٠] أن النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِم الناسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِم».

الثاني: معناه تجرحهم وهذا مختص بالكافر والمنافق، وجرحه إظهار كفره ونفاقه ومنه جرح الشهود بالتفسيق، ويشبه أن يكون قول ابن عباس.

والقراءة الثانية: وعليها الجمهور ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بضم التاء وكسر اللام من الكلام، وحكى قتادة أنها في بعض القراءة[٢٦١]: ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ وحكى يحيى بن سلام أنها في بعض القراءة: ﴿تُحَدِّثُهُمْ﴾.

وفي كلامها على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أن كلامها ظهور الآيات منها من غير نطق ولا لفظ.

والقول الثاني: أنه كلام منطوق به[٢٦٢].

---

(٢٥٩) وقيل هي قراءة ابن عباس وأبي زرعة والحسن وأبي رجاء. راجع فتح القدير (١٥٢/٤) وزاد المسير (١٩٣/٦).

(٢٦٠) رواه أحمد (٢٦٨/٥) وابن مردويه وسمويه كما في الدر المنثور (٣٧٩/٦) وبقية الحديث «ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال ممن اشتريتها فيقول من الرجل المخطم».

وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٢٢ وزاد نسبته للبخاري، في التاريخ والبغوي وأبي نعيم.

(٢٦١) وهي قراءة أبي بن كعب كما في فتح القدير (١٥٢/٤).

(٢٦٢) وهو الصواب فإنه لا دليل يدل على صرف الحقيقة إلى المجاز في هذا الموضع فالصواب أنها تتكلم بكلام حقيقي منطوق ولا تنسى أيها القارىء أن هذه الأوقات تكون أوقات ظهور آيات وخوارق عادات فما المانع من كون الدابة تنطق على الحقيقة.

فعلى هذا فيما تكلم به قولان:

أحدهما: أنها تكلمهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر.

الثاني: تكلمهم بما قاله الله ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قاله ابن مسعود وعطاء.

وحكى ابن البيلماني عن ابن عمر(٢٦٣) أن الدابة تخرج ليلة جمع وهي ليلة النحر والناس يسيرون إلى منى.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهم كفارها المكذبون. وفي قوله ﴿بِـَٔايَاتِنَا﴾ وجهان:

أحدهما: محمد ﷺ، قاله السدي.

الثاني: جميع الرسل، وهو قول الأكثرين.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يجمعون، قاله ابن شجرة.

الثاني: يدفعون، قاله ابن عباس.

الثالث: يساقون، قاله ابن زيد والسدي، ومنه قول الشماخ(٢٦٤).

وكم وزعنا من خميس جحفل ... وكم حبونا من رئيس مسحل

الرابع: يُردُّ أولاهم على أُخراهم، قاله قتادة.

---

(٢٦٣) وسنده ضعيف من أجل ابن البيلماني.

وقد رواه ابن أبي حاتم، ونقله ابن كثير (٣/٣٧٦)

(٢٦٤) فتح القدير (٤/١٥٤).

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو يوم النشور من القبور وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الصور جمع صورة، والنفخ فيها إعادة الأرواح إليها.

الثاني: أنه شيء ينفخ فيه كالبوق(٢٦٥) يخرج منه صوت يحيا به الموتى.

الثالث: أنه مثل ضربه الله لإحياء الموتى في وقت واحد بخروجهم فيه كخروج الجيش إذا أُنذروا بنفخ البوق فاجتمعوا في الخروج وقتاً واحداً.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وفي هذا الفزع هنا قولان:

أحدهما: أنه الإجابة والإسراع إلى النداء من قولك فزعت إليه من كذا إذا أسرعت إلى ندائه في معونتك قال الشاعر(٢٦٦):

كنا إذا ما أتانا صارخٌ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

فعلى هذا يكون ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء لهم من الإجابة والإسراع إلى النار.

ويحتمل من أريد بهم وجهين:

أحدهما: الملائكة الذين أخروا عن هذه النفخة.

الثاني: البهائم التي تصير إن أعيدت تراباً.

والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لأنهم

(٢٦٥) وهو الصواب لورود الحديث بذلك كما في الترمذي وقد تقدم في سورة الأنعام فراجعه، وأما القول الأول فهو على قراءة من قرأ ﴿يوم ينفخ في الصورِ﴾ جمع صورة وهي قراءة الحسن.

(٢٦٦) هو سلامة بن جندل والبيت في اللسان «قرع».

أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين فعلى هذا يكون قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ استثناء لهم من الخوف والفزع .

وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم ، قاله ابن عيسى .

الثاني : أنهم الشهداء . روى أبو هريرة عن النبي(٢٦٧) ﷺ أنهم الشهداء ولولا هذا النص لكان الأنبياء بذلك أحق لأنهم لا يقصرون عن منازل الشهداء وإن كان في هذا النص تنبيه عليهم . وقيل إن إسرافيل(٢٦٨) هو النافخ في الصور .

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : راغمين ، قاله السدي .

الثاني : صاغرين ، قاله ابن عباس وقتادة ويكون المراد بقوله ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ من فزع ومن استثني من الفزع بقوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذا يكون في النفخة الثانية ، والفزع بالنفخة الأولى ، وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ عَاماً»(٢٦٩) .

قوله ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي واقفة .

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي لا يرى سيرها لبعد أطرافها كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وهذا مثل ، وفيما ضرب له ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب ، قاله سهل بن عبدالله .

الثاني : أنه مثل ضربه الله للإيمان تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء .

الثالث : أنه مثل للنفس عند خروج الروح والروح تسير إلى القدس .

---

(٢٦٧) ولكن رواه الطبري (٢٠/٢٠) موقوفاً وفي سنده مجهول وزاد السيوطي في الدر(٦/٣٨٤) نسبته لسعيد بن منصور.

(٢٦٨) وقد ثبت ذلك بقوله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن. . . . . . .

(٢٦٩) وقد ورد الحديث الصحيح بذلك رواه البخاري (٨/٤٢٤).

ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة وفيه «ما بين النفختين أربعون قيل أربعون يوماً قال أبو هريرة: أبيت . . . الحديث والمرسل الذي أورده المؤلف هنا ولم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي فعل الله الذي أتقن كل شيء. وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أحكم كل شيء، قاله ابن عباس:

الثاني: أحصى، قاله مجاهد.

الثالث: أحسن، قاله السدي.

الرابع: أوثق، واختلف فيها فقال الضحاك: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذ من إتقان الشيء إذا أحكم وأوثق، وأصلها من التقن وهو ما ثقل من الحوض من طينة.

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها أداء الفرائض كلها.

الثاني: أفضل منها لأنه يعطى بالحسنة عشراً، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: فله منها خير للثواب العائد عليه، قاله ابن عباس ومجاهد.

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وهم من فزع يوم القيامة آمنون في الجنة.

الثاني: وهم من فزع الموت في الدنيا آمنون في الآخرة.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الشرك في قول ابن عباس وأبي هريرة.

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: مكة، قاله ابن عباس.

الثاني: مِنىً، قاله أبو العالية. وتحريمها هو تعظيم حرمتها والكف عن صيدها وشجرها.

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يعني ملك كل شيء مما أحله وحرمه فيحل منه ما شاء ويحرم منه ما شاء لأن للمالك أن يفعل في ملكه ما يشاء.

قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَآيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريكم في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحسن.

الثاني: يريكم في الدنيا ما ترون من الآيات في السموات والأرض فتعرفونها أنها حق، قاله مجاهد.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر فلا بد أن يجازي عليه، والله أعلم.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بين مكة والمدينة، وقيل بالجحفة وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ الآية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ببغيه في استعباد بني إسرائيل وقتل أولادهم، قاله قتادة.

الثاني: بكفره وادعاء الربوبية.

الثالث: بملكه وسلطانه.

وهذه الأرض أرض مصر لأن فرعون ملك مصر، ولم يملك الأرض كلها. ومصر تسمى الأرض ولذلك قيل لبعض نواحيها الصعيد.

وفي علوه وجهان:

أحدهما: هو لظهوره في غلبته.

الثاني: كبره وتجبره.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ أي فرقاً. قال قتادة: فَرّق بين بني إسرائيل والقبط.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل بالاستعباد بالأعمال القذرة.

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قال السدي: إن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه عن تأويله، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون على يده هلاك مصر، فأمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأسرع الموت في شيوخ بني إسرائيل فقال القبط لفرعون: إن شيوخ بني إسرائيل قد فنوا بالموت وصغارهم بالقتل فاستبقهم لعملنا وخدمتنا أن يستحيوا في عام ويقتلوا في عام فولد هارون في عام الاستحياء وموسى في عام القتل. وطال بفرعون العمر حتى حكى النقاش أنه عاش أربعمائة سنة وكان دميماً قصيراً، وكان أول من خضب بالسواد. وعاش موسى مائة وعشرين سنة.

قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: بنو إسرائيل، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: يوسف وولده، قاله علي رضي الله عنه.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولاة الأمر، قاله قتادة.

الثاني: قادة متبوعين، قاله ابن شجرة.

الثالث: أنبياء لأن الأنبياء فيما بين موسى وعيسى كانوا من بني إسرائيل أولهم موسى وآخرهم عيسى وكان بينهما ألف نبي، قاله الضحاك.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم بعد غرق فرعون سبَوا القبط فاستعبدوهم بعد أن كانوا عبيدهم فصاروا وارثين لهم، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم المالكون لأرض فرعون التي كانوا فيها مستضعفين. والميراث زوال الملك عمن كان له إلى من صار إليه، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا[٢٧٠]

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إلهام من الله قد قذفه في قلبها وليس بوحي نبوة[٢٧١]، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه كان رؤيا منام، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنه وحي من الله إليها مع الملائكة كوحيه إلى النبيين، حكاه قطرب.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قال مجاهد: كان الوحي بالرضاع قبل الولادة، وقال غيره بعدها.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ يعني القتل الذي أمر به فرعون في بني إسرائيل.

﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ واليم: البحر وهو النيل.

---

(٢٧٠) بيت من معلقة عمرو المشهورة.

راجع المعلقات السبع وشرحها لأبي بكر الأنباري.

(٢٧١) قال الشوكاني (٤/ ١٥٩) «وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيحين فلم يكن بذلك نبياً.

قلت: وقد ساق الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء منهم القاضي عياض وقد نوزع فيه والمسألة فيها شد وجذب، راجع المطولات في كتب العقيدة.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تخافي عليه الغرق، قاله ابن زيد.

الثاني: لا تخافي عليه الضيعة، قاله يحيى بن سلامة.

﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحزني على فراقه، قاله ابن زيد.

الثاني: لا تحزني أن يقتل، قاله يحيى بن سلام.

فقيل: إنها جعلته في تابوت طوله خمسة أشبار وعرضه خمسة أشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في البحر بعد أن أرضعته أربعة أشهر وقال آخرون ثمانية، أشهر في حكاية الكلبي. وحكي أنه لما فرغ النجار من صنعه التابوت أتى إلى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينه وقلبه فلم يعرف الطريق فأيقن أنه المولود الذي تخوف فرعون منه فآمن من ذلك الوقت وهو مؤمن آل فرعون.

قال ابن عباس: فلما توارى عنها ندَّمها الشيطان وقالت في نفسها لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليّ من إلقائه بيدي إلى دواب البحر وحيتانه، فقال الله:

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ...﴾ الآية، حكى الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد:

استغفر الله لذنبي كله قبلت إنساناً بغير حلّه

مثل الغزال ناعماً في دَله فانتصف الليل ولم أُصله

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أوَ يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

قوله ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه التقطه جواري امرأته حين خرجن لاستسقاء الماء فوجدن تابوته فحملنه إليها، قاله ابن عباس.

الثاني: أن امرأة فرعون خرجت إلى البحر وكانت برصاء فوجدت تابوته فأخذته فبرئت من برصها فقالت: هذا الصبي مبارك، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدوًّا وَحَزَناً﴾ أي ليكون لهم عَدُوًّا وحزناً في عاقبة أمره ولم يكن

لهم في الحال عدوًّا ولا حزناً لأن امرأة فرعون فرحت به وأحبته حبًّا شديداً فذكر الحال بالمآل كما قال الشاعر(٢٧٢):

وللمنايا تربي كل مرضعةٍ ودورنا لخراب الدهر نبنيها

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليذبحوه فمنعتهم وجاءت به إلى فرعون وقالت: قرة عين لي ولك.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ فقال فرعون: قرة عين لك فأما لي فلا، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَونُ بِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّت امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَاهَا وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذٰلِكَ»(٢٧٣).

وفي قرة العين وجهان:

أحدهما: أنه بردها بالسرور مأخوذ من القر وهو البرد.

الثاني: أنه قر فيها دمعها فلم يخرج بالحزن مأخوذ من قر في المكان إذا أقام فيه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ هلاكهم على يديه وفي زمانه.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغاً﴾ فيه ستة أوجه:

---

(٢٧٢) فتح القدير (٤/ ١٦٠).

(٢٧٣) رواه الطبري (٢٠/ ٣٤).

أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن وابن زيد.

الثالث: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، قاله الأخفش.

الرابع: معنى فارغاً أي نافراً، قاله العلاء بن زيد.

الخامس: ناسياً، قاله اليزيدي.

السادس: معناه والهاً، رواه ابن جبير.

وقرأ فضالة بن عبيد الأنصاري وهو صحابي: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَزِعاً﴾ من الفزع وفي قوله ﴿وَأَصْبَحَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنها ألقته ليلاً فأصبح فؤادها فارغاً في النهار.

الثاني: أنها ألقته نهاراً ومعنى أصبح أي صار، قال الشاعر:

مضى الخلفاء بالأمر الرشيد   وأصبحت المدينة للوليد(٢٧٤)

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن تصيح عند إلقائه وا إبناه، قاله ابن عباس.

الثاني: أن تقول لما حملت لإرضاعه وحضانته هو ابني، قاله السدي لأنه ضاق صدرها لما قيل هو ابن فرعون.

الثالث: أن تبدي بالوحي، حكاه ابن عيسى.

﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالإيمان، قاله قتادة.

الثاني: بالعصمة، قاله السدي.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال السدي: قد كانت من المؤمنين ولكن لتكون من المصدقين بأنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي استعلمي خبره وتتبّعي أثره. قال الضحاك، واسم أخته كلثمة(٢٧٥).

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

---

(٢٧٤) فتح القدير (٤/١٦١) وفيه مضى الخلفاء في أمر رشيد.

(٢٧٥) وقيل مريم، زاد المسير (٦/٢٠٥).

أحدها: عن جانب، قاله ابن عباس.

الثاني: عن بعد، قاله مجاهد ومنه الأجنبي قال علقمة بن عبدة[٢٧٦]:

فلا تحرمنّي نائلاً عن جنابةٍ فإني امرؤ وسط القباب غريب

الثاني: عن شوق، حكاه أبو عمرو بن العلاء وذكر أنها لغة جذام يقولون جنبت إليك [أي اشتقت].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته لأنها كانت تمشي على ساحل البحر حتى رأتهم قد أخذوه.

قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس: لا يؤتى بمرضعة فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع كما قال امرؤ القيس:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصِري إني امرؤ صرعي عليك حرام

أي ممتنع:

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل مجيء أخته وفي قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ وجهان:

أحدهما: ما ذكرناه.

الثاني: من قبل ردّه إلى أمه.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ الآية. وهذا قول أخته لهم حين رأته لا يقبل المراضع فقالوا لها عند قولها لهم:

﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وما يُدْريك؟ لعلك تعرفين أهله، فقالت: لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ويرغبون في ظئره.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ قال ابن عباس انطلقت أخته إلى أمه فأخبرتها فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصَّه حتى امتلأ جنباه رياً وانطلق بالبشرى إلى امرأة فرعون قد وجدنا لابنك ظئراً، قال أبو عمران الجوني: وكان فرعون يعطي أم موسى في كل يوم ديناراً.

وروي أنه قال لأم موسى حين ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ فقالت: لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني.

---

(٢٧٦) فتح القدير (٤/١٦١) واللسان «جنب».

فكان من لطف الله بموسى أن جعل إلقاء موسى في البحر وهو الهلاك سبباً لنجاته وسخر فرعون لتربيته وهو يقتل الخلق من بني إسرائيل لأجله وهو في بيته وتحت كنفه.

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ الآية.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني من قوم فرعون.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون ما يراد بهم، قاله الضحاك.

الثاني: لا يعلمون مثل علمها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ فيه تسعة أقاويل:

أحدها: أربعون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان.

الثالث: ثلاث وثلاثون سنة، قاله ابن عباس.

الرابع: ثلاثون سنة، قاله السدي.

الخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

السادس: عشرون سنة، حكاه يحيى بن سلام.

السابع: ثماني عشرة سنة، قاله ابن جبير.

الثامن: خمس عشرة سنة، قاله محمد بن قيس.

التاسع: الحلم. قاله ربيعة ومالك.

والأشد جمع واختلف هل له واحد أم لا، على قولين:

أحدهما: لا واحد له، قاله أبو عبيدة.

الثاني: له واحد وفيه وجهان:

احدهما: شد، قاله سيبويه.

الثاني: شدة، قاله الكسائي.

﴿وَٱسْتَوَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: اعتدال القوة، قاله ابن شجرة.

الثاني: خروج اللحية، قاله ابن قتيبة.

الثالث: انتهى شبابه، قاله ابن قتيبة.

الرابع: أربعون سنة، قاله ابن عباس.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ في الحكم أربعة أقاويل:

أحدها: أنه العقل، قاله عكرمة.

الثاني: النبوة، قاله السدي.

الثالث: القوة، قاله مجاهد.

الرابع: الفقه، قاله ابن اسحاق.

قوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها مصر، قاله ابن شجرة.

الثاني: منف، قاله السدي.

الثالث: عين الشمس، قاله الضحاك.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: نصف النهار والناس قائلون، قاله ابن جبير.

الثاني: ما بين المغرب والعشاء، قاله ابن عباس.

الثالث: يوم عيد لهم وهم في لهوهم، قاله الحسن.

الرابع: لأنهم غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به، حكاه ابن عيسى.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: من شيعته إسرائيلي ومن عدوه قبطي، قاله ابن عباس.

الثاني: من شيعته مسلم ومن عدوه كافر، قاله ابن إسحاق.

﴿فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ حكى ابن سلام أن القبطي سخّر الإسرائيلي ليحمل له حطباً لمطبخ فرعون فأبى عليه فاستغاث بموسى. قال سعيد بن جبير: وكان خبازاً لفرعون ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ قال قتادة: بعصاه وقال مجاهد: بكفه أي دفعه، الوكز واللكز واحد والدفع.

قال رؤبة[٢٧٧]:

بعدد ذي عُدَّةٍ ووكز

إلا أن الوكز في الصدر واللكز في الظهر.

فعل موسى ذلك وهو لا يريد قتله وانما يريد دفعه[٢٧٨].

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي فقتله.

و ﴿قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ أي من إغوائه.

﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ قال الحسن: لم يكن يحل قتل الكافر يومئذٍ في تلك الحال لأنها كانت حال كف عن القتال.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من المغفرة.

الثاني: من الهداية.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي عوناً. قال ابن عباس: قال ذلك فابتلي لأن صاحبه الذي أعانه دل عليه.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾

---

(٢٧٧) اللسان «وشر» وصدره.

وإن حينا أو شاء كل نشر

(٢٧٨) ولهذا قال الشوكاني رحمه الله (٤/١٦٤) ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكبائر والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة ولأن الوكزة في الغالب لا تقتل».

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خائفاً من قتل النفس أن يؤخذ بها.

الثاني: خائفاً من قومه.

الثالث: خائفاً من الله.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتلفت من الخوف، قاله ابن جبير.

الثاني: ينتظر.

وفيما ينتظر فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ينتظر الطلب إذا قيل إن خوفه كان من قتل النفس.

الثاني: ينتظر أن يسلمه قومه إذا قيل إن خوفه منهم.

الثالث: ينتظر عقوبة الله إذا قيل إن خوفه كان منه.

﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يعني الإسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز من أجله القبطي فقتله، استصرخه واستغاثه على رجل آخر من القبط خاصمه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك للإسرائيلي لأنه قد أغواه بالأمس حتى قتل من أجله رجلاً ويريد أن يغويه ثانية.

الثاني: أنه قال ذلك للقبطي فظن الإسرائيلي أنه عناه فخافه، قاله ابن عباس.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا...﴾ وهو القبطي لأن موسى أخذته الرقة على الإسرائيلي فقال الإسرائيلي:

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الإسرائيلي رأى غضب موسى عليه وقوله إنك لغوي مبين، فخاف أن يقتله فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ﴾.

الثاني: أن الإسرائيلي خاف أن يكون موسى يقتل القبطي فيقتل به الإسرائيلي فقال ذلك دفعاً لموسى عن قتله، قاله يحيى بن سلام. قال يحيى: وبلغني أن هذا الإسرائيلي هو السامري.

وخلى الإسرائيلي القبطي فانطلق القبطي وشاع أن المقتول بالأمس قتله موسى.

﴿. . . إلاَّ أن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلأَرْضِ﴾ قال السدي: يعني قتالاً.

قال أبو عمران الجوني: وآية الجبابرة القتل بغير [حق].

وقال عكرمة: لا يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين [بغير حق].

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ﴾ أي وما هكذا يكون الإصلاح.

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ قال الضحاك: هو مؤمن آل فرعون. وقال شعيب: اسمه شمعون. وقال محمد بن اسحاق: شمعان. وقال الضحاك والكلبي: اسمه حزقيل بن شمعون. قال الكلبي: هو ابن عم فرعون أخي أبيه.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يتشاورون في قتلك، قاله الكلبي، ومنه قول النمر بن تولب(٢٧٩):

أرى الناس قد أحدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر

الثاني: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ومنه قوله ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الطلاق: ٦] أي ليأمر بعضكم بعضاً وكقول امرىء القيس(٢٨٠):

أحارِ بن عمرٍو كأني خَمِرْ ... ويعدو على المرء ما يأتمر

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ

(٢٧٩) فتح القدير (٤/١٦٥)، الطبري (٢٠/٥٢) مجاز القرآن (١/١٧٨).

(٢٨٠) ديوانه (١٥٤) اللسان «أمر».

قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قال عكرمة: عرضت لموسى أربع طرق فلم يدر أيتها يسلك.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك عند استواء الطرق فأخذ طريق مدين، قاله عكرمة.

الثاني: أنه قال ذلك بعد أن اتخذ طريق مدين فقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي قصد الطريق إلى مدين، قاله قتادة والسدي. قال قتادة: مدين ماء كان عليه قوم شعيب.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ قال ابن عباس: لما خرج موسى من مصر إلى مدين وبينه وبينهما ثماني ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر وخرج حافياً فما وصل إليها حتى وقع خف قدميه.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي جماعة. قال ابن عباس: الأمة أربعون.

﴿يَسْقُونَ﴾ يعني غنمهم ومواشيهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تحبسان، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر[٢٨١]:

أبيتُ على باب القوافي كأنما ... أذود بها سِرباً من الوحش نُزَّعا

الثاني: تطردان. قال الشاعر[٢٨٢]:

لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأيِّ عصا تذود

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهما تحبسان غنمهما عن الماء لضعفهما عن زحام الناس، قاله أبو مالك والسدي.

الثاني: أنهما تذودان الناس عن غنمهما، قاله قتادة.

---

(٢٨١) هو سويد بن كراع، والبيت في الطبري (٢٠/٥٥) والأغاني (١٢/٣٤٤) وفتح القدير (٤/١٩٠).
(٢٨٢) الطبري (٢٠/٥٥)، فتح القدير (٤/١٦٦).

الثالث: تمنعان غنمهما أن تختلط بغنم الناس، حكاه يحيى بن سلام.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما، وفي الخطب تضخيم الشيء ومنه الخطبة لأنها من الأمر المعظم.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ والصدور الانصراف ، ومنه الصّدر لأن التدبير يصدر عنه، والمصدر لأن الأفعال تصدر عنه. والرعاء جمع راع.

وفي امتناعهما من السقي حتى يصدر الرعاء وجهان:

أحدهما: تصوناً عن الاختلاط بالرجال.

الثاني: لضعفهما عن المزاحمة بماشيتهما.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وفي قولهما ذلك وجهان:

أحدهما: أنهما قالتا ذلك اعتذاراً إلى موسى من معاناتهما سقي الغنم بأنفسهما.

الثاني: قالتا ذلك ترقيقاً لموسى ليعاونهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما، قاله ابن إسحاق.

الثاني: أنه أتى بئراً عليها صخرة لا يقلها من أهل مدين إلا عشرة فاقتلعها بنفسه وسقى لهما. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ قال السدي: إلى ظل الشجرة وذكر أنها سَمُرة.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس: قال موسى ذلك وقد لصق بطنه بظهره من الجوع وهو فقير إلى شق تمرة ولو شاء إنسان لنظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع.

قال الضحاك: لأنه مكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً إلا بقل الأرض؛ فعرض لهما بحاله فقال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: شبعة من طعام، قاله ابن عباس.

الثاني: شبعة يومين، قاله ابن جبير.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**فَجَآءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾ قال ابن عباس: فاستبكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفّلا بطاناً فقال لهما: إن لكما اليوم لشأناً فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فجاءته تمشي على استحياء، وفيه قولان:

أحدهما: أنه استتارها بكم درعها، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢٨٣].

الثاني: أنه بعدها من النداء، قاله الحسن.

وفي سبب استحيائها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها دعته لتكافئه وكان الأجمل مكافأته من غير عناء.

الثاني: لأنها كانت رسولة أبيها.

الثالث: ما قاله عمر لأنها ليست بسلفع من النساء خَرَّاجة ولّاجة.

﴿**قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ**﴾ وفي أبيها قولان:

أحدهما: أنه شعيب النبي عليه السلام[٢٨٤].

الثاني: أنه يثرون ابن أخي شعيب، قاله أبو عبيدة والكلبي.

وكان اسم التي دعت موسى وتزوجها: صفوريا. واسم الأخرى فيه قولان:

---

(٢٨٣) رواه الطبري (٢٠/ ٦٠) وابن أبي حاتم وسنده صحيح صححه ابن كثير (٣/ ١٨٤) وفيه دليل على أن النقاب معروف في الأمم السابقة.

(٣٠) وقد تقدم ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الرجل لم يكن شعيب النبي صلوات الله وسلامه عليه.

إحداهما: ليا، قاله ابن اسحاق.

الثاني: شرفا، قاله ابن جرير[٢٨٥].

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي ليكافئك على ما سقيت لنا فمشت أمامه فوصف الريح عجيزتها فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي أخبره بخبره مع آل فرعون.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني أنه ليس لفرعون وقومه عليّ سلطان ولسنا في مملكته.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَآ أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ﴾ والقائلة هي التي دعته وهي الصغرى يعني استأجره لرعي الغنم.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القوي فيما ولي، الأمين فيما استودع، قاله ابن عباس.

الثاني: القوي في بدنه، الأمين في عفافه. وروي أن أباها لما قالت له ذلك دخلته الغيرة فقال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ولا يكشفها دون عشرة، وأما أمانته فإنه خلفني خلف ظهره حين مشى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ فروى عبد الرحمن بن زيد أن موسى قال: فأيهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك، قال: لا إلا أن تكون تريد ما دخل في نفسك عليها فقال: هي عندي كذلك فزوجه وكانت الصغيرة واسمها صفوريا.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ يعني عمل ثماني حجج فأسقط ذكر العمل واقتصر على المدة لأنه مفهوم منهما. والعمل رعي الغنم.

واختلف في هذه الثماني حجج على قولين:

أحدهما: أنها صداق المنكوحة.

الثاني: أنها شرط الأب في إنكاحها إياه وليس بصداق.

---

(٢٨٥) جامع البيان (٢٠/٦٢).

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ قال ابن عباس كانت على بني الله موسى ثماني حجج واجبة وكانت سنتان عِدة منه فقضى الله عنه عِدته فأتمها عشراً.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من الصالحين في حسن الصحبة. قاله ابن إسحاق.

الثاني: فيما وعده به.

حكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شبه أمها فأوحى الله إلى موسى أن ألق عصاك في الماء فولدت كلهن خلاف شبههن. وقال غير يحيى: بل جعل له كل بلقاء فولدن كلهن بُلْقاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ قال السدي: لا سبيل عليّ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قول السدي: شهيد.

الثاني: حفيظ، قاله قتادة.

الثالث: رقيب، قاله ابن شجرة.

فروي أن النبي ﷺ قال(٢٨٦): «إِنَّ مُوسَىٰ أَجَّرَ نَفْسَهُ بِعِفَّةِ فَرْجِهِ وَطُعْمَةِ بَطْنِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ الأَجَلَيْنِ قَضَىٰ؟ فَقَالَ أَبَرُّهُمَا وَأَوفَاهُمَا».

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ

(٢٨٦) قوله «إن موسى . . . . . إلى بطنه».

رواه ابن ماجة (٢٤٤٤) من حديث عقبة بن المنذر السلمي.

وسنده ضعيف، لأن فيه مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٨٥) ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن روي من وجه آخر وفيه نظر أيضاً ثم ساق رواية ابن أبي حاتم.

قلت: والنظر الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير هو لأن في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف إلا في رواية العبادلة عنه.

وأما قوله «أي الأجلين . . . الخ».

فقد رواه البخاري (٥/٢١٣، ٢١٤) من حديث ابن عباس.

راجع جامع الأصول (٢/٢٩٥).

ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ يعني العمل الذي شُرِطَ عليه.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أي بزوجته.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ أي رأى، وقد يعبر عن الرؤية بالعلم.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُواْ إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

يحتمل وجهين:

أحدهما: بخبر الطريق الذي أراد قصده هل هو على صوبه أو منحرف عنه.

الثاني: بخبر النار التي رآها هل هي لخير يأنس به أو لشر يحذره.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: الجذوة أصل الشجرة فيها نار، قاله قتادة.

الثاني: أنها عود في بعضه نار وليس في بعضه نار، قاله الكلبي.

الثالث: أنها عود فيه نار ليس له لهب، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنها شهاب من نار ذو لهب، قاله ابن عباس. قال الشاعر(٢٨٧):

وألقي على قبس من النار جذوة ... شديدٌ عليها حميها والتهابها

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا﴾ يعني النار أي قرب منها.

﴿نُودِيَ مِن شَاطِىءِ ٱلْوَادِ ٱلأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ﴾ وهي البقعة التي قال الله فيها لموسى ﴿ٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

(٢٨٧) روح المعاني (٢٠/٧٢) والشاعر هو ابن مقيل.

واحتمل وصفها بالبركة وجهين:

أحدهما: لأن الله كلم فيها موسى وخصه فيها بالرسالة.

الثاني: أنها كانت من بقاع الخصب وبلاد الريف.

ثم قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فأحل الله كلامه في الشجرة حتى سمعه موسى منها، لأنه لا يستطيع أن يسمعه من الله وهذه أعلى منازل الأنبياء أن يسمعوا كلام الله من غير رسول مبلغ وكان الكلام مقصوراً على تعريفه بأنه الله رب العالمين إثباتاً لوحدانيته ونفياً لربوبية غيره، وصار بهذا الكلام من أصفياء الله لا من رسله لأنه لا يصير رسولاً إلا بعد أمره بالرسالة، والأمر بها إنما كان بعد هذا الكلام.

فإن قيل: فكيف أضاف البركة إلى البقعة دون الشجرة والشجرة بالبركة أخص لأن الكلام عنها صدر ومنها سُمِعَ؟

قيل: عنه جوابان:

أحدهما: أن الشجرة لما كانت في البقعة أضاف البركة إلى البقعة لدخول الشجرة فيها ولم يخص به الشجرة فتخرج البقعة وصار إضافتها إلى البقعة أعم.

الثاني: أن البركة نفذت من الشجرة إلى البقعة فصارت البقعة بها مباركة فلذلك خصّها الله بذكر البركة، قاله ابن عباس، والشجرة هي العليق وهي العوسج.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ. . .﴾ الآية وإنما أمره بإلقاء عصاه في هذا الحال ليكون برهاناً عنده بأن الكلام الذي سمعه كلام الله ثم ليكون برهاناً له إلى من يرسل إليه من فرعون وملئه.

فإن قيل: فإذا كانت برهاناً إليه وبرهاناً له فلم ولَّى منها هارباً؟

قيل لأمرين:

أحدهما: رأى ما خالف العادة فخاف.

الثاني: أنه يجوز أن يظن الأمر بإلقائها لأجل أذاها فولَّى هارباً حتى نودي فعلم.

﴿. . . وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولم يثبت، اشتقاقاً من العقب الذي يثبت القدم.

الثاني: ولم يتأخر لسرعة مبادرته.

ويحتمل ثالثاً: أي لم يلتفت إلى عقبه لشدة خوفه وسرعة هربه.

﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: الآمنين من الخوف.

الثاني: من المرسلين لقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال ابن بحر: فصار على هذا التأويل رسولاً بهذا القول. وعلى التأويل الأول يصير رسولاً بقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ والبرهانان اليد والعصا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وجهان:
أحدهما: أن الجناح الجيب جيب القميص وكان عليه مدرعة صوف.
الثاني: أن الجيب جنب البدن.
﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن الرهب الكُمّ، قاله مورق.
الثاني: أنه من الخوف.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿رِدْءًا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: عوناً، قاله مجاهد.

الثاني: زيادة، والردء الزيادة وهو قول مسلم بن جندب وأنشد قول الشاعر[٢٨٨]:

وأسمر خطيّاً كأن كعوبه نوى القسب قد أردى ذِراعاً على العشر

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)﴾

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ قال ابن عباس: كان بينها وبين قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أربعون سنة.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ قال قتادة: هو أول من طبخ الآجر.

﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحاً﴾ الصرح القصر العالي. قال قتادة: هو أول من صنع له الصرح.

﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ الآية. فحكى السدي أن فرعون صعد الصرح ورمى نشابه نحو السماء فرجعت إليه متلطخة دماً فقال: قد قتلت إلَه موسى.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ قال قتادة: بحر يقال له أساف من وراء مصر غرقهم الله فيه.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعني فرعون وقومه، وفيه وجهان:

أحدهما: زعماء يُتْبعُونَ على الكفر.

الثاني: أئمة يأتم بهم ذوو العبر ويتعظ بهم أهل البصائر.

---

(٢٨٨) فتح القدير (٤/١٧٣).

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يدعون إلى عمل أهل النار.

الثاني: يدعون إلى ما يوجب النار.

قوله: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني خزياً وغضباً.

الثاني: طرداً منها بالهلاك فيها.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من المقبحين بسواد الوجوه وزرقة الأعين، قاله الكلبي.

الثاني: من المشوهين بالعذاب، قاله مقاتل.

الثالث: من المهلكين، قاله الأخفش وقطرب.

الرابع: من المغلوبين، قاله ابن بحر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها ست من المثاني السبع التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ، قاله ابن عباس ورواه مرفوعاً[٢٨٩]،

الثاني: أنها التوراة، قاله قتادة. قال يحيى بن سلام: هو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ قال أبو سعيد الخدري: ما أهلك الله أمة من الأمم ولا قرناً من القرون ولا قرية من القرى بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل الله التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخهم الله قردة، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾.

---

(٢٨٩) رواه ابن جرير (١٤/٥٢) وابن أبي حاتم وغيره كما في الدر (٥/٩٥).

راجع تفسير قوله ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾.

ومعنى قوله ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي بينات. ﴿وَهُدًى﴾ أي دلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي نعمة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على إيمانهم في الدنيا ويثقوا بثوابهم في الآخرة.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿وَمَاكُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وما كنت يا محمد ﴿بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: نودي يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني، قاله أبو هريرة.

الثاني: أنهم نودوا في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بُعِثْتَ، قاله مقاتل.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ما نودي به موسى من جانب الطور من ذكرك نعمة من ربك.

الثاني: أن إرسالك نبياً إلى قومك نعمة من ربك.

﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العرب.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿... قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قرأ الكوفيون سحران، فمن قرأ ساحران ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: موسى ومحمد عليهما السلام، وهذا قول مشركي العرب، وبه قال ابن عباس والحسن.

الثاني: موسى وهارون عليهما السلام وهذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة، قاله ابن جبير ومجاهد وأبو زيد.

الثالث: عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وهذا قول اليهود اليوم، وبه قال قتادة.

ومن قرأ سحران ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التوراة والقرآن، قاله عاصم الجحدري والسدي.

الثاني: التوراة والإنجيل، قاله إسماعيل وأبو مجلز.

الثالث: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ يعني بما تقدم ذكره على اختلاف الأقاويل وفي قائل ذلك قولان:

إحداهما: اليهود.

الثاني: قريش.

قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه بيَّنا لهم القول، قاله السدي.

الثاني: أتممنا كصلتك الشيء بالشيء، قاله الأخفش.

الثالث: أتبعنا بعضه بعضاً، قاله علي بن عيسى.

وفي ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الخبر عن الدنيا والآخرة، قاله ابن زيد.

الثـاني: إخبارهم بمن أهلكنا من قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا وقـوم هود بكذا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يتذكرون محمداً فيؤمنوا به، قاله ابن عباس.

الثاني: يتذكرون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، قاله ابن عيسى.

الثالث: لعلهم يتعظون بالقرآن عن عبادة الأوثان، حكاه النقاش.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَآتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبـل القرآن هم بـالقرآن يؤمنون، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل محمد هم بمحمد يؤمنـون، قاله ابن شجرة.

وفيمن نزلت قولان:

أحدهما: نزلت في عبدالله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، قاله قتادة.

الثاني: أنها نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام. منهم بحيراً وأبرهة والأشراف وعامر وأيمن وإدريس ونافع فأنزل الله فيهم هذه الآية، والتي بعدها إلى قوله ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ قال قتادة: [بإيمانهم] بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر.

وفي قوله بما صبروا ثلاثة أوجه:

أحدها: بما صبروا على الإيمان، قاله ابن شجرة.

الثاني: على الأذى، قاله مجاهد.

الثالث: على طاعة الله وصبروا عن معصية الله، قاله قتادة.

﴿. . . وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يدفعون بالعمل الصالح ما تقدم من ذنب، قاله ابن شجرة.

الثاني: يدفعون بالحلم جهل الجاهل، وهذا معنى قول يحيى بن سلام.

الثالث: يدفعون بالسلام قبح اللقاء، وهذا معنى قول النقاش.

الرابع: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله ابن جبير.

الخامس: يدفعون بالخير الشر، قاله ابن زيد.

ويحتمل سادساً: يدفعون بالتوبة ما تقدم من المعصية.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يؤتون الزكاة احتساباً، قاله ابن عباس.

الثاني: نفقة الرجل على أهله وهذا قبل نزول الزكاة، قاله السدي.

الثالث: يتصدقون من أكسابهم، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يتلقونهم بالشتم والسب فيعرضون عنهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم قوم من اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غَيّره اليهود من التوراة وبدلوه من نعت محمد ﷺ وصفته أعرضوا عنه وكرهوا تبديله، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الثالث: أنهم المؤمنون إذا سمعوا الشرك أعرضوا عنه، قاله الضحاك ومكحول.

الرابع: أنهم أناس من أهل الكتاب لم يكونوا يهوداً ولا نصارى وكانوا على دين أنبياء الله وكانوا ينتظرون بعثة رسول الله ﷺ فلما سمعوا بظهوره بمكة قصدوه، فعرض عليهم القرآن وأسلموا.

وكان أبو جهل ومن معه من كفار قريش يلقونهم فيقولون لهم: أفٍّ لكم من قوم منظور إليكم تبعتم غلاماً قد كرهه قومه وهم أعلم به منكم فإذا قالوا ذلك لهم أعرضوا عنهم، قاله الكلبي.

﴿قَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم، حكاه النقاش.

الثاني: لنا حلمنا ولكم سفهكم.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَاهِلِينَ﴾ ردّوا خيراً واستكفوا شراً، وفيه تأويلان:

أحدهما: لا نجازي الجاهلين، قاله قتادة.

الثاني: لا نتبع الجاهلين، قاله مقاتل.

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من أحببت هدايته.

الثاني: من أحببته لقرابته. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن: نزلت في أبي طالب عم النبي ﷺ.

وروى أبو هريرة أن النبي قال لعمه أبي طالب(٢٩٠) «قُل لَّا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِندَ ٱللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ» فقال: لولا أن تعيرني بها قريش لأقررت عينيك بها.

وروى مجاهد أنه قال: يا ابن أخي ملة الأشياخ، فنزلت الآية تعني أبا طالب.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ قاله قتادة: يعني العباس.

---

(٢٩٠) رواه البخاري (٨/٣٨٩) ومسلم (١/٥٤) مطولاً مع اختلاف يسير ورواه مسلم (١/٥٥) مختصراً هكذا، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/) لعبد بن حميد والترمذي وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ قال مجاهد: يعني بمن قدر له الهدى والضلالة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي ﷺ إنا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعني بمكة فإنما نحن أكلة رأس العرب ولا طاقة لنا بهم، فأجاب الله عما اعتل به فقال:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه جعله آمناً بما طبع النفوس عليه من السكون إليه حتى لا ينفر منه الغزال والذئب والحمام والحدأة.

الثاني: أنه جعله آمناً بالأمر الوارد من جهته بأمان من دخله ولاذ به، قاله يحيى بن سلام.

يقول كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي تجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد. وحكى مجاهد أن كتاباً وجد عند المقام فيه: إني أنا الله ذو بكة، وضعتها يوم خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، مبارك لأهلها في الماء واللحم، أول من يحلها أهلها.

﴿رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا﴾ أي عطاء من عندنا.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعقلون، قاله الضحاك.

الثاني: لا يتدبرون، قاله ابن شجرة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ والبطر الطغيان بالنعمة. وفيه وجهان:

أحدها: يعني بطرت في معيشتها، قاله الزجاج.

الثاني: أبطرتها معيشتها، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في أوائلها، قاله الحسن.

الثاني: في معظم القرى من سائر الدنيا، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أن أم القرى مكة، قاله قتادة.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو حمزة بن عبد المطلب والوعد الحسن الجنة و ﴿لاَقِيهِ﴾ دخولها، قاله السدي.

الثاني: هو النبي ﷺ والوعد الحسن النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قاله الضحاك.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال السدي والضحاك: هو أبو جهل.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من المحضرين للجزاء، قاله ابن عيسى.

الثاني: من المحضرين في النار، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: من المحضرين: المحمولين، قاله الكلبي.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ

ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحجج، قاله مجاهد.

الثاني: الأخبار، قاله السدي.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لا يسألون بالأنساب، قاله مجاهد.

الثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحتمل من ذنوبه، حكاه ابن عيسى.

الثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله، حكاه ابن شجرة.

الرابع: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجة، وهذا قول الضحاك.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوماً كانوا يجعلون خير أموالهم لأهليهم في الجاهلية فقال ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من خلقه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من يشاء لطاعته، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من يشاء لنبوته، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ النبي محمداً ﷺ ﴿وَيَخْتَارُ﴾ الأنصار لدينه حكاه النقاش.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: معناه ويختار للمؤمنين ما كان لهم فيه الخيرة فيكون ذلك إثباتاً.

الثاني: معناه ما كان للخلق على الله الخيرة، فيكون ذلك نفياً. ومن قال بهذا فلهم في المقصود به وجهان:

أحدهما: أنه عنى بذلك قوماً من المشركين جعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فنزل ذلك فيهم، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال ما حكاه الله عنه في سورة الزخرف ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾ الآية. [الزخرف: ٣١] يعني نفسه وعروة بن مسعود الثقفي فقال الله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أن يتخيروا على الله الأنبياء.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أخرجنا من كل أمة رسولاً مبعوثاً إليها.

الثاني: أحضرنا من كل أمة رسولاً يشهد عليها أن قد بلغ رسالة ربه إليها، قاله قتادة.

﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما : حجتكم ، قاله أبو العالية .

الثاني : بينتكم ، قاله قتادة .

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن العدل لله ، قاله ابن جبير .

الثاني : التوحيد لله ، قاله السدي .

الثالث : الحجة لله .

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ يعني في القيامة .

﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من الكذب .

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ قال ابن عباس : كان ابن عمه[٢٩١]، قال قتادة : ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمى : المنور، من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري .

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : بغيه عليهم أنه كفر بالله ، قاله الضحاك .

الثاني : أنه زاد في طول ثيابه شبراً ، قاله شهر بن حوشب .

الثالث : أنه علا عليهم بكثرة ماله وولده ، قاله قتادة .

الرابع : أنه صنع بغياً ، حين أمر الله موسى برجم الزاني فعمد قارون إلى امرأة بغي فأعطاها مالاً وحملها على أن ادعت عليه أنه زنى بها وقال : فأنت قد زنيت . وحضرت البغي فادّعت ذلك عليه فعظم على موسى ما قالت وأحلفها بالله الذي فلق

---

(٢٩١) وهو قول أكثر أهل العلم كما قال ابن جرير ونقله ابن كثير (٣/٣٩٨) .

البحر لبني إسرائيل وأنـزل التوراة على موسى إلّا صدقت فقالت: أشهد أنك بريء وأن قارون أعطاني مالاً وحملني على أن قلت ما قلت وأنت الصادق وقارون الكاذب فكان هذا بغيه، قاله ابن عباس، قال السدي: وكان اسم البغي شجرتاوبذل لها قارون ألفي درهم.

الخامس: أنه كان غلاماً لفرعون فتعــدى على بني إسرائيـل وظلمهم، قالـه يحيـى بن سلام.

السادس: أنه نسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته، قالـه ابن بحر.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أصاب كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، قاله عطاء.

الثاني: أنه كان يعمل الكيمياء (٢٩٢)، قاله الوليد.

---

(٢٩٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٩٩) متعقباً هذا القول «وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل؛ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبـاباً ولو اجتمعوا له﴾ وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب بخلـق كخلقي فليـخـلقوا ذرة فليـخلقـوا شعيرة» وهذا ورد في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي أن يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحـال وجهل وضـلال إنما يقدرون على الصبغ في الصور الظاهرة وهي كذب وزوز وتمويه وترويج أن صحيح في نفـس الأمر وليس كذلك قطعاً لا محالة ولم يثبت بطـريق شرعي أنـه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاطاها هؤلاء الجهلة الأفاكون فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهباً أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لا ينكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وأن هذا من مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وفعله كما روى عن حيوة بن شريح المصري رحمه الله تعالى أن سأله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول ذكرها أ هـ.

قلت: ومما سبق يتبين. أن: أ ـ ادعاء قلب المواد من تراب إلى ذهب وفضة لم يقع.

ب ـ أن صناعة الكيمياء الباطلة التي يقصدها الحافظ رحمه الله هي قلب الأعيان كقلب التراب ذهباً، وأما صناعة الكيمياء التي تتشرف الجامعات والمدارس فهذه ليست باطلة إنما الباطل ما يقوم على السحر والدجل والشعوذة وقد كان منشأ ذلك في العصور الأولى ويوجد منه الآن بقية.

جـ ـ إن قلب بعض الأشياء على بعض الصالحين من قبيل الكرامة لا من قبيل الدجل والشعوذة فافهم هذا.

﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : خزائنه ، قاله السدي وأبو رزين .

الثاني : أوعيته ، قاله الضحاك .

الثالث : مفاتيح خزائنه وكانت من جلود يحملها أربعون بغلاً .

الرابع : أن مفاتيح الكنوز إحاطة علمه بها ، حكاه ابن بحر لقول الله ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لتثقل العصبة ، قاله ابن عباس وأبو صالح والسدي .

الثاني : لتميل بالعصبة ، قاله الربيع بن أنس مأخوذ من النأي وهو البعد قال الشاعر :

ينأوْن عنا وما تنأى مودتهم ... والقلب فيهم رهين حيثما كانوا

الثالث : لتنوء به العصبة كما قال الشاعر(٢٩٣) :

إنّا وجدنا خلفاً بئس الخلف ... عبداً إذا ما ناء بالحمل خضف

والعصبة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض واختلف في عددهم على سبعة أقاويل :

أحدها : سبعون رجلاً ، قاله أبو صالح .

الثاني : أربعون رجلاً ، قاله الحكم وقتادة والضحاك .

الثالث : ما بين العشرة إلى الأربعين ، قاله السدي .

الرابع : ما بين العشرة إلى الخمسة عشر ، قاله مجاهد .

الخامس : ستة أو سبعة . قاله ابن جبير .

السادس : ما بين الثلاثة والتسعة وهم النفر ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

السابع : عشرة لقول إخوة يوسف ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف : ٨] قاله الكلبي ومقاتل .

وزعم أبو عبيدة أن هذا من المقلوب تأويله : إن العصبة لتنوء بالمفاتح .

﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ قال السدي أولي الشدة .

---

(٢٩٣) فتح القدير (٤/١٨٩) .

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه قول المؤمنين منهم ، قاله السدي .

الثاني : قول موسى ، قاله يحيى بن سلام .

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تبغ إن الله لا يحب الباغين ، قاله مجاهد .

الثاني : لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين ، قاله ابن بحر .

الثالث : لا تبطر إن الله لا يحب البطرين ، قاله السدي . وقال الشاعر[٢٩٤] :

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سَرَّني ... ولا جازعٍ من صرفه المتغلب

قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : طلب الحلال في كسبه ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الصدقة وصلة الرحم ، قاله السدي .

ويحتمل ثالثاً : وهو أعم أن يتقرب بنعم الله إليه . والمراد بالدار الآخرة الجنة .

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لا تنس حظك من الدنيا أن تعمل فيها لآخرتك ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا تنس استغناك بما أحل الله لك عما حرمه عليك ، قاله قتادة .

الثالث : لا تنس ما أنعم الله عليك أن تشكره عليه بالطاعة وهذا معنى قول مجاهد ويكون معناه : لا تنس شكر نصيبك .

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعط فضل مالك كلما زاد على قدر حاجتك ، وهذا معنى قول ابن زيد .

الثاني : وأحسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في إنعامه عليك ، وهذا معنى قول يحيى بن سلام .

الثالث : أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال .

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين :

---

(٢٩٤) هو هدبة بن خشرم العذري والبيت في غريب القرآن : ٣٣٥ والكامل (١٢٤٨/٣) وحماسة البحتري ١٢٠ وعيون الأخبار (١٧٦/٢ ، ١٨١) وحماسة ابن الشجري : ١٣٧ والبحر المحيط (١٣٢/٧) والقرطبي (٣١٣/١٣) وزاد المسير (٢٤١/٦) والشطر الثاني منه «من طرفه المتقلب» .

أحدهما: لا تعمل فيها بالمعاصي.

الثاني: لا تقطع(*).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحب أعمال المفسدين، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يقرب المفسدين، قاله ابن قتيبة.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أي بقوتي وعلمي، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: على خير وعلم عندي، قاله قتادة.

الثالث: لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي، قاله ابن زيد.

الرابع: على علم بوجه المكاسب، قاله ابن عيسى.

الخامس: العلم بصنعة الكيمياء(٢٩٥).

حكى النقاش أن موسى عليه السلام علّم قارون(٢٩٦) الثلث من صنعة الكيمياء، وعلم يوشع بن نون الثلث، وعلم ابني هارون الثلث فخدعهما قارون وكان على إيمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيمياء فكثرت أمواله.

وفي قوله تعالى: ﴿... وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: يعذبون ولا يحاسبون، قاله قتادة.

الثاني: لا يسألون عن إحصائها ويعطون صحائفها فيعرفون ويعترفون بها، قاله الربيع.

(*) كلمة مطموسة بالأصول ولعل المقصود لا تقطع الطريق.

(٢٩٥) راجع التعليق رقم ٢٣.

(٢٩٦) لا يدل على ذلك دليل صحيح والأنبياء أرفع منزلة من أن يتعلموا هـذه الأشياء فضلاً عن تعليمهم إياها للناس.

الثالث: لأن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا تسأل عنهم، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم لا يُسألون سؤال استعتاب: لمَ لَمْ يؤمنوا، قاله ابن بحر كما قال ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: في حشمه، قاله قتادة.

الثاني: في تَبَعه في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات[٢٩٧] وكان أول يوم رؤيت فيه المعصفرات قاله ابن زيد. قال أبو لبابة: أول من صبغ بالسواد قارون.

الثالث: خرج في جوارٍ بيض على بغال بيض بسروج من ذهب على قطف أرجوان، قاله السدي.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ تمنوا ماله رغبة في الدنيا.

﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لذو درجة عظيمة، قاله الضحاك.

الثاني: لذو جد عظيم، قاله السدي.

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

---

(٢٩٧) يعني الثياب المصبوغة بالعصفر.

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: لما شكا موسى إلى الله أمْر قارون أمر الله الأرض أن تطيع موسى، ولما أقبل قارون وشيعته قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى أوساطهم ثم: قال: خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، ثم قال خذيهم فخسف الله بهم وبدار قارون وكنوزه.

روى يزيد الرقاشي أن قارون لما أخذته الأرض إلى عنقه أخذ موسى نعليه فخفق بهما وجهه فقال قارون: يا موسى ارحمني، قال الله تعالى **(يَا مُوسَىٰ مَا أَشَدَّ قَلْبَكَ، دَعَاكَ عَبْدِي وَاسْتَرْحَمَكَ فَلَمْ تَرْحَمْهُ: وَعِزَّتِي لَو دَعَانِي عَبْدِي لَأَجَبْتُهُ)**.

روى سمرة بن جندب أنه يخسف بقارون وقومه في كل يوم بقدر قامة فلا يبلغ إلى الأرض السفلى إلى يوم القيامة.

قال مقاتل لما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو إسرائيل: إنما أهلكه ليرث ماله لأنه كان ابن عمه أخي أبيه فخسف الله بداره وبجميع أمواله بعد ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ فيه ثمانية أوجه:

أحدها: معناه أو لا يعلم أن الله؟ رواه معمر عن قتادة.

الثاني: أو لا يرى؟ رواه سعيد عن قتادة.

الثالث: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ بلغة حمير، قاله الضحاك.

الرابع: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ والياء، والكاف صلتان زائدتان، حكاه النقاش.

الخامس: ﴿وَكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ والياء وحدها صلة زائدة. وقال ابن عيسى بهذا التأويل غير أنه جعل الياء للتنبيه.

السادس: معناه ويك أن الله ففصل بين الكاف والألف وجعل ويك بمعنى ويح فأبدل الحاء كافاً ومنه قول عنترة[٢٩٨]:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدمِ

السابع: ويلك إن الله فحذف اللام إيجازاً، حكاه ابن شجرة.

الثامن: وي منفصلة على طريق التعجب ثم استأنف فقال كأن الله، قاله الخليل.

---

(٢٩٨) معاني القرآن (ص ٢٤٣)، الطبري (١٠/١٢١) مختار الشعر الجاهلي ٣٧٩.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معنى يقدر أن يختار له، قاله ابن عباس.

الثاني: ينظر له فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره، قاله الحسن.

الثالث: يضيق، وهذا معنى قول ابن زيد.

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ أي الجنة نجعلها.

﴿عُلُوًّا﴾ فيها ستة أوجه:

أحدها: يعني بغياً، قاله ابن جبير.

الثاني: تكبراً، قاله مسلم.

الثالث: شرفاً وعزاً، قاله الحسن.

الرابع: ظلماً، قاله الضحاك.

الخامس: شركاً، قاله يحيى بن سلام.

السادس: لا يجزعون من ذلها ولا يتنافسون على عزها، قاله أبو معاوية.

ويحتمل سابعاً: أن يكون سلطاناً فيها على الناس.

﴿وَلَا فَسَاداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الأخذ بغير حق، قاله مسلم.

الثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله عكرمة.

الثالث: أنه قتل الأنبياء والمؤمنين، قاله يحيى بن سلام.

ويحتمل رابعاً: أنه سوء السيرة.

﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والثواب للمتقين، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : معناه والجنة للمتقين، قاله ابن شجرة.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنزل عليك القرآن، قاله يحيى بن سلام والفراء.

الثاني: أعطاكه، قاله مجاهد.

الثالث: أوجب عليك العمل به، حكاه النقاش.

الرابع: حمّلك تأديته وكلفك إبلاغه، حكاه ابن شجرة.

الخامس: بينه على لسانك، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أي قدر عليك إنزاله في أوقاته لأن الفرض التقدير.

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إلى مكة، قاله مجاهد والضحاك وابن جبير، والسدي.

الثاني: إلى بيت المقدس، قاله نعيم القاري.

الثالث: إلى الموت، قاله ابن عباس وعكرمة.

الرابع: إلى يوم القيامة، قاله الحسن.

الخامس: إلى الجنة، قاله أبو سعيد الخدري.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في الجحفة حين عسف به الطريق إليها فليست مكية ولا مدنية.

قوله تعالى: ﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه إلا هو[٢٩٩]، قاله الضحاك.

الثاني: إلا ما أريد به وجهه، قاله سفيان الثوري.

الثالث: إلا ملكه، حكاه محمد بن إسماعيل البخاري.

الرابع: إلا العلماء فإن علمهم باق، قاله مجاهد.

الخامس: إلا جاهه كما يقال لفلان وجه في الناس أي جاه، قاله أبو عبيدة.

السادس: الوجه العمل ومنه قولهم: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار أي عمله. وقال الشاعر[٣٠٠]:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القضاء في خلقه بما يشاء من أمره، قاله الضحاك وابن شجرة.

الثاني: أن ليس لعباده أن يحكموا إلا بأمره، قاله ابن عيسى.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، والله أعلم.

---

(٢٩٩) بينا فيما مضى أن طريقة السلف هي التسليم بما ورد عن الله تعالى من غير اعتقاد التجسيم والتكيف كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ والبخاري كما قال في المصنف إنه قد أول الوجه بالملك وهو أي البخاري من السلف وقد ورد ذلك في صحيحه في باب التفسير.

(٣٠٠) الطبري (٢٠/١٢٧) ولم يعرف قائل هذا البيت.



مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. ومدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة. وفي القول الثاني لهما وهو قول يحيى بن سلام مكية كلها إلا عشر آيات من أولها مدنية إلى قوله ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ﴾ وقال علي رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ...﴾ هذا لفظ استفهام أريد به التقرير والتوبيخ وفيه خمسة أقاويل:

أحدها: معناه أظن الذين قالوا لا إله إلا الله أن يتركوا فلا يختبروا أصدقوا أم كذبوا. قاله الحسن.

الثاني: أظن المؤمنون ألا يؤمروا ولا ينهوا، قاله ابن بحر.

الثالث: أظن المؤمنون ألا يؤذوا ويقتلوا. قاله الربيع بن أنس. وقال قتادة: نزلت في أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم المشركون فرجعوا فنزلت

فيهم فلما سمعوها خرجوا فقتل منهم من قتل وخلص من خلص فنزل فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ الآية.

الرابع: أنها نزلت في عمار بن ياسر ومن كان يعذب في الله بمكة، قاله عبيد بن عمير. قال الضحاك: نزلت في عباس بن أبي ربيعة أسلم وكان أخا أبي جهل لأمه أخذه وعذبه على إسلامه حتى تلفظ بكلمة الشرك مكرهاً.

الخامس: نزلت في قوم أسلموا قبل فرض الجهاد والزكاة فلما فرضا شق عليهم فنزل ذلك فيهم، حكاه ابن أبي حاتم.

وفي قوله: ﴿. . . وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: لا يسألون، قاله مجاهد.

الثاني: لا يختبرون في أموالهم وأنفسهم بالصبر على أوامر الله وعن نواهيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما افترضه عليهم.

الثاني: بما ابتلاهم به.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليظهرن الله لرسوله صدق الصادق، قاله ابن شجرة.

الثاني: فليميزن الله الذين صدقوا من الكاذبين، قاله النقاش وذكر أن هذه الآية نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر قتله عامر بن الحضرمي. ويقال إنه أول من يدعى إلى الجنة من شهداء المسلمين وفيه يقول النبي ﷺ يوم بدر «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مهجع» (٣٠١).

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: الشرك وزعم أنهم اليهود.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يسبقوا ما كتبنا عليهم في محتوم القضاء.

الثاني: أن يعجزونا حتى لا نقدر عليهم، وهو معنى قول مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن يفوتونا حتى لا ندركهم.

(٣٠١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ساء ما يظنون، قاله ابن شجرة.

الثاني: ساء ما يقضون لأنفسهم على أعدائهم، قاله النقاش.

مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من كان يخشى لقاء الله، قاله ابن جبير والسدي.

الثاني: من كان يؤمل.

وفي ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ وجهان:

أحدهما: ثواب الله، قاله ابن جبير.

الثاني: البعث إليه، قاله يحيى بن سلام.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ يعني الجزاء في القيامة فاستعدوا له.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالتكم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمعتقدكم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ألزمناه أن يفعل بهما برًّا، قاله السدي.

الثاني: أن ما وصيناه به من برهما حسناً.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ أي ألزماك.

﴿لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: ما ليس لك به حجة لأن الحجة طريق العلم.

الثاني: أن تجعل لي شريكاً لأنه ليس لأحد بذلك من علم.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فأمر بطاعة الوالدين في الواجبات حتماً وفي المباحات ندباً ونهى عن طاعتهما في المحظورات جزماً، وقد جاء في الأثر. لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٣٠٢).

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني في القيامة.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني في الدنيا من خير يستحق به الثواب وشر يستوجب به عقاب.

واختلفوا في سبب نزولها وإن عم حكمها على قولين:

أحدهما: نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد حلفت أمّه عليه وأقسمت ألا تأكل طعاماً حتى يرجع عن دين محمد ﷺ. قاله مصعب وسعد وقتادة.

الثاني: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

---

(٣٠٢) ورد مرفوعاً بنفس اللفظ من حديث النواس بن سمعان رواه البغوي في شرح السنة (١٠/٤٤) وإسناده ضعيف كما قال الأرناؤوط قلت: لأن في سنده شهر بن حوشب قال الأرناؤوط حفظه الله: ويشهد له حديث الحكم بن عمرو الغفاري وعمران بن حصين رضي الله عنهما عند أحمد (٥/٦٦). والطيالسي (٨٥٦) وإسناده صحيح صححه الحاكم (٣/٤٤٣) ووافقه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فيه وجهان[٣٠٣]:

أحدهما: أنهم أعوان الظلمة.

الثاني: أنهم أصحاب البدع إذا اتُّبِعوا عليها.

الثالث: أنهم محدِثو السنن الجائرة إذا عمل بها من بعدهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ روى قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ نَبِيٍ أُرْسِلَ نُوحٌ»[٣٠٤] قال قتادة: وبعث من الجزيرة.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن هذا مبلغ عمره كله. قال قتادة: لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة.

فإن قيل فلم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً فعنه جوابان:

أحدهما: أن المقصود به تكثير العدد فكان ذكر الألف أفخم في اللفظ وأكثر في العدد.

الثاني: ما روي أنه أعطي من العمر ألف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة راجع في استكمال الألف فذكر الله ذلك تنبيهاً على أن النقيصة كانت من جهته، فهذا قول.

والقول الثاني: أنه بعث لأربعين سنة[٣٠٥] من عمره ولبث في قومه ألف سنة

---

(٣٠٣) لاحظ أن المؤلف أورد هنا ثلاثة أوجه بينما نص أولاً على وجهين.

(٣٠٤) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر كما في الدر (٤٧٩/٣) ويشهد له ما في البخاري (٢٦٤/٦، ٢٦٥) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه «اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض......» الحديث.

(٣٠٥) ما عليه مذاهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة من أن عمر الإنسان مقدر في الأزل قبل خلق الخلق قال تعالى: وإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً فكان مبلغ عمره ألف سنة وخمسين سنة، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد ذلك سبعين سنة فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار.

والقول الرابع: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ولبث في قومه داعياً ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة وخمسين سنة، قاله عون بن أبي شداد.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الطوفان المطر، قاله ابن عباس وابن جبير وقتادة والسدي.

الثاني: أن الطوفان الغرق، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الموت[٣٠٦]، روته عائشة عن النبي ﷺ ومنه قول الشاعر[٣٠٧]:

أفناهم طوفان موت جارفٍ

وقيل إن الطوفان كلُّ عامّ من الأذى. وحكى إسماعيل بن عبدالله أن الطوفان كان في نيسان.[٣٠٨]

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ

---

(٣٠٦) ورجح هذا القول ابن كثير (٣/٤٠٧).

(٣٠٧) رواه الطبري (١٣/٥١) وفي سنده المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف وفي سنده أيضاً الحجاج بن أرطأة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس وأورده الحافظ ابن كثير (٣/٤٠٧) من رواية ابن مردويه بنحوه وقال: حديث غريب.

(٣٠٨) الطبري (٢٠/١٣٦) مجاز القرآن (١٨٤) فتح القدير (٤/١٩٦).

يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعذب من يشاء بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم من يشاء بالإعراض عنها.

الثاني: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة.

الثالث: يعذب من يشاء بسوء الخلق، ويرحم من يشاء بحسن الخلق.

الرابع: يعذب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بحبهم له.

الخامس: يعذب من يشاء بمتابعة البدعة، ويرحم من يشاء بملازمة السنة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ قال ابن إسحاق: آمن لوط بإبراهيم وكان ابن أخيه وآمنت به سارة وكانت بنت عمه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني مهاجر عن الظالمين.

وفيما هاجر إليه قولان:

أحدهما: أنه هاجر إلى حرّان، قاله كعب الأحبار.

الثاني: أنه هاجر من كوثي وهو من سواد الكوفة إلى أرض الشام، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: الذكر الحسن، قاله ابن عباس.

الثاني: رضا أهل الأديان، قاله قتادة.

الثالث: النية الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة، قاله الحسن.

الرابع: لسان صدق، قاله عكرمة.

الخامس: ما أوتي في الدنيا من الأجر، رواه ابن برزة.

السادس: الولد الصالح، حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي حتى أن أكثر الأنبياء من ولده.

ويحتمل سابعاً: أنه بقاء الصلاة عند قبره[٣٠٩] وليس ذلك لغيره من الأنبياء.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ أي تنكحون الرجال.

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(٣٠٩) ولم يثبت أن نبي الله إبراهيم دفن عند الكعبة أو عند المقام كما يوهم صنيع المؤلف ولا تنس أن الشريعة الإسلامية نهت عن الصلاة في القبور أو إليها كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

أحدها: أنه قطع الطريق على المسافر، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم بإتيان الفاحشة من الرجال قطعوا الناس عن الأسفار حذراً من فعلهم الخبيث، حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، قال وهب: استغنوْا عن النساء بالرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي في مجلسكم المنكر فيه أربعة أوجه:

أحدها: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم، قالته عائشة رضي الله عنها.

الثاني: أنهم كانوايخذفون(٣١٠) من يمر بهم ويسخرون منه روته أم هانىء عن النبي ﷺ.

الثالث: أنهم كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم، رواه منصور عن مجاهد.

الرابع: هو الصفير ولعب الحمام والجلاهق(٣١١) والسحاق وحل أزرار القيان في المجلس، رواه الحاكم عن مجاهد.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ

(٣١٠) رواه أحمد (٦/٣٤١) والطبري (٢٠/١٤٥) والحاكم (٢/٤٠٩) وصححه والترمذي (٢/١٥٠) وحسنه وابن أبي الدنيا في الصمت ٣٧٧ وزاد السيوطي في الدر (٦/٤٦٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والشاشي في مسنده والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وابن عساكر.

(٣١١) وهي البندق التي يرمى بها.

﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني آلهة من الأصنام والأوثان عبدوها.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا﴾ يعني أنهم عبدوا ما لا يغني عنهم شيئاً كبيت العنكبوت الذي لا يدفع شيئاً وهو من أبلغ الأمثال فيهم.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ لأنه يستر الإبصار ولا يدفع الأيدي، وقد حكي عن يزيد بن ميسرة أن العنكبوت شيطان مسخها(٣١٢) الله.

(٣١٢) رواه بعضهم مرفوعاً ولم يصح وهو أشبه بالإسرائيليات وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة . .

وقال عطاء: نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود، ومرة على النبي ﷺ(٣١٣). وجمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٤ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني القرآن وهذا خطاب للنبي ﷺ أن يتلو ما أنزل منه على أمته.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عمر.

الثاني: أنه الصلاة المفروضة. قاله ابن عباس.

الثالث: أن الصلاة هنا هي الدعاء ومعناه قم بالدعاء إلى أمر الله، قاله ابن بحر.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء الزنى والمنكر الشرك، قاله ابن عباس.

ثم فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها، قاله الكلبي وابن زيد وحماد بن أبي سليمان.

الثاني: تنهى عن الفحشاء والمنكر قبلها وبعدها روى طاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ(٣١٤): «**مَن لَّمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنكرِ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا بُعْداً**».

---

(٣١٣) وفي ثبوت حديث نسج العنكبوت على الغار نظر بين العلماء.

(٣١٤) لم يصح هذا الحديث مرفوعاً فقد رواه الطبراني في الكبير (١١٠٢٥) والشهاب القضاعي في مسنده (رقم ٥٠٩) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٣/٤١٥) وسنده ضعيف ففيه ليث بن أبي سليم قال الحافظ في التقريب: صدوق اختلط أخيراً ولم يميز حديثه فترك وبه أعلّه الهيثمي في المجمع (١/١٣٤) وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/١٤٣) إسناده لين.

الثالث: إن ما تدعوهم إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله ابن زيد.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، قاله ابن عباس.

الثاني: ولذكر الله أفضل من كل شيء، قاله سلمان.

الثالث: ولذكر الله في الصلاة التي أنت فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، قاله عبدالله بن عون.

الرابع: ولذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة، قاله أبو مالك.

الخامس: ولذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم.

السادس: أكبر من قيامكم بطاعته.

السابع: أكبر من أن يبقي على صاحبه عقاب الفحشاء والمنكر.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

ورواه ابن جرير (٢٠/٩٢) موقوفاً على ابن عباس وفي سنده مجهول ورجح الألباني وقفه.

ورواه أحمد في الزهد ١٥٩ موقوفاً على ابن مسعود وصحح سنده العراقي (١/١٤٣) وروي مرسلاً عن الحسن.

رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية واسناده إلى الحسن، وورد من قول الحسن نفسه رواه ابن جرير (٢٠/٩٢) وأحمد في الزهد (٢٦٤) وصحح سنده الألباني وقد ضعف المرفوع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقال الذهبي في الميزان(٣/٢٩١) نقلاً عن ابن الجنيد عن الحديث كذب وزور، راجع السلسلة الضعيفة رقم ٢ فقد أبطل الشيخ الألباني الحديث من الناحية الإسنادية والمتنية ويرد الحديث ما أثبته عن النبي ﷺ من أنه قيل له إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول أو سيمنعه ما يقول رواه (٢/٤٣٠) (١/٣٤٦) والطحاوي في مشكل الآثار وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/١٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٨) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح ويكفي أن الآية تقول ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾.

أحدها: أن ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قول لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: الكف عنهم عند بذل الجزية منهم وقتالهم إن أبوا، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم إن قالوا شراً فقولوا لهم خيراً، رواه ابن أبي نجيح [٣١٥].

ويحتمل تأويلاً رابعاً: وهو أن يحتج لشريعة الإسلام ولا يذم ما تقدمها من الشرائع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل الحرب، قاله مجاهد.

الثاني: من منع الجزية منهم، رواه خصيف[٣١٦].

الثالث: ظلموا بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم، قاله ابن زيد.

الرابع: ظلموا في جدالهم فأغلظوا لهم، قاله ابن عيسى.

واختلف في نسخ ذلك على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة[٣١٧]؛ قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة[٣١٨].

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية، فروى سلمة [٣١٩] عن أبي هريرة[٣٢٠] قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لَا تُصَدِّقُواْ أَهْلَ الكِتابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ إلى قوله ﴿مُسْلِمُونَ﴾» أي مخلصون وفيه قولان:

أحدهما: أنه يقوله لأهل الكتاب، قاله مجاهد.

الثاني: يقوله لمن آمن، قاله السدي.

---

(٣١٥) رواه عن مجاهد كما في الطبري (١/٢١).

(٣١٦) رواه عن مجاهد كما في الطبري (١/٢١).

(٣١٧) نسخها قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق. . .﴾ الآية. وقد ضعف القول بالنسخ العلامة ابن جرير (٣/٢١).

(٣١٨) يعني محكمة وهو قول ابن زيد كما في الطبري (٢/٢١).

(٣١٩) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب أبي سلمة عن أبي هريرة.

(٣٢٠) رواه البخاري (٣٣٣/١٣) وابن جرير (٣/٢١) وزاد في الدر (٤٦٩/٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن﴾ قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة ولا تخطه أي تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه إنه من وحي الله سبحانه إليك وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: أنه كان أهل الكتاب يجدونه في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته، وهو معنى قول مجاهد.

﴿إِذاً لَّٱرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم مشركو قريش، قاله مجاهد.

الثاني: مشركو العرب أن يقولوا لو كان يقرأ قد تعلمه من غيره، قاله قتادة.

الثالث: أنهم المكذبون من اليهود، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه النبي ﷺ في كونه أمياً لا يكتب ولا يقرأ ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من أهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة، قاله الضحاك.

الثاني: أنه القرآن ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون به، قاله الحسن.

قال الحسن: أعطيت هذه الأمة الحفظ وكان من قبلها لا يقرأُون كتابهم إلا نظراً فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيين.

وقال كعب في صفة هذه الأمة: إنهم حلماء علماء كأنهم في الفقه أنبياء.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: المشركون.

وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنهم كانواْ يسألونه آيات يقترحونها عليه كما كان يفعله مشركو قريش أن يجعل الصفا ذهباً وأن يجري بمكة نهراً.

الثاني: أنهم سألوه مثل آيات الأنبياء قبله كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى.

﴿قُلْ إِنَّما الآيَاتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أن الله هو الذي يعطي ما يشاء من الآيات لمن يشاء من الأنبياء بحسب ما يرى من المصلحة ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بنوع منها.

﴿وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أن النبي ﷺ مندوب للإنذار والبيان لا لما يقترح عليه من الآيات وإنما يلزم أن يأتي بما يشهد بصدقه من المعجزات وقد فعل الله ذلك فأجابهم به فقال:

﴿أَوَلَـمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن يتلى عليهم وفيه وجهان:

أحدهما: أولـم يكفـهـم من الآيات التي سألوها أنا أنزلنا عليك الكتاب آية لك ودليلاً على صدقك لما فيه من الإعجاز في نظمه وصدق خبره وصحة وعده؟

الثاني: أنه محمول على ما رواه عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة (٣٢١) قال: أتي

(٣٢١) رواه ابن جرير (٢١/٧) وزاد في الدر (٤٧١/٦) نسبته لأبي داود في مراسيله وابن المنذر وابن أبي حاتم.
قلت: وقد وصلـه الإسماعيلي في معجمه وابن مردويه من طريق يحيى بن هبيرة عن أبي هريرة بنحوه راجع الدر (٤٧١/٦).

النبي ﷺ بكتاب في كتف فقال: كفى بقوم حمقاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني استنقاذهم من الضلال، وبالذكرى إرشادهم إلى الحق.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يريدون الإيمان ولا يقصدون العناد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ يعني شهيداً بالصدق والإبلاغ، وعليكم بالتكذيب والعناد.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لأنهم قد أقرواْ بعلمه فلزمهم أن يقرواْ بشهادته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَاطِلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بإبليس، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: بعبادة الأوثان والأصنام، قاله ابن شجرة.

﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتبه.

الثاني: بما أشركوه معه من الآلهة وأضافوه إليه من الأولاد والأنداد.

﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خسروا أنفسهم بإهلاكها، قاله علي بن عيسى.

الثاني: خسروا في الآخرة نعيم الجنة بعذاب النار، قاله يحيى بن سلام.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن استعجالهم له شدة عنادهم لنبيه.

الثاني: أنه استهزاؤهم بقولهم: ﴿إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله ابن جبير.

الثاني: أجل الحياة إلى حين الموت وأجل الموت إلى حين البعث إليه بين أجلين من الله، قاله قتادة.

الثالث: أنه النفخة الأولى، قاله يحيى بن سلام.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني الذي استعجلوه.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون بنزوله بهم.

روى نعيم بن عبدالله عن أبي هريرة قال (٣٢٢): قال رسول الله ﷺ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ قَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَمَا تَصِلُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(٣٢٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٨/١٣) ومسلم (رقم ١٥٧) من حديث أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فيه خمس تأويلات:

أحدها: أي جانبوا أهل المعاصي بالخروج من أرضهم، قاله ابن جبير وعطاء[٣٢٣].

الثاني: اطلبوا أولياء الله إذا ظهروا بالخروج إليهم، قاله أبو العالية.

الثالث: جاهدوا أعداء الله بالقتال لهم، قاله مجاهد.

الرابع: إن رحمتي واسعة لكم، قاله مطرف بن عبدالله.

الخامس: إن رزقي واسع لكم، وهو مروي عن مطرف أيضاً.

﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فارهبون، قاله بلال بن سعد.

الثاني: فاعبدون بالهجرة إلى المدينة، قاله السدي.

الثالث: فاعبدون بألا تطيعوا أحداً في معصيتي، قاله علي بن عيسى.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: يعني أن كل حي ميت.

الثاني: أنها تجد كربه وشدته، وفي إعلامهم بذلك وإن كانوا يعلمونه وجهان:

أحدهما: إرهاباً بالموت ليقلعوا عن المعاصي.

الثاني: ليعلمهم أن أنبياء الله وإن اختصوا بكرامته وتفردوا برسالته فحلول الموت بهم كحلوله بغيرهم حتى لا يضلوا بموت من مات[٣٢٤] منهم، وروى جعفر

---

(٣٢٣) رجح هذا القول ابن جرير (٢١/١٠) لدلالة سياق الآية عليه.

(٣٢٤) هذا الحديث له روايات كثيرة.

فرواية عليّ هذه رواها الطبراني كما في المجمع (٩/٣٥) وقال الهيثمي عنه: عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث قلت: ولم ينفرد به بل تابعه علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد به رواه ابن أبي حاتم في التفسير ونقله بسنده الحافظ في الإصابة (٢/٣١٣) وله متابع ثان وهو محمد بن جعفر ابن محمد رواه الحافظ في الإصابة بسنده مطولاً (٢/٣١٤) ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم قال الحافظ في الإصابة (٢/٣١٥) ذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس كنت حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديث قال الذهبي أنه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود أورد عليهما السلام أ هـ.

وورد الحديث من حديث جابر رواه البيهقي في الدلائل وفيه محمد بن جعفر المتقدم وله طريق ثالث من حديث ابن عمر أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة وسنده فيه مقال وشيخه (أي شيخ

الصادق عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال لما توّفي رسول الله ﷺ جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوتِ﴾ ، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت؛ فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرِمَ الثواب.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ يريد البعث في القيامة بعد الموت في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿... لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ بالثاء من الثواء وهو طول المقام وقرأ الباقون بالباء ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ معناه لنسكننهم أعالي البيوت. وإنما خصهم بالغرف لأمرين:

أحدهما: أن الغرف لا تستقر إلا فوق البيوت فصار فيها جمع بين أمرين.

الثاني: لأنها أنزه من البيوت لإشرافها وألذ سكنى منها لرياحها وجفافها.

وقد روى أبو مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال(٣٢٥): «**إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِن بَاطِنِها، وبَاطِنُها مِن ظَاهِرِهَا، أَعدَّهَا اللَّهُ لِمَن أَطْعَمَ الطَّعامَ وَأَطَابَ الكَلَامَ وَتَابعَ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَقَامَ بالليلِ وَ النَّاسُ نِيامٌ**».

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

سيف) لا يعرف كذا أفاده الحافظ. وله طريق خامس به حديث أنس رواه ابن أبي الدنيا وفي سنده عباد ابن عبد الصمد وضعفه البخاري والعقيلي ورواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به عباد عن أنس. ونقله الحافظ في الإصابة (٢/٣١٧) وللحديث طرق أخر عن علي رواه ابن عبدالبر في التمهيد وفي سنده عبدالله بن محرز وهو متروك قال ابن المبارك فيه بعرة أحب إليّ منه وقد حكم على حديث علي بالوضع الحافظ ابن دحية وورد تصحيح أبي بكر بن العربي له.

ورواه مرسلاً الشافعي كما في بدائع السنن (٢/٣٩٧) من حديث علي بن الحسين.

(٣٢٥) رواه أحمد (٥/١٤٣) وابن حبان (٦٤١) موارد والبيهقي في الشعب كما في المشكاة (١/٣٨٨) والطبراني في الكبير كما في المجمع (٢/٢٥٤) وقال الهيثمي رجاله ثقات. وحسن إسناد الطبراني أيضاً الإمام محمد بن عبد الواحد كما نقله ابن القيم في حادي الأرواح ص ١١٦.

وللحديث شاهد من حديث علي بن أبي طالب رواه الترمذي (٢٢٥٧) وأحمد (١/١٥٦) وابن أبي شيبة كما في الدر (٦/٧٠٥).

وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه قلت: وقال الحافظ في التقريب: ضعيف.

راجع حادي الأرواح ص ١١٥، ١١٦.

أحدها: معناه تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئاً، قاله مجاهد.

الثاني: تأكل لوقتها ولا تدخر لغدها، قاله الحسن.

الثالث: يأتيها من غير طلب.

الرابع: أنه النبي ﷺ يأكل ولا يدخر، حكاه النقاش.

قال ابن عباس: الدواب هو كل ما دب من الحيوان. وكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يسوي بين الحريص المتوكل في رزقه وبين الراغب القانع وبين الجلود والعاجز حتى لا يغتر الجلْد أنه رزق بجلده ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية لما أُذن لرسول الله ﷺ في الهجرة وأمر المسلمين بها خافوا الضيعة والجوع فقال قوم نهاجر إلى بلد ليس فيها معاش فنزلت هذه الآية فهاجروا.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ قال الضحاك: الحياة الدائمة وقال أبو عبيدة: الحيوان والحياة واحد.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَآمِناً﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: هي مكة وهم قريش أمنهم الله بها.

﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فأذكرهم الله بهذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة.

﴿أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أفبالشرك، قاله قتادة.

الثاني: بإبليس، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بعافية الله، قاله ابن عباس.

الثاني: بعطاء الله وإحسانه، قاله ابن شجرة.

الثالث: ما جاء به النبي ﷺ من الهدى، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: بإطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، حكاه النقاش. وهذا تعجب وإنكار خرج مخرج الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ بأن جعل لله شريكاً أو ولداً.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بالتوحيد، قاله السدي.

الثاني: بالقرآن، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: بمحمد ﷺ، قاله ابن شجرة.

﴿مَثْوًى. . .﴾ أي مستقراً.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قاتلوا المشركين طائعين لنا.

الثاني: جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا.

الثالث: اجتهدوا في العمل بالطاعة والكف عن المعصية رغبة في ثوابنا وحذراً من عقابنا.

الرابع: جاهدوا أنفسهم في التوبة من ذنوبهم.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني الطريق إلى الجنة، قاله السدي.

الثاني: نوفقهم لدين الحق، حكاه النقاش.

الثالث: معناه الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا يعلمون، قاله عباس أبو أحمد.

الرابع: معناه لنخلصنّ نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم، قاله يوسف بن أسباط.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي في العون لهم. الله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. روى ابن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان.

قال ابن شهاب: فغلبت فارس الروم فسر بذلك المشركون وقالوا للمسلمين إنكم تزعمون أنكم ستغلبوننا لأنكم أهل كتاب، وقد غلبت فارس الروم والروم أهل كتاب.

وقيل: إنه كان آخر فتوح كسرى أبرويز فتح فيه القسطنطينية حتى بنى فيها بيت النار فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فساءه فأنزل الله هاتين الآيتين فلما قال:
﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ سر بذلك المسلمون وبادر أبو

بكر رضي الله عنه إلى مشركي قريش فأخبرهم بما أنزل عليهم وأن الروم ستغلب الفرس. قال قتادة: فاقتمر أبو بكر والمشركون على ذلك، وذلك قبل تحريم القمار، مدة اختلف الناس فيها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: مدة ثلاث سنين تظهر الروم فيها على فارس، قاله السدي.

الثاني: خمس سنين، قاله قتادة.

الثالث: سبع سنين، قاله الفراء.

وكان الذي تولى ذلك من المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، واختلف في الذي تولاه من المشركين مع أبي بكر على قولين:

أحدهما: أنه أبو سفيان بن حرب، قاله السدي.

الثاني: أنه أُبي بن خلف، قاله قتادة. وحكى النقاش أن أبا بكر لما أراد الهجرة مع النبي ﷺ عَلِق به أبي بن خلف وقال: اعطني كفيلاً بالخطر إن غلبت فكفله ابنه عبد الرحمن.

واختلف في قدر العوض المبذول على قولين:

أحدهما: أربع قلائص، قاله عامر.

الثاني: خمس قلائص، قاله قتادة.

فلما علم رسول الله ﷺ أن أبا بكر قدر لهم هذه المدة أنكرها وقال «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**» قال: ثقة بالله وبرسوله، قال: «**فَكَم البِضْعُ**» قال: ما بلغ بين الثلاث[٣٢٦] والعشر فقال له النبي ﷺ: «**زِدْهُم فِي الخَطَرِ وَزِدْ فِي الأَجَلِ**» فزادهم قلوصين وازداد منهم في الأجل سنتين فصارت القلائص ستاً على القول الأول وسبعاً على الثاني وصار الأجل خمساً على القول الأول، وسبعاً على الثاني، وتسعاً على الثالث.

واختلف في الاستزادة والزيادة على قولين:

أحدهما: أنها كانت بعد انقضاء الأجل الأول قبل ظهور الغلبة، قاله عامر.

---

(٣٢٦) رواه الطبري (٢١/ ١٩) ويغني عن هذا المرسل:
ما رواه الترمذي (٣١٩٤) وصححه وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع [illegible] رقم ٣٨٨٧ من حديث نيار بن مكرم الأسلمي مرفوعاً «البضع: ما بين الثلاث إلى التسع» ورد في فتح القدير (٤/ ١٦) نسبة الحديث للدارقطني في الأفراد وأبي نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب.

الثاني: أنها كانت قبل انقضاء الأجل الأول، قاله ابن شهاب. فأظفر الله الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لخبره في التقدير ولرسوله ﷺ في التنزيل.

واختلف في السنة التي غلبت فيها الروم أهل فارس على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها عام بدر ظهر الروم على فارس فيه وظهر المسلمون على قريش فيه، قاله أبو سعيد، قال: فكان في يوم بدر.

الثاني: أن ظهور فارس على الروم كان قبل الهجرة بسنتين، وظهور المسلمين على قريش كان في عام بدر بعد الهجرة بسنتين، ولعله قول عكرمة.

الثالث: عام الحديبية ظهرت الروم على فارس وكان ظهور المسلمين على المشركين في الفتح بعد مدة الحديبية، قاله عبيدالله بن عبدالله.

فأما قوله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى ٱلأَرْضِ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: في أدنى أرض فارس؛ حكاه النقاش.

الثاني: في أدنى أرض الروم، وهو قول الجمهور وفي أدنى أرض الروم أربعة أقاويل:

أحدها: أطراف الشام، قاله ابن عباس.

الثاني: الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد.

الثالث: الأردن وفلسطين، قاله السدي.

الرابع: أذرعات الشام وكانت بها الواقعة، قاله يحيى بن سلام.

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿غَلَبَتِ﴾ بالفتح أي ظهرت فقيل له علام غلبت؟ فقال: في أدنى ريف الشام.

قوله تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وهو ما بين الثلاث إلى العشر وهذا نص[٣٢٧] عن الرسول ﷺ. وقال بعض أهل اللغة هو ما بين العقدين من الواحد إلى العشرة فيكون من الثاني إلى التاسع.

وأما النيف ففيه قولان:

أحدهما: ما بين الواحد والتسعة، قاله ابن زيد.

الثاني: ما بين الواحد والثلاثة، وهو قول الجمهور.

(٣٢٧) انظر التعليق السابق.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت.

الثاني: من قبل غلبة دولة فارس على الروم ومن بعد غلبة دولة الروم على فارس:

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الخبر الذي ورد على رسول الله ﷺ يوم الحديبية بهلاك كسرى ففرح ومن معه فكان هذا يوم فرحهم بنصر الله لضعف الفرس وقوة العرب.

الثاني: يعني به نصر الروم على فارس.

وفي فرحهم بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: تصديق خبر الله وخبر رسول الله ﷺ.

الثاني: لأنهم أهل كتاب مثلهم.

الثالث: لأنه مقدمة لنصرهم على المشركين.

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني من أوليائه لأن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه فأما غلبة أعدائه لأوليائه فليس بنصر وإنما هو ابتلاء.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في نقمته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأهل طاعته.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعلمون أمر معايشهم متى يزرعون(٣٢٨) ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف يبنون، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة. وقال الضحاك: هو بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها فهذا ظاهر الحياة الدنيا.

---

(٣٢٨) وهذا الصنف من الناس يقول رسول الله ﷺ فيه «إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار ما لم يأمر الدنيا جاهل يأمر الآخرة.

رواه ابن حبان (١٩٥٧) موارد والبيهقي (١٠/١٩٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج ابن حبان والشيخ الألباني في السلسلة برقم ٣٢١.

وقال الأخير: «ولبعض المسلمين نصيب كبير من هذا الوصف الذين يقضون نهارهم في التجول في الأسواق والصياح فيها ويضيعون عليهم الفرائض والصلوات» **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾**

الثاني: يعلمون ما ألقته الشياطين لهم من أمور الدنيا عند استراقهم السمع من سماء الدنيا، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أن ظاهر الحياة الدنيا العمل لها، وباطنها عمل الآخرة.

﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عما أعده الله في الآخرة من ثواب عن طاعته وعقاب على معصيته.

الثاني: عما أمرهم الله به من طاعة وألزمهم إياه.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: بالعدل.

الثاني: بالحكمة.

الثالث: إلا ما استحق عليهم الطاعة والشكر.

والرابع: قاله الفراء، معناه إلا للحق يعني الثواب والعقاب.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قيام الساعة، قاله ابن عباس.

الثاني: وهو محتمل أنه أجل كل مخلوق على ما قدر له.

فدل ذلك على أمرين:

أحدهما: دل به على الفناء وعلى أن لكل مخلوق أجلاً.

الثاني: نبه على ثواب المحسن وعقاب المسيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ قال ابن عباس: كفروا[٣٢٩].

﴿السُّوأَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جهنم، قاله السدي.

الثاني: العذاب في الدنيا والآخرة، قاله الحسن.

وفي الفرق بين الإساءة والسوء وجهان:

أحدهما: أن الإساءة إنفاق العمر في الباطل، والسوء إنفاق رزقه في المعاصي.

الثاني: أن الإساءة فعل المسيء والسوء الفعل مما يسوء.

﴿أَن كَذَّبُوا﴾ لأن كذبوا.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بمحمد ﷺ والقرآن، قاله الكلبي.

الثاني: بالعذاب أن ينزل بهم، قاله مقاتل.

الثالث: بمعجزات الرسل، قاله الضحاك.

﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي بالآيات.

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أنه الفضيحة، قاله مجاهد.

الثاني: الاكتئاب، قاله ابن أبي نجيح[٣٣٠].

الثالث: الإياس، قاله ابن عباس.

---

(٣٢٩) وتتمة القول في الطبري (٢١/٢٥) «وجزاؤهم العذاب».

(٣٣٠) رواه عن مجاهد كما في الطبري (٢١/٢٦).

الرابع: الهلاك، قاله السدي.

الخامس: الندامة، قاله ابن قتيبة.

السادس: الحيرة، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسْماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا[٣٣١]

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الجزاء بالثواب والعقاب.

الثاني: في المكان بالجنة والنار.

قوله تعالى: ﴿. . . فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يكرمون، قاله ابن عباس.

الثاني: ينعمون، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: يتلذذون بالسماع والغناء، قاله يحيى بن أبي كثير.

الرابع: يفرحون، قاله السدي. والحبرة عند العرب السرور والفرح قال العجاج[٣٣٢]:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالي الحي إن المولى يَسَر

فامأ الروضة فهي البستان المتناهي منظراً وطيباً ولم يكن عند العرب أحسن منظراً ولا أطيب منها ريحاً قال الأعشى[٣٣٣]:

ما روضة من رياض الحزن معشبةٌ خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضحك الشمس منها كوكب شَرِقٌ مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصُل

قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: مدخلون، قاله يحيى بن سلام.

---

(٣٣١) تقدم تخريج هذا البيت في سورة البقرة.

(٣٣٢) ديوانه: ١٥، اللسان حبر والبيت في اللسان شطره الثاني: موالي الحي إن المولى شكر.

(٣٣٣) ديوانه: ٥٧ والطبري (٢١/٢٧).

تنبيه: قوله ما روضة من رياض الحزن كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب رياض الحسن والتصويب من المصادر السابقة.

الثاني: نازلون ومنه قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] و[المائدة: ١٠٦] أي نزل به.

الثالث: مقيمون، قاله ابن شجرة

الرابع: معذبون.

الخامس: مجموعون، ومعاني هذه التأويلات متقاربة.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان:

أحدهما: لما تضمنتها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود.

الثاني: مأخوذ من السبحة، والسبحة الصلاة، ومنه قول النبي ﷺ «تَكُونُ لَكُم سَبْحَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أي[٣٣٤] صلاة.

وقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي صلاة المغرب والعشاء، قاله ابن عباس وابن جبير والضحاك. ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح في قولهم أيضاً.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الحمد لله على نعمه وآلائه.

الثاني: الصلاة لاختصاصها بقراءة الحمد في الفاتحة.

﴿وَعَشِيّاً﴾ يعني صلاة العصر.

﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يعني صلاة الظهر وإنما خص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في أحوال توجب حمد الله عليها، وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار أخص فسميت به صلاة النهار، والتسبيح بالليل أخص فسميت به صلاة الليل.

---

(٣٣٤) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

والفرق بين المساء والعشي أن المساء بدو الظلام بعد المغيب، والعشي آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو مأخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس، فجاءت هذه الآية جامعة لأوقات الصلوات الخمس، وقد روى سفيان عن عاصم(٣٣٥) أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد في كتاب الله الصلوات الخمس؟ فقرأ هذه الآية.

قال يحيى بن سلام: كل صلاة ذكرت في كتاب الله قبل الليلة التي أسري فيها برسول الله ﷺ فليست من الصلوات الخمس لأنها فرضت في الليلة التي أسري به فيها وذلك قبل الهجرة بسنة، قال: وهذه الآية نزلت بعد ليلة الإسراء وقبل الهجرة.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي، قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وابن جبير.

الثاني: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والزهري، ورواه الأسود بن عبد يغوث عن النبي ﷺ(٣٣٦).

---

(٣٣٥) وقع في هذا السند سقط والصواب:
عاصم عن أبي رزين عن نافع والتصويب من الطبري (٢١/ ٢٩).

(٣٣٦) كذا هنا وهو خطأ وكذا في المطبوعة والصواب أم خالد بنت الأسود بن عبد يغوث.
والحديث روي مرسلاً وموصولاً.
فرواه مرسلاً من حديث عبيدالله بن عبد الله أخرجه المستقفري في الإصابة (٧/٥٩٧).
ومن مرسل الزهري أخرجه ابن جرير (٦/٣٠٨) وابن سعد (٨/١٨١).
وروي موصولاً من طريق جبارة بن المغلس عن ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها.
رواه ابن نجيب في جزئه ونقله الحافظ في الإصابة وقال جبارة ضعيف وتابعه معاوية بن جعفر عن ابن المبارك لكن قال: قال عن عبيد الله عن أم خالد بنت الأسود أخرجه ابن أبي عاصم فإن كان محفوظاً فلعلها كانت كنيتها وخالدة اسمها قلت: ورواه الطبراني كما في المجمع (٥/٢٦٤) وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين إسناد الثاني حسن ولفظه عن أم خالد بنت الأسود بن عبد يغوث أنها دخلت على النبي ﷺ فقال: «من هذه» فقالوا: بنت الأسود بن عبد يغوث فقال: «الحمد لله الذي يخرج الحي من الميت ويخرج المؤمن من الكافر».
وللحديث طريق أخرى موصولة عن عائشة أشار إليها الحافظ في الإصابة (٧/٥٩٨) وفي سندها الواقدي وهو متروك كما هو معلوم.

الثالث: يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة من الدجاجة، قاله عكرمة.

الرابع: يخرج النخلة من النواة ويخرج النواة من النخلة؛ والسنبلة من الحبة والحبة من السنبلة، قاله ابن مالك والسدي.

ويحتمل خامساً: يخرج الفطن اللبيب من العاجز البليد ويخرج العاجز البليد من الفطن اللبيب.

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني بالنبات لأنه حياة أهلها فصار حياة لها.

ويحتمل ثانياً: أنه كثرة أهلها لأنهم يحيون مواتها ويعمرون خرابها.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات وأحيا الموتى كذلك يحييكم بالبعث. وفي هذا دليل على صحة القياس[٣٣٧].

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: حواء خلقها من ضلع آدم، قاله قتادة.

الثاني: أن خلق سائر الأزواج من أمثالهم من الرجال والنساء، قاله علي بن عيسى.

﴿لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا﴾ لتأنسوا إليها لأنه جعل بين الزوجين [من] الأنسية ما لم يجعله بين غيرهما.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فيه أربعة:

أحدها: أن المودة المحبة والرحمة والشفقة، قاله السدي.

الثاني: أن المودة الجماع والرحمة الولد، قاله الحسن.

الثالث: أن المودة حب الكبير والرحمة الحنو على الصغير، قاله الكلبي.

الرابع: أنهما التراحم بين الزوجين، قاله مقاتل.

---

(٣٣٧) وعلى هذا ففي الآية رد على نفاة القياس كالظاهرية وهذا القياس يسمى قياس شبه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: يتفكرون في أن لهم خالقاً معبوداً.
الثاني: يتفكرون في البعث بعد الموت.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: لما فيهما من الآيات والعبر.
الثاني: لإعجاز الخلق عن إحداث مثلهما.
﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: اختلاف ألسنتكم بالكلام، فللعرب كلام وللفرس كلام وللروم كلام. وألوانكم أبيض وأسود وأحمر، قاله السدي، وحكى وهب بن منبه في المبتدإ أن جميع الألسنة اثنان وسبعون لساناً منها في ولد سام بن نوح تسعة عشر لساناً، وفي ولد حام سبعة عشر لساناً، وفي ولد يافث ستة وثلاثون لساناً.
والوجه الثاني: اختلاف ألسنتكم: النغمة والصوت حتى لا يشتبه صوتان من أخوين لأم وأب، وألوانكم: الصور حتى لا يشتبه الناس في المعارف والمناكح والحقوق.
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ قال ابن عيسى: الجن والإنس. وروى حفص عن عاصم ﴿للعالمين﴾ بكسر[٣٣٨] اللام يعني جميع العلماء.
قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُم بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن الليل والنهار معاً وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل، لأن من الناس من يتصرف في كسبه ليلاً وينام نهاراً.
الثاني: أن الليل وقت النوم والنهار وقت لابتغاء الفضل، ويكون تقدير الكلام:

(٣٣٨) المبسوط في القراءات ص ٣٤٩.

ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار.

وفي ابتغاء الفضل وجهان:

أحدهما: التجارة، قاله مجاهد.

الثاني: التصرف والعمل. فجعل النوم في الليل دليلاً على الموت، والتصرف في النهار دليلاً على البعث.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يسمعون الحق فيتبعونه.

الثاني: يسمعون الوعظ فيخافونه.

الثالث: يسمعون القرآن فيصدقونه.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم، قاله قتادة.

الثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، قاله الضحاك.

الثالث: خوفاً من البرد أن يهلك الزرع وطمعاً في المطر أن يحيي الزرع، حكاه يحيى بن سلام.

الرابع: خوفاً أن يكون البرق برقاً خُلّباً لا يمطر وطمعاً أن يكون ممطراً، ذكره ابن بحر، وأنشد قول الشاعر:

لا يكن برقك برقاً خُلّباً إن خير البرق ما الغيث معه

والعرب يقولون: إذا توالت أربعون برقة مطرت وقد أشار المتنبي (٣٣٩) إلى ذلك بقوله:

(٣٣٩) ديوان المتنبي (١٤٣/٤) بشرح العكبري ومعنى البيت: يقول لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني =

فقد أرد المياه بغير زادٍ　　سوى عَدّي لها بَرْق الغمام

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون.

الثاني: أن تثبت.

﴿بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بتدبيره وحكمته.

الثاني: بإذنه لها أن تقوم بغير عمد.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي وأنتم موتى في قبوركم.

﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي من قبوركم مبعوثين إلى القيامة. قال قتادة: دعاهم من السماء فخرجوا من الأرض.

ثم فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أخرجهم بما هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة قوله كن فيكون، قاله ابن عيسى.

الثاني: أنهم أخرجهم بدعاء دعاهم به، قاله قتادة.

الثالث: أنه أخرجهم بالنفخة الثانية وجعلها دعاء لهم. ويشبه أن يكون قول يحيى بن سلام.

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله: ﴿.. كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: مطيعون، قاله مجاهد. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة(٣٤٠).

= سوى أن أعدّ برق الغمام فأتبعه كعادة العرب في عدّها بروق الغمام.

(٣٤٠) رواه أحمد (٣/٧٥) وابن حبان (١/٢٦٤) وابن جرير (٣/٢٦٥، ٢٦٦) وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٥) وزاد السيوطي في الدر (١/٢٦٩) نسبته لأبي يعلى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي

الثاني: مصلون، قاله ابن عباس.

الثالث: مقرون بالعبودية، قاله عكرمة وأبو مالك والسدي.

الرابع: كل له قائم يوم القيامة، قاله الربيع بن أنس.

الخامس: كل له قائم بالشهادة أنه عبد له، قاله الحسن.

السادس: أنه المخلص، قاله ابن جبير.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أما بدء خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته، وأما إعادته فإحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن إعادة الخلق أهرن من ابتداء إنشائهم لأنهم ينقلون في الابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم يعود رضيعاً ثم فطيماً، وهو في الإعادة يصاح به فيقوم سوياً وهذا مروي عن ابن عباس.

الثالث: معناه وهو هين عليه فجعل ﴿أَهْوَنُ﴾ مكان ﴿هَيِّنٌ﴾ كقول الفرزدق[٣٤١]:

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي دعائمه عزيزة طويلة:

وفي تأويل ﴿أَهْوَنُ﴾ وجهان:

أحدهما: أيسر، قاله ابن عباس.

الثاني: أسهل، وأنشد ابن شجرة قول الشاعر:

حاتم والنحاس في ناسخه والطبراني في الأوسط وأبي نصر السجزي في الإبانة والضياء في المختارة.

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ٤٢٣٠ والضعيفة برقم ٤١٠٥.

قلت: لأنه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ودراج ضعيف ذو مناكير وضعف الحديث الحافظ ابن كثير (٤٣١/٣) وقال: هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث منكر وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فإن السند ضعيف أ هـ.

والحديث ضعفه الأرناؤوط في تخريج ابن حبان رقم ٣٠٩.

(٣٤١) ديوانه ٧١٤.

وهـان على أسمـاءَ أن شـطت النـوى يـحـن إلـيـهـا والـهُ ويـتـوق

أي هي أسهل عليه، وقال الربيع بن هيثم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: ما شيء على الله بعزيز.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الصفة العليا. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ليس كمثله شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: هو شهادة أن لا إله إلا الله، قاله قتادة.

الثالث: أنه يحيي ويميت، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: ـ هو أعلم ـ أنه جميع ما يختص به من الصفات التي لا يشاركه المخلوق فيها.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي لا إله فيها غيره.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنيع في قدرته.

الثاني: في انتقامه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في تدبيره لأمره وهو معنى قول أبي العالية.

الثاني: في إعذاره وحجته إلى عباده، قاله جعفر بن الزبير.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ اختلف في سبب ضرب الله لهم المثل على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأن المشركين أشركوا به في العبادة غيره، قاله قتادة.

الثاني: لأنه كانت تلبية قريش في الجاهلية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك

لك، إلا شريكاً وهو لك، تملكه وما ملك، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن جبير.

الثالث: لأنهم كانوا لا يورثون مواليـهم فضرب الله هذا المثل، قاله السدي.

وتأويله: أنه لم يشارككم عبيدكم في أموالكم لأنكم مالكون لهم، فالله أوْلى ألا يشاركه أحد من خلقه في العبادة لأنه مالكهم وخالقهم.

﴿تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تخافون أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون ذلك من شركائكم، قاله أبو مجلز.

الثاني: تخافون أن يرثوكم كما تخافون ورثتكم، قاله السدي.

الثالث: تخافون لائمتهم كما تخافون بعضكم بعضاً، قاله يحيى بن سلام.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قصدك.

الثاني: دينك، قاله الضحاك.

الثالث: عملك، قاله الكلبي.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: مسلماً، وهذا قول الضحاك.

والثاني: مخلصاً، وهذا قول خصيف.

الثالث: متبعاً، قاله مجاهد.

الرابع: مستقيماً، قاله محمد بن كعب.

الخامس: حاجًا، قاله ابن عباس.

السادس: مؤمناً بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: صنعة الله التي خلق الناس عليها، قاله الطبري[٣٤٢].

الثاني: دين الله الذي فطر خلقه عليه، قاله ابن عباس والضحاك والكلبي يريد به الإسلام وقد روى عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: «مِن فِطْرةِ إبْرَاهِيمَ السُّوَاكُ»[٣٤٣] ومن قول كعب بن مالك[٣٤٤]:

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تبديل لدين الله، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: لا تغييرلخلق الله من البهائم أن يخصي فحولها[٣٤٥]، قاله عمر بن الخطاب وابن عباس وعكرمة.

الثالث: لا تبديل خالق غير الله فيخلق كخلق الله، لأنه خالق يخلق، وغيره مخلوق لا يخلق، وهو معنى قول ابن بحر.

ويحتمل رابعاً: لا يشقى من خلقه سعيداً ولا يسعد من خلقه شقيًّا[٣٤٦].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ذلك الحساب البين، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يتفكرون فيعلمون أن لهم خالقاً معبوداً وإلَهاً قديماً:

---

(٣٤٢) جامع البيان (٢١/٤٠).

(٣٤٣) رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء وهو مرسل كما ترى، راجع الدر (١/٢٧٤).

(٣٤٤) بيت من قصيدة طويلة يمدح فيها كعب رسول الله وآل بيته وفي ثبوت هذه القصيدة نظر وخلاف بين العلماء.

(٣٤٥) إعلم رحمك الله تعالى إن الله سبحانه وتعالى قد قدر الأشياء في الأزل فلا راد لمشيئة ولا معقب لحكمه فالشقي هو الشقي في الأزل وكذا السعيد. فكل شيء بقضاء الله وقدره قال تعالى: ﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾. وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾. ففي هذه الآيات والدلائل براهين ساطعة لأهل السنة والجماعة وهي تفضح مزاعم المعتزلة الذين يدعون أن العبد يخلق أفعال نفسه فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(٣٤٦) نقول هنا «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مقبلين إليه، قاله يحيى بن سلام والفراء.

الثاني: داعين إليه، قاله عبيد بن يعلى.

الثالث: مطيعين له، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

الرابع: تائبين إليه من الذنوب، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد أنابوا

وفي أصل الإنابة قولان:

أحدهما: أن أصله القطع ومنه أخذ اسم الناب لأنه قاطع فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله عز وجل بالطاعة.

الثاني: أن أصله الرجوع مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة ومنه النوبة لأنها الرجوع إلى عادة.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أي أوقعوا فيه الاختلاف حتى صاروا فرقاً وقرىء(٣٤٧) ﴿فَارَقُواْ دِينَهُم﴾ أي تركوه وقد قرأبذلك علي رضي الله عنه وهي قراءة حمزة والكسائي وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة(٣٤٨).

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله معمر.

الثالث: أنهم الخوارج من هذه الأمة، وهذا قول أبي هريرة ورواه أبو أمامة مرفوعاً(٣٤٩).

الرابع: أنهم أصحاب الأهواء والبدع، روته عائشة مرفوعاً(٣٥٠).

---

(٣٤٧) راجع الحجة في القراءات ص ٢٧٨ والسبعة في القراءات.

(٣٤٨) والذي في الطبري (٢١/٤٣) أن قول قتادة في الذين فارقوا دينهم هم اليهود والنصارى.

(٣٤٩) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٣/٤٠٢).

(٣٥٠) رواه الطبراني في الصغير ص ١١٦ وابن أبي عاصم في السنة (١/٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٣٨) والحكيم الترمذي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه وأبو نصر السجزي في الإبانة والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً إنهم أصحاب البدع والأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب الأهواء والبدع فليس لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني برآء» وهذا لفظ ابن أبي عاصم والحديث ضعيف السند ففيه مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي وبقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن.

﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فرقاً، قاله الكلبي.

الثاني: أدياناً، قاله مقاتل.

ويحتمل ثالثاً: أنهم أنصار الأنبياء وأتباعهم.

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ أي فرقة.

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فرِحُونَ﴾ أي بما عندهم من الضلالة.

﴿فَرِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مسرورون، قاله الجمهور.

الثاني: معجبون، قاله ابن زيد.

الثالث: متمسكون، قاله مجاهد.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً﴾ فيه أربعة تأويلات:

وقد تفرد عن شعبة كما قال أبو نعيم: ولفظه غريب من حديث شعبة تفرد به بقية أهـ. وقال ابن عدي في الكامل: ولبقية عن شعبة كتاب وفيه غرائب وتلك الغرائب يتفرد بها بقية عنه وهي محتملة قال الهيثمي في المجمع (١/١٨٨): رواه الطبراني في الصغير وفيه بقية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف وقال في موضع آخر (٧/٢٢): رواه الطبراني في الصغير وإسناده جيد.

قلت. ولا ريب أن قوله الأول هو الصحيح كما لا يخفى والحديث ضعفه الحافظ ابن كثير (٢/١٩٦) بقوله «حديث غريب ولا يصح رفعه» وضعفه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم».

وقد روي الحديث من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه رواه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٧/٢٣) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة.

أحدها: يعني كتاباً، قاله الضحاك.

الثاني: عذراً، قاله قتادة.

الثالث: برهاناً، وهو معنى قول السدي وعطاء.

الرابع: رسولاً، حكاه ابن عيسى محتملاً.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: معناه يخبر به.

الثاني: يحتج له.

قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها العافية والسعة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: النعمة والمطر، حكاه النقاش.

ويحتمل أنها الأمن والدعة.

﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ أي بالرحمة.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: بلاء وعقوبة، قاله مجاهد.

الثاني: قحط المطر، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنها الخوف والحذر.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بذنوبهم.

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القنوط اليأس من الرحمة والفرج، قاله الجمهور.

الثاني: أن القنوط ترك فرائض الله في اليسر، قاله الحسن.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾

قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم قرابة الرجل، أن يصل رحمهم بماله ونفسه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنهم ذوو قرابة رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقهم من الغنيمة والفيء، قاله السدي.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ هو الذي لا يجد كفايته.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: المسافر، قاله مجاهد فإن كان محتاجاً فحقه في الزكاة وإن كان غير محتاج فبرًّا وصلة.

الثاني: أنه الضيف الذي ينزل بك، قاله ابن عباس وابن جبير وقتادة، فإن أطعمه كان برًّا وصلة ولم يجز أن يكون من الزكاة محتاجاً كان أو غير محتاج. وإن دفعت إليه مالاً جاز إذا كان فقيراً أن يكون من الزكاة، ولم يجز إن كان غنيًّا.

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الرجل يهدي هدية ليكافأ عليها أفضل منها، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنه في رجل صحبه في الطريق رجل فخدمه فجعل له المخدوم بعض الربح من ماله جزاء لخدمته لا لوجه الله، قاله الشعبي.

الثالث: أنه في رجل يهب لذي قرابة له مالاً ليصير به غنيًّا ذا مال ولا يفعله طلباً لثواب الله، قاله إبراهيم.

ومعنى قوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي فلا يكون له ثواب عند الله.

قال ابن عباس: هما رِبَوان أحدهما حلال والآخر حرام، فما تعاطيتم بينكم حلال ولا يصل إلى الله.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي ثواب الله، وفيها قولان:
أحدهما: أنها الزكاة المفروضة وهو الظاهر.
الثاني: أنها الصدقة، قاله ابن عباس والسدي.
﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: تضاعف لهم الحسنات لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، قاله السدي.
الثاني: تضاعف أموالهم في الدنيا بالزيادة فيها. وقال الكلبي: لم يقل مال رجل من زكاة.

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ﴾ في ﴿الفَسَادِ﴾ أربعة أقاويل:
أحدها: الشرك، قاله السدي.
الثاني: ارتكاب المعاصي، قاله أبو العالية.
الثالث: قحط المطر، قاله يحيى بن سلام.
الرابع: فساد البر[٣٥١]: قتل ابن آدم أخاه، وفساد البحر: أخذ السفينة غصباً.
ويحتمل خامساً: أن ظهور الفساد ولاة السوء.
﴿فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ﴾ هنا أربعة أقاويل:
أحدها: أن البر الفيافي والبحر القرى، قاله عكرمة، وقال: إن العرب تسمي الأمصار البحار.

---

(٣٥١) وهو قول مجاهد وابن نجيح وعكرمة وقد عقب الشوكاني على قول مجاهد وعكرمة في فتح القدير (٢٢٨/٤) يقول «وليت شعري أي دليل دلهما على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب فإن الآية نزلت في محمد ﷺ والتعريف في الفساد يدل على الجنس فيعم كل فساد واقع في حيزي البّر والبحر. . . . إلى أن قال: والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم ومن معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الذرائع ونقصان الثمار.

الثاني: البر أهل العمود والبحر أهل القرى والريف، قاله قتادة.

الثالث: أن البر بادية الأعراب، قاله الضحاك والبحر الجزائر؛ قاله عطاء.

الرابع: أن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان على شط نهر، قاله ابن عباس.

وللمتعمقين في غوامض المعاني وجهان:

أحدهما: أن البر النفس والبحر القلب.

الثاني: أن البر اللسان والبحر القلب. لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب. وهو بعيد.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ قال السدي: بما عملواْ من المعاصي واكتسبوا من الخطايا.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾ من المعاصي لأن للمعاصي جزاءً معجلاً في الدنيا وجزاءً مؤجلاً في الآخرة فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية.

الثاني: يرجعون إلى حق، قاله إبراهيم.

الثالث: يرجع من بعدهم، قاله الحسن.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقم وجهك للتوحيد، قاله السدي.

الثاني: استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة، قاله ابن عيسى.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه يتفرقون قال الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل له يتصدعا

أي لن يتفرقا.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أنه ما يصدعهم يوم القيامة من أهوال.

وفيه قولان:

أحدهما: يتفرقون في عرصة القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير، قاله قتادة.

الثاني: يتفرق المشركون وآلهتهم في النار، قاله الكلبي.

قوله: ﴿... فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يسوون المضاجع في القبور، قاله مجاهد.

الثاني: يوطئون في الدنيا بالقرآن وفي الآخرة بالعمل الصالح، قاله يحيى بن سلام.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ قال الضحاك: بالغيث.

ويحتمل وجهاً ثانياً: بخصب الزمان وصحة الأبدان.

وقال أُبي بن كعب: كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب.

وقال عبدالله بن عمر: الرياح ثمانية، أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات، وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر، والعاصف والقاصف وهما في البحر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: بردها وطيبها، قاله الضحاك.

الثاني: المطر، قاله مجاهد وقتادة.

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ يعني السفن.

﴿بِأَمْرِهِ. . .﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بقدرته في تسييرها.

الثاني: برحمته لمن فيها.

﴿. . .وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يعني ما عدّده من نعمه فتطيعوه لأن طاعة العبد لربه في شكره لنعمته إذ ليس مع المعصية شكر ولا مع كفر النعمة طاعة.

قوله: ﴿. . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نصر الأنبياء بإجابة دعائهم على المكذبين لهم من قومهم، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: نصر المؤمنين بإيجاب الذبّ عن أعراضهم. روت أم الدرداء قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول(٣٥٢) «مَا مِن آمْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ» ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٣٥٣)

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

(٣٥٢) وقد ورد الحديث من حديث ام الدرداء عن ابي الدرداء.

رواه أحمد (٦/ ٤٥٠) وحسّن الهيثمي اسناد أحمد في المجمع (٨/ ٩٥) والترمذي (١٩٩٦) بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه يوم القيامة «وحسنه الترمذي والألباني في غاية المرام ص ٢٤٦ وقد ورد الحديث بلفظ آخر من حديث أسماء بنت يزيد في سنده علتان واختلاف في إسناده وضعف شهر بن حوشب وقد رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ١٧٦) وأحمد (١/ ٤٦١) وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ٣٤٨) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٨٧) وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٣٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٧) وابن المبارك في الزهد (٦٨٧).

(٣٥٣) زاد المسير (٦/ ٣٠٩).

قوله: ﴿. . . وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: قطعاً، قاله قتادة.

الثاني: متراكماً بعضه على بعض، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: في سماء دون سماء، قاله الضحاك.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي من خلال السحاب. وقرأ الضحاك[٣٩] بن مزاحم: من خلله، وفي ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه البرق، حكاه أبو نخيلة الحماني عن أبيه.

الثاني: أنه المطر، قاله مجاهد والضحاك ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودْقُها ولا أرض أبقل إبقالها

قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ ءَاثَارِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني المطر.

﴿كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يعني بالماء حتى أنبتت شجراً ومرعى بعد أن كانت بالجدب مواتاً. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لأن القادر على إحياء الأرض الموات قادر على إحياء الأموات استدلالاً بالشاهد على الغائب.

وتأول من تعمّق في غوامض المعاني آثار رحمة الله أنه مواعظ القرآن وحججه تحيي القلوب الغافلة.

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: فرأوا السحاب مصفراً، لأن السحاب إذا كان كذلك لم يمطر، حكاه علي بن عيسى وقيل إنها الريح الدبور لأنها لا تلقح.

الثاني: فرأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره، قاله ابن عباس وأبو عبيدة.

﴿لَظَلُّواْ مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ومعنى ظل هو أنه أوقع الفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل، لأنه وقت مختص بأهم الأمور لتقديمه عن نيّة من الليل. وكذلك قولهم أضحى يفعل، لكن قد يعبر بقولهم ظل يفعل عن فعل أول النهار وآخره اتساعاً لكثرة استعماله، وقلّما يستعمل أضحى يفعل إلا في صدر النهار دون آخره.

ويحتمل ﴿يَكْفُرُونَ﴾ هنا وجهين:

أحدهما: يشكون.

الثاني: يذمّون.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الموتى الكفار الذين يموتون على الكفر وهم الصم الذين تولوا عن الهدى فلم يسمعوه، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن هذا مثل ضربه الله للكافرين كما أن الميت إذا خوطب لم يسمع والأصم إذا دعي لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع الوعظ لأن الكفر قد أماته والضلال قد أصمه.

قوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فالأصم لا يسمع الدعاء مقبلاً ولا مدبراً ولكن إذا دعي مقبلاً فقد يفهم الإشارة وإن لم يسمع الصوت، فإذا دعي مدبراً فهو لا يفهم الإشارة ولا يسمع الصوت فلذلك صارت حاله مدبراً أسوأ، فذكره باسوإ أحواله. وقيل أنها نزلت في بني عبد الدار.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ قال قتادة: من نطفة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ قاله مجاهد: شباباً.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ يعني هرماً وشيبة، قال قتادة: لأن بياض الشعر نذير بالفناء، قال الشاعر:

أُريت الشيب من نذر المنايا ... لصاحبه وحسبك من نذير

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من قوة وضعف.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبيره ﴿الْقَدِيرُ﴾ على إرادته.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال ابن عباس: الكفار.

﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في الدنيا استقلالاً لأجل الدنيا لما عاينوا من الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: في قبورهم ما بين موتهم ونشورهم، قاله يحيى بن سلام.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي هكذا، قاله ابن جبير.

﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يكذبون في الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: يصدون في الدنيا عن الإيمان بالبعث. قاله يحيى بن سلام.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الكلبي.

الثاني: أهل الكتاب.

﴿وَٱلْإِيمَانَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الإيمان بالكتاب المتقدم من غير تحريف له ولا تبديل فيه.

الثاني: الإيمان بمحمد ﷺ.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لقد لبثتم في علم الله، قاله الفراء.

الثاني: لقد لبثتم بما بيانه في كتاب الله، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ في كتاب الله والإيمان ﴿لَقَدْ لَبِثْتُم إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ قاله قتادة.

وفي ﴿لَبِثْتُمْ﴾ قولان:

أحدهما: لبثوا في قبورهم.

الثاني: في الدنيا أحياء وفي قبورهم أموات.

﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ يعني الذي كذبتم به في الدنيا.

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تعلمون في الدنيا أن البعث حق وقد علمتم الآن أنه حق.

قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي عذرهم الذي اعتذروا به في تكذيبهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يعاتبون على سيئاتهم، قاله النقاش:

الثاني: لا يستتابون، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: لا يطلب منهم العتبى وهو أن يُردُّوا إلى الدنيا لِيُعْتَبُوا أي ليؤمنوا، قاله يحيى بن سلام.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن وعد الله في نصرك وتأييدك حق.

الثاني: أن وعده في انتقامه من أعدائك حق.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يَسْتَعْجِلَنَّكَ، قاله ابن شجرة.

الثاني: لا يَسْتَفِزَّنَّكَ، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: لا يستنزلنك، قاله النقاش.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يؤمنون.

الثاني: لا يصدقون بالبعث والجزاء. روى سعيد عن قتادة أن رجلاً[٣٥٤] من الخوارج قال لعلي كرم الله وجهه وهو خلفه في صلاة الصبح ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآيـة. فقال لـه عليّ وهو في الصـلاة ﴿فَاصْبِـرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ والله أعلم.

(٣٥٤) رواه ابن جرير (٢/٥٩) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٠٢) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن ابي حاتم.



مكية كلها في قول الجميع إلا رواية عطاء أن آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ والتي بعدها. وقال الحسن إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ لأن الصلاة والزكاة مدنيتان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله: ﴿الٓمٓ. تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: المحكم أُحكمت آياته بالحلال والحرام والأحكام. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: المتقن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو قريب من المعنى الأول، قاله ابن شجرة.

الثالث: البين أنه من عند الله، قاله الضحاك.

الرابع: أنه يظهر من الحكمة بنفسه كما يظهره الحكيم بقوله، قاله ابن عيسى.

قوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هدى من الضلالة، قاله الشعبي.

الثاني: هدى إلى الجنة، قاله يحيى بن آدم.

﴿وَرَحْمَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القرآن رحمة من العذاب لما فيه من الزجر عن استحقاقه وهو مأثور.

الثاني: أنه نعمة بالثواب لما فيه من البعث على الإستجابة، قاله قتادة ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه خرج مخرج النعت بأنه هدى ورحمة.

الثاني: أنه خرج مخرج المدح بأن فيه هدى ورحمة.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الإحسان ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الإيمان الذي يحسن به إلى نفسه، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه الصلة والصلاة، قاله الحسن.

الثالث: ما روى عمر بن الخطاب[٣٥٥] قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «أَن تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وَ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحبَ لِنَفْسِكَ» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: «نعم» قال الرجل: صدقت. ثم انطلق الرجل فقال النبي ﷺ: «عَلَيَّ بِالرَّجُلِ» فطلبناه فلم نقدر عليه فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلاَمُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَكُم أُمُورَ دِينِكُم».

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِن رَّبِّهِم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على نور من ربهم، قاله ابن عباس.

الثاني: على بينة، قاله ابن جبير.

الثالث: على بيان، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٣٥٥) حديث سؤالات جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والاحسان رواه البخاري (١/٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨) وغيرها ومسلم (١٩٠٧) والترمذي (١٦٩٨) وابو داود (٢١٨٦) وأحمد (١/٢٧) والنسائي (١/٥٨ ـ ٦٠) وابن ماجة (٤٢٢٧). وأما السياق الذي أورده المؤلف فلم أعثر عليه وأغلب الظن أنه روى الحديث بمعناه، واقتصر على المراد منه وهو تعريف الإحسان وبيان فضله.

أحدها: بمعنى السعداء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: المنجحون، قاله ابن شجرة.

الثالث: الناجحون، قاله النقاش.

الرابع: أنهم الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربواْ، قاله ابن عباس.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: شراء المغنيات لرواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة[٣٥٦] عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ بَيْعُ ٱلْمُغنيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا التِّجَارَةُ فِيهِنَّ وَلَا أَثْمَانُهُنَّ وَفِيهِنَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾**».

الثاني: الغناء، قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وابن جبير وقتادة.

الثالث: أنه الطبل، قاله عبد الكريم، والمزمار، قاله ابن زخر.

الرابع: أنه الباطل، قاله عطاء.

الخامس: أنه الشرك بالله، قاله الضحاك وابن زيد.

السادس: ما ألهى عن الله سبحانه،[٣٥٧] قاله الحسن.

السابع: أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل، قاله سهل بن عبدالله.

---

(٣٥٦) رواه أحمد(٥/٢٦٤) والترمذي(٣١٩٥، ١٢٨٢) وابن ماجة(٢١٦٨) وابن جرير (٢١/٦٠) والبيهقي (٦/١٤). وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٠٤) نسبته للطبراني وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقد ضعف الحديث الترمذي وابن كثير (٣/٤٥١) والألباني في ضعيف الجامع الصغير.

(٣٥٧) ولعل قول الحسن أرجح لأنه يعم ولهذا قال العلامة ابن جرير (٢١/٦٣) والصواب من القول في ذلك أن يقال هي كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله لأن الله تعالى عم بقوله ﴿لهو الحديث﴾ ولم يخصص بعضاً دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه والغناء والشرك من ذلك ا هـ.

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص تأويلاً ثامناً: أنه السحر والقمار والكهانة.

وفيمن نزلت قولان:

أحدهما: أنها نزلت في النضر بن الحارث كان يجلس بمكة فإذا قالت قريش إن محمداً قال كذا وكذا ضحك منه وحدثهم بحديث رستم واسفنديار ويقول لهم إن حديثي أحسن من قرآن محمد، حكاه الفراء والكلبي.

الثاني: أنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية فشغل بها الناس عن اتباع النبي ﷺ، حكاه ابن عيسى.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليصد عن دين الله، قاله الطبري[٣٥٨].

الثاني: ليمنع من قراءة القرآن، قاله ابن عباس.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بغير حجة.

الثاني: بغير رواية.

﴿وَيَتَّخِذُهَا هُزُواً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتخذ سبيل الله هزواً يكذب بها، قاله قتادة. وسبيل الله دينه.

الثاني: يستهزىء بها، قاله الكلبي.

﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي مذل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن

(٣٥٨) جامع البيان (٢١/٦٣).

اقول وقد ابتلي كثيرمن أهل زماننا والعياذ بالله بسماع الغناء الباطل واعرضوا عن سماع آيات الرحمن فأورث السماع الشيطاني لهم الصدود وعدم الانتفاع بآيات الله تعالى وصدق الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

فاللهم اهد قومنا إلى الحق.

﴿كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بعمد لا ترونها. قاله عكرمة ومجاهد.(٣٥٩).

الثاني: أنها خلقت بغير عمد، قاله الحسن وقتادة(٣٦٠).

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لئلا تميد بكم وفيه وجهان:

أحدهما: معناه أن لا تزول بكم، قاله النقاش.

الثاني: أن لا تتحرك بكم، قاله يحيى بن سلام. وقيل: إن الأرض كانت تتكفأ مثل السفينة فأرساها الله بالجبال وأنها تسعة عشر جبلاً تتشعب في الأرض حتى صارت لها أوتاداً فتثبتت وروى أبو الأشهب عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فلما رأت الملائكة ما تفعل الأرض قالوا: ربنا هذه لا يقر لك على ظهرها خلق، فأصبح قد ربطها بالجبال فلما رأت الملائكة الذي أرسيت به الأرض عجبوا فقالوا: ياربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الجبال؟ قال: نَعَم الرِّيحُ قالوا: هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: «نَعَمْ ابنُ آدَمَ».

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وخلق فيها، قاله السدي.

الثاني: وبسط، قاله الكلبي.

الثالث: فرق فيها من كل دابة وهو الحيوان سُمِّيَ بذلك لدبيبه والدبيب الحركة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم الناس هم نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم، قاله الشعبي.

الثاني: أن نبات الأرض أشجارها وزرعها، والزوج هو النوع.

وفي الكريم ثلاثة أوجه:

(٣٥٩) وكذلك هو قول ابن عباس رضي الله عنه كما رواه الطبري (٢١/ ٦٥).

(٣٦٠) ورجحه الحافظ ابن كثير (٢/ ٥١٧) عند تفسير سورة الرعد وقال وهو اللائق بالسياق.

أحدها: أنه الحسن، قاله قتادة.

الثاني: أنه الطيب الثمر، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه اليانع، قاله ابن كامل.

ويحتمل رابعاً: أن الكريم ما كثر ثمنه لنفاسة القدر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ اختلف في نبوته على قولين:

أحدهما: أنه نبي، قاله عكرمة والشعبي.

الثاني: أنه حكيم وليس بنبي، قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه، قال إسماعيل: كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. وقال قتادة: خير الله لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها، فقيل له: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: انه لو أرسل إليّ بالنبوة عزمة لرجوت فيه العون منه ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إليّ.

واختلف في جنسه على قولين:(٣٦١)

أحدهما: أنه كان من النوبة قصيراً أفطس، قاله جابر بن عبدالله.

الثاني: كان عبداً حبشياً، قاله ابن عباس.

واختلف في صنعته على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان خياطاً بمصر، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنه كان راعياً(٣٦٢) فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعىٰ بالأمس؟ قال بلىٰ، قال: فما بلغ بك ما أرىٰ؟ قال: قَدَرُ الله

(٣٦١) وقول قتادة رواه الطبري (٢١/٦٦).

(٣٦٢) وهذا القول بهذا السياق والتمام رواه الطبري (٢١/٦٨) عن عمر وبن قيس.

وأدائي الأمانة، وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني، قاله عبد الرحمن بن زيد بن جابر.

الثالث: أنه كان نجاراً فقال له سيده: اذبح لي شاة وأتني بأطيبها مضغتين فأتاه باللسان والقلب فقال له: ما كان فيها شيء أطيب من هذين فسكت، ثم أمره فذبح له شاة ثم قال: ألقِ أخبثها مضغتين فألقى اللسان والقلب فقال له: أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت باللسان والقلب فقال إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا، قاله خالد الربعي.

واختلف في زمانه على قولين:

أحدهما: أنه كان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

الثاني: أنه من ولد كوش بن سام بن نوح، ولد لعشر سنين من ملك داود عليه السلام وبقي إلى زمن يونس عليه السلام.

وفي ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ التي أوتيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الفهم والعقل، قاله السدي.

الثاني: الفقه والعقل والإصابة في القول(٣٦٣)، قاله مجاهد.

الثالث: الأمانة(٣٦٤).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ يعني نعم اللَّه، فيه وجهان:

أحدهما: معنى الكلام: ولقد آتيناه الحكمة وآتيناه الشكر لله، قاله المفضل.

الثاني: آتيناه الحكمة لأن يشكر لله، قاله الزجاج.

وفي شكره أربعة أوجه:

أحدها: هو حمده على نعمه.

الثاني: هو ألا يعصيه على نعمه.

الثالث: هو ألا يرى معه شريكاً في نعمه عليه.

الرابع: هو طاعته فيما أمره.

---

(٣٦٣) وتمام العبارة في الطبري (٢١/٦٧) [من غير نبوَّة].

(٣٦٤) وهو قول مجاهد كما رواه الطبري (٢١/٦٨).

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي يعود شكره إلى نفسه لأنه على النعمة إذا زاد من الشكر.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني كفر بالله واليوم الآخر، قاله مجاهد.

الثاني: كُفْرُ النعمة، قاله يحيى بن سلام.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غني عن خلقه حميد في فعله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: غني عن شكره مستحمد إلى خلقه، قاله ابن عيسى[٣٦٥].

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ أي واذكر يا محمد مقالة لقمان لابنه، وفي اسم ابنه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مشكم، قاله الكلبي.

الثاني: أنعم، حكاه النقاش.

الثالث: بابان.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ أي يُذكِرُهُ ويؤدبه.

﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يعني عند اللَّه، وسماه ظلماً لأنه قد ظلم به نفسه، وقيل إنه قال ذلك لابنه وكان مشركاً. وقوله ﴿يَا بُنَيَّ﴾ ليس هو حقيقة

(٣٦٥) قال ابو جعفر الطبري (٢١/٦٨) في قوله حميد «محمود على كل حال له الحمد على نعمه كفر العبد نعمته، أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول إلى فعيل».

التصغير وإن كان على لفظه وإنما هو على وجه الترقيق كما يقال للرجل يا أُخَيّ. وللصبي هو كُوَيِّس.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ يعني براً لهما وتحنناً عليهما. وفيهما قولان:

أحدهما: أنها عامة وإن جاءت بلفظ خاص والمراد به جميع الناس، قاله ابن كامل.

الثاني: خاص في سعد بن أبي وقاص وُصي بأبويه؛ واسم أبيه مالك واسم أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، حكاه النقاش.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه شدة على شدة[٣٦٦]، قاله ابن عباس.

الثاني: جهداً على جهد. قاله قتادة.

الثالث: ضعفاً على ضعف، قاله الحسن وعطاء[٣٦٧]. ومن قول قعنب ابن أم صاحب:

هل للعواذل من ناهٍ فيزجرها ... إن العواذل فيها الأيْنُ والوهن

يعني الضعف.

ثم فيه على هذا التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: ضعف الولد على ضعف الوالدة، قاله مجاهد.

الثاني: ضعف نطفة الأب على نطفة الأم، قاله ابن بحر.

الثالث: ضعف الولد حالاً بعد حال فضعفه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً سوياً ثم مولوداً ثم رضيعاً ثم فطيماً، قاله أبو كامل.

ويحتمل رابعاً: ضعف الجسم على ضعف العزم.

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ يعني بالفصال الفطام من رضاع اللبن.

واختلف في حكم الرضاع بعد الحولين هل يكون في التحريم كحكمه في الحولين على أربعة أقاويل:

---

(٣٦٦) وتمام العبارة في الطبري (٢١/ ٦٩) [وخلقاً بعد خلق].

(٣٦٧) وزاد الطبري (٢١/ ٦٩) نسبته للضحاك.

أحدها: أنه لا يحرم بعد الحولين ولو بطرفة عين لتقدير الله له بالحولين ولقول النبي ﷺ(٣٦٨) «لَا رِضَاعَةَ بَعْدَ الحَوْلَيْنِ» وهذا قول الشافعي.

الثاني: أنه يحرم بعد الحولين بأيام، وهذا قول مالك.

الثالث: يحرم بعد الحولين بستة أشهر استكمالاً لثلاثين شهراً لقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾ [الأحقاف: ١٥] قاله أبو حنيفة.

الرابع: أن تحريمه غير مقدر وأنه يحرم في الكبير كتحريمه في الصغير، وهذا قول بعض أهل المدينة.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أي اشكر لي النعمة ولوالديك التربية. وشكر الله بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة، قال قتادة: إن الله فرق بين حقه وحق الوالدين وقال اشكر لي ولوالديك.

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ يعني إلى الله المرجع فيجازي المحسن بالجنة والمسيء بالنار. وقد

---

(٣٦٨) ورد هذا الحديث وقد اختلف في رفعه ووقفه فرجح وقفه الامام ابن عدي كما نقله صاحب التعليق المغني عن تلخيص الحبير (١٧٤/٤) وكذا الامام البيهقي (٤٦٢/٧) وكذا صاحب التنقيح فرواه مرفوعاً. البيهقي (٤٦٢/٧) والدارقطني (١٧٤/٤) وابن عدي كما في الدر المنثور (٦٨٩/١) من حديث ابن عباس مرفوعاً ولفظه «لا رضاع إلا ما كان في الحولين».

ولم يرفع الحديث إلا الهيثم بن جميل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً واشار الدارقطني بعد روايته إلى توثيق الهيثم بن جميل كأنه يشير إلى قبول زيادته لكن زيادة الثقة مقبولة ما لم يخالف وهنا قد خالف الهيثم جماهير الرواة عن سفيان.

حيث رواه النحاس عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس موقوفاً من قوله.

فرواه سعيد بن منصور كما في البيهقي (٤٦٢/٧) ومعمر كما في مصنف عبد الرزاق (رقم ١٣٩٠١) ومن طريق أخرى رواه البيهقي (٤٦٢/٧) عن ابن عباس وقد صح اسناد الموقوف صاحب التعليق المغني على سنن الدارقطني (١٧٤/٤) ويغني عن هذا الموقوف حديث ام سلمة المرفوع ولفظه «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام».

رواه الترمذي (١١٥٢) في الرضاع باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين وصححه الترمذي والحاكم وأعله صاحب زاد المعاد بالانقطاع فلم يصب وقد تفرد به الترمذي عن بقية الكتب السنة كما قال أبو الأشبال أحمد شاكر وقد حسن الحديث الشيخ الأرناؤوط في شرح السنة للبغوي (٨٤/٩).

وقد وردت آثار صحيحة موقوفة في تحديد المدة.

منها عن ابن مسعود رواه الطبري (٣٦/٥) وسندة صحيح ومنها عن ابن المسيب وعمر كما في مصنف عبد الرزاق ٤٦٥/٧.

روى عطاء عن عبدالله بن عمر[٣٦٩] قال: قال رسول الله ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ مِن رِضَا الوَالِدِ وَسَخَط الرَّبِّ مِن سَخَط الوَالِدِ».

---

(٣٦٩) هذا الإسناد الذي ساق بعضه المؤلف وقع فيه تحريف من الناسخ فالحديث معروف عن عطاء عن عبدالله بن عمرو وليس عمر كما هنا والتصحيح من الترمذي وغيره.

والحديث أخرجه الترمذي (١٨٩٩) وابن حبان (٢٠٢٦) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١٢) وبحشل في تاريخ واسط ص (٥١) من طريق خالد بن الحارث حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد» وهذا سند ضعيف.

فإن فيه عطاء العامري والد يعلى فإنه مجهول، قال ابو الحسن القطان في التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٢٠) مجهول الحال ما روى عنه غير ابنه يعلى ا هـ.

وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٧٨) لا يعرف إلا بابنه ا هـ ولم يوثقه غير ابن حيان على عادته في توثيق المجاهيل وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٣) مقبول: يعني عند المتابعة وإلا فليِّن الحديث كما هو معروف من كلام الحافظ في مقدمة التقريب وقد روى لعطاء العامري البخاري في الأدب المفرد وابو داود والترمذي والنسائي ولم يرو له مسلم.

وقد روى الحديث الترمذي (١٨٩٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو موقوفاً ثم رجح الموقوف الترمذي وقال هذا أصح يعني من الموضوع السابق ثم قال ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث عن شعبة وخالد بن الحارث ثقة مأمون لكنه لم يتفرد برفعه كما يفهم من كلام الامام الترمذي رحمه الله بل تابعه على رفع الحديث عبد الرحمن بن مهدي عند الحاكم (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني في السلسلة رقم ٥١٦ وهو كما قال. وهذا وهم من الجميع عطاء على الطريق وقد عرفت حاله كما سبق.

وقد تابع خالد أيضاً ابو اسحاق الفزاري كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق.

وتابع خالد أحمد بن حنبل رحمه الله كما عند الحاكم (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢).

وقد روى الحديث ابو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٥) عن ابن عمرو ووقع في إسناده تحريف حيث قال الناسخ ابن عمر والصواب ابن عمرو.

وقد وقع السند أيضاً عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن عمرو، هكذا وقع في السفر فلا أدري الصواب في ذلك والله أعلم وفي هذا السند محمد بن صبيح بن السماك الواعظ قال ابن نمير فيه مرة صدوق وقال مرة أخرى ليس حديثه بشيء الميزان (٣/ ٥٨٤).

وفي سنده أيضاً أشعث بن سعد وقد جهدت في البحث عنه فلم أجد له ترجمة وأخشى أن يكون مُحَرَفاً من سعيد لسعد فإن كان أشعث بن سعيد فهو متروك تركه الدارقطني قال ابن معين ليس بشيء بل كذّبه هشيم، انظر الميزان (١/ ٢٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ يعني أراداك.

﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ معناه أنك لا تعلم أن لي شريكاً.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ يعني في الشرك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ أي احْتِسَاباً. قال قتادة: تعودهما إذا مرضا وتشيعهما إذا ماتا، وتواسيهما مما أعطاك الله تعالى.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قال يحيى بن سلام: من أقبل بقلبه مخلصاً وهو النبي ﷺ والمؤمنون. روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: حلفت أم سعد ألا تأكل ولا تشرب حتى يتحوّل سعد عن دينه(٣٧٠) فأبى عليهافلم تزل كذلك حتى غشي عليها(٣٧١) ثم دعت الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية:

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وهذا مثل مضروب لمثقال حبة من خردل. قال قتادة: من خير أو شر.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة قاله الرُبَيعُ بن أنس والسدي. قال عبدالله بن الحارث وهي صخرة على ظهر الحوت، قال الثوري: بلغنا(٣٧٢) أن خضرة السماء من تلك الصخرة، وقال ابن عباس هذه الصخرة ليست في

---

(٣٧٠) وفي الطبري (٢١/ ٧٠) [قال].

(٣٧١) وفي الطبري (٢١/ ٧٠) [قال فأتاها بنوها فسقوها قال فلما أفاقت دعت الله عليه].

(٣٧٢) وهذا البلاغ لا نعلم له دليلاً صحيحاً.

السماء ولا في الأرض. وقيل إن هذه الصخرة هي سجِّين التي يكتب فيها أعمال الكفار ولا ترفع إلى السماء.

الثاني: معنى قوله في صخرة أي في جبل، قاله قتادة.

﴿أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بجزاء ما وازنها من خير وشر.

الثاني: يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء، كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها. ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها، قاله الربيع بن أنس.

روى علي بن رباح اللخمي قال: لما وعظ لقمان ابنه بهذا أخذ حبة من خردلٍ فأتى بها البحر فألقاها في عرضه ثم مكث ما شاء ثم ذكرها وبسط يده فبعث الله ذبابة فاختطفتها وحملتها حتى وضعتها في يده.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على ما أصابك من الأذىٰ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: على ما أصابك من البلوىٰ في نفسك أو مالك.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أمر الله به من الأمور.

الثاني: من ضبط الأمور، قاله المفضل.

الثالث: من قطع الأمور.

وفي العزم والحزم وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما.

الثاني: معناهما مختلف وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أن الحزم الحذر والعزم القوة، ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم.

الثاني: أن الحزم التأهب للأمر والعزم النفاذ فيه، ومنه قولهم في بعض الأمثال: رَوِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي[٣٧٣] ونافع:

﴿تُصَاعِرِ﴾ بألف، وتصاعر تفاعل من الصعر وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الكبر، قاله ابن عباس.

الثاني: الميل، قاله المفضل.

الثالث: التشدق في الكلام، حكاه اليزيدي. وتُصَعِّرْ هو على معنى المبالغة.

وفي معنى الآية خمسة أوجه:

أحدها: أنه إعراض الوجه عن الناس تكبراً، قاله ابن جبير.

الثاني: هو التشدق[٣٧٤]، قاله إبراهيم النخعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث: أن يلوي شدقه عند ذكر الإنسان احتقاراً، قاله أبو الجوزاء قال عمرو بن كلثوم[٣٧٥]:

وكنا إذا الجبّارُ صعر خَدّه أقمنا له من صعره فتقوّما[٣٧٦]

الرابع: هو أن يعرض عمن بينه وبينه إحنة هجراً له فكأنه أمر بالصفح والعفو، قاله الربيع بن أنس.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالمعصية، قاله الضحاك[٣٧٧].

الثاني: بالخيلاء والعظمة، قاله ابن جبير.

الثالث: أن يكون بطراً أشراً، قاله ابن شجرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المنان، قاله أبو ذر.

---

(٣٧٣) وهي قراءة خلف أيضاً كما في المبسوط للأصبهاني ص ٣٥٢.

(٣٧٤) وفي الطبري (٢١/٧٥) [التشديق أو التشدق] والشك من الطبري.

(٣٧٥) وفي الطبري (٢١/٧٤) [عمرو بن حني التغلبي] وهو الشاعر الجاهلي.

(٣٧٦) انظر معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وقد نسب البيت في اللسان عند مادة (صعر) للملتمس جرير بن عبد المسيح.

(٣٧٧) وفي الطبري (٢١/٧٦) فسر الضحاك المرح «بالخيلاء».

الثاني : المتكبر، قاله مجاهد.

الثالث: البطر، قاله ابن جبير. وروى أبو ذر[٣٧٨] قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثَلاثَةٌ يَشْنَؤُهُم اللَّهُ : الفَقِيرُ المُخْتَالُ، والبَخِيلُ المَنَّانُ، والبَيِّعُ الحَلَّافُ**».

﴿**فَخُورٍ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المتطاول على الناس بنفسه، قاله ابن شجرة.

الثاني : أنه المفتخر عليهم بما يصفه من مناقبه، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله فيما أعطاه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿**وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه تواضع في نفسك، قاله مجاهد.

الثاني : انظر في مشيك موضع قدمك، قاله الضحاك.

الثالث: اسْرِع في مشيتك، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الرابع: لا تسرع في المشي، حكاه النقاش. وقد روىٰ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ[٣٧٩] : «**سُرْعَةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بَهَاءَ وَجْهِ المَرْءِ**».

الخامس: لا تختل في مشيتك، قاله ابن جبير.

---

(٣٧٨) جزء من حديث طويل عن أبي ذر مرفوعاً أوله «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله» رواه الترمذي (٢٥٧١) في صفة الجنة باب رقم ٢٥ والنسائي (٥/٨٤) في الزكاة باب ثواب من يعطي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر وقد صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٩/٥٦٤) وللحديث طريق أخرى عن أبي ذر نسبها السيوطي في الدر (٢/٥٣٦) لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣٧٩) ورد من حديث أنس وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وكلها طرق واهية، والحديث الذي أفتى به المؤلف هنا هو حديث أنس، رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الرواي (٢/١٥٢) وفيه «بماء الوجه». وفي سنده محمد بن يونس الكريمي وهو متهم بالوضع كما قال ابن عدي والدارقطني وقال ابن حبان لعله وضع أكثر من ألف حديث. وفي سنده أيضاً أبان بن أبي عياش الراوي عن أنس وهو متروك كما قال أحمد بن حنبل وقال فيه شعبة بن الحجاج لأن يزني الرجل خير له من أن يروي عن أبان، والحديث ذكره العلامة الألباني في الضعيفة وقال منكر جداً راجعها رقم [٥٥] حيث تعرض لطرقه كلها وكشف عوارها.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي اخفض من صوتك والصوت هو أرفع من كلام المخاطبة.

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ يعني شر الأصوات، قاله عكرمة(٣٨٠) وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أقبح الأصوات(٣٨١)، قاله ابن جبير.

الثاني: قد تقدم(٣٨٢).

الثالث: أشد، قاله الحسن(٣٨٣).

الرابع: أبعد، قاله المبرد.

﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها العطسة المرتفعة، قاله جعفر الصادق.

الثاني: أنه صوت الحمار.

وفي تخصيصه بالذكر من بين الحيوان وجهان:

أحدهما: لأنه أقبحها في النفس وأنكرها عند السمع وهو عند العرب مضروب به المثل، قال قتادة: لأن أوله زفير وآخره شهيق.

الثاني: لأن صياح كل شيء تسبيحه إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان، قاله سفيان الثوري، وقد حكي عن بشر بن الحارث أنه قال: نهيق الحمار دعاء على الظلمة.

والسبب في أن ضرب الله صوت الحمار مثلاً ما روىٰ سليمان(٣٨٤) بن أرقم عن الحسن أن المشركين كانوا في الجاهلية يتجاهرون ويتفاخرون برفع الأصوات فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز، ومن كان أخفض صوتاً كان أذل، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي لو أن شيئاً يُهَابُ لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل بمنزلته.

---

(٣٨٠) وفي الطبري (٧٧/٢١) هذا القول منسوب للحكم بن عتيبة أيضاً.

(٣٨١) هذا القول في الطبري منسوب للضحاك بالرواية عنه (٧٧/٢١).

(٣٨٢) يقصد المؤلف رحمه الله بالقول الثاني قول عكرمة.

(٣٨٣) وهو الحسن بن مسلم كما في الطبري (٧٧/٢١).

(٣٨٤) وسليمان بن أرقم متروك الحديث راجع التهذيب (١٤٨/٤) والميزان (١٩٦/٢) والمجروحين لابن حبان (٣٢٤/١).

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفي تسخيره ذلك وجهان:

أحدهما: تسهيله.

الثاني: الانتفاع به.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وحفص [٣٨٥] بغير تنوين [٣٨٦] على الجمع والباقون بالتنوين[٣٨٧] يعني نعمة واحدة. وفي هذه القراءة وجهان:

أحدهما: أنه عنى الإسلام فجعلها واحدة، قاله إبراهيم.

الثاني: أنه قصد التكثير بلفظ الواحد كقول العرب: كثر الدينار والدرهم، والأرض سيف وفرس، وهذا أبلغ في التكثير من لفظ الجمع، قاله ابن شجرة.

وفي قوله: ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: أن الظاهرة الإسلام، والباطنة ما ستره الله من المعاصي قاله مقاتل.

الثاني: أن الظاهرة على اللسان، والباطنة في القلب، قاله مجاهد ووكيع.

الثالث: أن الظاهرة ما أعطاهم من الزي والثياب، والباطنة متاع المنازل، حكاه النقاش.

الخامس: الظاهرة الولد، والباطنة الجماع.

ويحتمل سادساً: أن الظاهرة في نفسه، والباطنة في ذريته من بعده.

ويحتمل سابعاً: أن الظاهرة ما مضىٰ، والباطنة ما يأتي.

---

(٣٨٥) وكذا هي قراءة أبي جعفر كما في المبسوط في القراءات للأصبهاني ص ٣٥٢.

(٣٨٦) قال ابن جرير رحمه الله(٢١/٧٨) والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى.

(٣٨٧) يعني ساكنة العين مفتوحة التاء على واحدة، انظر المبسوط للاصبهاني ص ٣٥٣.

ويحتمل ثامناً: أن الظاهرة في الدنيا، والباطنة في الآخرة.

ويحتمل تاسعاً: أن الظاهرة في الأبدان، والباطنة في الأديان.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو؟ فجاءت صاعقة فأخذته.

الثاني: أنها نزلت في النضر بن الحارث كان يقول: إن الملائكة بنات الله، قاله أبو مالك.

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يخلص لله، قاله السدي.

الثاني: يقصد بوجهه طاعة الله.

الثالث: يسلم نفسه مستسلماً إلى الله وهو محسن يعني في عمله.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: قول لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: القرآن، قاله أنس بن مالك.

الثالث: الإسلام، قاله السدي.

الرابع: الحب في الله والبغض في الله، قاله سالم بن أبي الجعد.

وفي تسميتها بالعروة الوثقىٰ وجهان:

أحدهما: أنه قد استوثق لنفسه فيما تمسك به كما يستوثق من الشيء بإمساك عروته.

الثاني: تشبيهاً بالبناء الوثيق لأنه لا ينحل.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ قال مجاهد: وعند الله ثواب ما صنعوا.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ..﴾ الآية. وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما: ما وراه سعيد عن قتادة أن المشركين قالوا إنما هو كلام يعني القرآن يوشك أن ينفذ، فأنزل الله هذه الآية يعني أنه لو كان شجر البر أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحور قبل أن تنفد عجائب ربي وحكمته وعلمه.

الثاني: ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة قالت له أحبار اليهود يا محمد أرأيت قولك: «﴿وَمَا أُوتِيْتُم مِّنَ ٱلعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾» [الإسراء: ٨٥] إيانا تريد أم قومك؟ قال: «كُلًّ لَمْ يُـؤْتَ مِنَ ٱلعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً أَنْتُم وَهُمْ»، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك من الله أنَّا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ» فنزلت هذه الآية.

ومعنى: ﴿... يَمُدُّهُ...﴾[388] أي يزيد فيه شيئاً بعد شيء فيقال في الزيادة مددته وفي المعونة أمددته.

﴿... مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ﴾ ونفاد الشيء هو فناء آخره بعد نفاد أوله فلا يقال لما فني جملة: نفد.

(٣٨٨) وقيل قراءة أخرى بالنصب وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، انظر المبسوط ص ٣٥٣.

وفي ﴿كَلِمَاتُ ٱللَّهِ﴾ هنا أربعة أوجه:

أحدها: أنها نعم الله على أهل طاعته في الجنة.

الثاني: على أصناف خلقه.

الثالث: جميع ما قضاه في اللوح المحفوظ من أمور خلقه.

الرابع: أنها علم الله.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يقال أنها نزلت في أُبي بن خلف وأبي الأشدين ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية لأن الله لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه لجميع العالم كخلقه لنفس واحدة.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سميع لما يقولون، بصير بما يفعلون.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهارَ فِي ٱللَّيْلِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يأخذ الصيف من الشتاء ويأخذ الشتاء من الصيف، قاله ابن مسعود ومجاهد.

الثاني: ينقص من النهار ليجعله في الليل وينقص من الليل ليجعله في النهار، قاله الحسن وعكرمة وابن جبير وقتادة.

الثالث: يسلك الظلمة مسالك الضياء ويسلك الضياء مسالك الظلمة فيصير كل واحد منهما مكان الآخر، قاله ابن شجرة.

ويحتمل رابعاً: أنه يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا أقبل، ويدخل ضوء النهار في ظلمة الليل إذا أقبل، فيصير كل واحد منهما داخلاً في الآخر.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي ذللهما بالطلوع و الأفول تقديراً للآجال وإتماماً للمنافع.

﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلى وقته في طلوعه وأفوله لا يعدوه ولا يقصر عنه، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: إلى يوم القيامة، قاله الحسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني بما تعملون في الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الله الذي لا إله غيره(٣٨٩)، قاله ابن كامل.

الثاني: أن الحق اسم من أسماء الله، قاله أبو صالح.

الثالث: أن الله هو القاضي بالحق.

ويحتمل رابعاً: أن طاعة الله حق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشيطان هو الباطل، قاله مجاهد.

الثاني: ما أشركوا بالله تعالى من الأصنام والأوثان، قاله ابن كامل.

﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ أي العلي في(٣٩٠) مكانته الكبير في سلطانه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

(٣٨٩) وهذا يدل على أن التقدير في تفسير كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التقدير فيها لا معبود بحق في الوجود إلا الله لأن الله تعالى اثبت في هذه الآية أن العبودية الحق لا تكون إلا له وحده. فهناك معبودات كثيرة في الوجود لكنها باطلة ضمن قدر المحذوف في قوله لا إله إلاّ الله بأن لاموجود إلاّ الله هذا كلام باطل قالت به أهل الحلول والإتحاد من المتصوفة حتى قال بعض شعرائهم وما في الوجود سوى واحد..وهذا من أشنع الضلال.

(٣٩٠) قال العلامة ابن جرير (٢١/٨٤):

يقول تعالى ذكره «وبأن الله هو العلي يقول ذو العلو على كل شيء وكل ما دونه فله متذلل منقاد الكبير الذي كل شيء دونه فله متصاغر».

لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: برحمة الله لكم في خلاصكم منه.

الثاني: بنعمة الله عليكم في فائدتكم منه.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جري السفن فيه، قاله يحيى بن سلام، وقال الحسن: مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء.

الثاني: ما تشاهدونه من قدرة الله فيه، قاله ابن شجرة.

الثالث: ما يرزقكم الله منه، قاله النقاش.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صبَّار على البلوىٰ شكور على النعماء.

الثاني: صبَّار على الطاعة شكور على الجزاء.

قال الشعبي[٣٩١]: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، ألم ترإلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وإلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كالسحاب، قاله قتادة.

الثاني: كالجبال، قاله الحسن ويحيى بن سلام.

وفي تشبيهه بالظل وجهان:

أحدهما: لسواده، قاله أبو عبيدة.

الثاني: لعظمه.

---

(٣٩١) وهذا القول الذي نسبه المؤلف هنا للشعبي إنما هو للمغيرة كما في الطبري (٢١/٨٤) ولفظ الشعبي في الطبري (٢١/٨٤) «الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله».

﴿دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني موحدين له لا يدعون لخلاصهم[٣٩٢] سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يعني من البحر.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه عَدل في العهد، يفي في البر بما عاهَد الله عليه في البحر، قاله النقاش.

الثاني: أنه المؤمن المتمسك بالتوحيد والطاعة، قاله الحسن.

الثالث: أنه المقتصد في قوله وهو كافر، قاله مجاهد.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَاتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجاحد، قاله عطية.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الغدار، قال عمرو بن معدي كرب[٣٩٣].

فإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من غدرٍ وختر

وجحد الآيات إنكار أعيانها، والجحد بالآيات إنكار دلائلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَٱخْشَوْاْ يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(٣٩٢) إعلم إن الإنسان يلجأ إلى الله في الحالات العصيبة ويستغيث بالله تعالى ليرفع عنه الضيم والبلاء ثم إذا نجاه الله تعالى من كربه وبلائه وجدت أكثر الناس يعودون إلى ما كانوا عليه وكأن شيئاً لم يكن والمسلم الحق يضع نصب عينيه حديث رسول الله ﷺ «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» وهذا من كمال الإيمان.

وقد يقعون في الشرك بعلم وبجهل نسأل الله صلاح حال المسلمين.

(٣٩٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (   ) واللسان مادة «ختر».

وقد أورد الطبري البيت في تفسيره (٢١/ ٨٥) وفيه «انك لو رأيت. . . .» بدون فاء.

أحدها: معناه لا يغني والد عن ولده يقال جزيت عنك بمعنى أغنيت عنك، قاله ابن عيسى. عيسى.

الثاني: لا يقضي والد عن ولده، قاله المفضل وابن كامل.

الثالث: لا يحمل والد عن ولده، قال الراعي:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ... ليجزي إلا كاملٌ وابن كامل

أي حملت.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني البعث والجزاء.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يغرنكم الإمهال عن الانتقام.

الثاني: لا يغرنكم المال عن الإسلام.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وهي تقرأ على وجهين:

أحدهما: بالضم.

الثاني: بالفتح وهي قراءة الجمهور.

ففي تأويلها بالضم وجهان:

أحدهما: أن الغُرور الشيطان، قاله مجاهد.

الثاني: الأمل وهو تمني المغفرة في عمل المعصية، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أن تخفي على الله ما أسررت من المعاصي.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن قيامها مختص بعلمه.

الثاني: أن قيامها موقوف على إرادته.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ فيما يشاء من زمان ومكان.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ذكر وأنثى، سليمٍ وسقيم.

الثاني: من مؤمن وكافر وشقي وسعيد.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من خير أو شر.

الثاني: من إيمان أو كفر.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على أي حكم تموت من سعادة أو شقاء، حكاه النقاش.

الثاني: في أي أرض يكون موته ودفنه وهو أظهر. وقد روى أبو مليح عن[٣٩٤] أبي عزة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ إِلَيْهَا حَاجَةً فَلَمْ يَنْتَهِ حَتَّىٰ يُقْدِمَهَا، ثم قرأ ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾».

وقال هلال بن إساف: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يدفن فيها.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يحتمل وجهين:

---

(٣٩٤) رواه البخاري في الأدب المفرد(١٢٨٢) وأحمد (٣/٤٢٩) وابن حبان (١٨١٥) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٥٤ والحاكم (١/٤٢) والدولابي في الكنى (١/٤٤) والطبراني في الكبير (٢٢/٣٧٦) من طريق أيوب عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي.

وقال الحاكم «صحيح رواته عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي وقال الألباني في السلسلة الصحيحة وهو كما قال عند حديث رقم (١٢٢١) واسم أبي عزة الهذلي يسار بن عبد كما نقل البيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن المديني (ص ١٥٤) وقد روى الحديث الطيالسي في مسنده (١١٢٥) من الطريق السابق وسماه مطر بن عكامس وقد روى الحديث الترمذي (٢١٤٦) وحسنه والحاكم (١/٤٢) والبخاري في التاريخ وابن مردويه كما في الدر (٦/٥٣٢) من طريق سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن مطر بن عكامس السلمي مرفوعاً وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهذا إذا كان أبو إسحاق السبيعي قد سمعه من مطر فإن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن كما لا يخفى.

وللحديث شاهد من حديث جندب بن سفيان أخرجه الحاكم (١/٣٦٧) وفي سنده الحسن البصري وهو ثقة مدلس وقد عنعن.

وله شاهد بزيادة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٣) والحاكم (١/٤١ ـ ٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٦) وقال الحاكم، احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم ووافقه الذهبي وقال البوصيري في الزوائد هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

أحدهما : عليم بالغيب خبير بالنية .

الثاني : عليم بالأعمال خبير بالجزاء .

ويقال إن هذه الآية نزلت في رجل من أهل البادية يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد، وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى تقوم الساعة؟ فنزلت هذه الآية. والله أعلم.



مكية في قول الجميع إلا الكلبي ومقاتل فإنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها من: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً﴾ إلى آخرهن. وقال غيرهما: إلا خمس آيات من ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ إلى ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ﴾ يعني القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه أنه تنزيل.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ والريب هو الشك(٣٩٥) الذي يميل إلى السوء والخوف، قال أبو ذؤيب:

أسرين ثم سمعن حساً دونه سرف الحجاب وريب قرع يقرع

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾ يعني كفار قريش يقولون إن محمداً افترى هذا القرآن ويكذبه.

(٣٩٥) وقد قال بعضهم إن هناك فرقاً بين الشك والريب؛ فالريب مقدمة الشك ونفي الريب عن الكتاب يدل على أنه بلغ النهاية في اليقين بأنه من عند الله بحيث أن مقدمات الشك لا تتطرق إليه.

﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن حق نزل عليك من ربك.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني قريشاً، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقضي الأمر، قاله مجاهد.

الثاني: ينزل الوحي، قاله السدي.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال السدي من سماء الدنيا إلى الأرض العليا وفيه وجهان:

أحدهما: يدبر الأمر في السماء وفي الأرض.

الثاني: يدبره في السماء ثم ينزل به الملك إلى الأرض وروى عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال: يدبر(٣٩٦) أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأمَّا ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه الملك الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، قاله النقاش.

---

(٣٩٦) رواه أبو الشيخ في العظمة(٣/٨٠٨) وإسناده مقطوع ورجاله ثقات غير عبد الجبار بن العلاء وهو لا بأس به. وقد جاء نحوه في حديث مرفوع عن ابن عباس رواه أبو الشيخ في العظمة رقم ٢٩١ وهو حديث حسن راجع تخريجه هناك.

الثالث: أنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة، قاله ابن شجرة.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبداً، قاله مجاهد.

الثاني: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مسيرة ألف سنة، قاله ابن عباس والضحاك[٣٩٧].

الثالث: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مقداره ألف سنة فيكون مقدار نزوله خمسمائة سنة ومقدار صعوده خمسمائة سنة، قاله قتادة: فيكون بين السماء والأرض على قول ابن عباس والضحاك مسيرة ألف سنة، وعلى قول قتادة والسدي مسيرة خمسمائة سنة.

﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي تحسبون من أيام الدنيا وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم وليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين لأنه ليس عند الله ليل استراحة ولا زمان تودع، والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم كما قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سيرٍ إلى الأعداءِ تأويب

وليس يريد يومين مخصوصين وإنما أراد أن زمانهم ينقسم شطرين فعبر عن كل واحد من الشطرين بيوم.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٣٩٨] فيه خمسة تأويلات:

---

(٣٩٧) والإسناد إلى الضحاك ضعيف أخرجه الطبري (٢١/٩٣) وفيه جويبر وهو البلخي المفسر قال الحافظ في التقريب (١/١٣٦) ضعيف جداً.

(٣٩٨) وفي خلقه قراءتان وحسب نوع القراءة يختلف التفسير فالقراءة الأولى بسكون اللام وهي قراءة أبي

أحدها: أنه جعل كل شيء خلقه حسناً حتى جعل الكلب في خلقه حسناً، قاله ابن عباس.

الثاني: أحكم كل شيء خلقه حتى أتقنه، قاله مجاهد[٣٩٩].

الثالث: أحسن إلى كل شيء خلق فكان خلقه له إحساناً، قاله علي بن عيسى.

الرابع: ألهم ما خلقه[٤٠٠] ما يحتاجون إليه حتى علموه من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه.

الخامس: أعطى كل شيء خلقه[٤٠١] ما يحتاج إليه ثم هداه إليه، رواه حميد بن قيس.

ويحتمل سادساً: أنه عرف كل شيء خلقه وأحسنه من غير تعلم ولا سبق[٤٠٢] مثال حتى ظهرت فيه القدرة وبانت فيه الحكمة.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم، روى عون عن أبي زهير عن أبي موسى[٤٠٣] عن النبي ﷺ: أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على ألوان الأرض منهم الأبيض والأحمر وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك.

جعفر وابن كثير وابن عامر وأبي عمر ويعقوب، والقراءة الثانية قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وهي بفتح اللام.

انظر المبسوط في القراءات للأصبهاني ص.

(٣٩٩) وعبارة مجاهد في الطبري (٢١/٩٤) أتقن كل شيء خلقه.

(٤٠٠) وهذا القول الرابع على قراءة سكون اللام في خلقه فتنبه، انظر الطبري (٢١/٩٤).

(٤٠١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل ص ٦٥ قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ فإحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال فالخلق الإيجاد والتسوية اتقانه وإحسان خلقه الخ راجع مراتب الهدى والضلال الباب الرابع عشر.

(٤٠٢) ومع كل هذه الدلائل على وجود الخالق تبارك وتعالى إلا أن الشيوعيين قاتلهم الله ينكرون وجود الخالق تبارك وتعالى وقديماً سئل الأعرابي ما الدليل على وجود الله قال البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير. سبحانك ربنا وتعاليت.

(٤٠٣) تقدم تخريج هذا الحديث عند قوله تعالى **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾** الآية.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي ذريته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ لانسلالـه من صلبه ﴿مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ قال مجاهد ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سوىٰ خلقه في الرحم.

الثاني: سوى خلقه كيف يشاء.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من قدرته، قاله أبو روق.

الثاني: من ذريته، قاله قتادة.

الثالث: من أمره أن يكون فكان، قاله الضحاك.

الرابع: روحاً من روحه أي من خلقه وأضافه إلى نفسه لأنه من فعله وعبر عنه بالنفخ لأن الروح من جنس الريح.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ يعني القلوب وسمى القلب فؤاداً لأنه ينبوع الحرارة الغريزية مأخوذ من المفتأد وهو موضع النار، وخصص الأسماع والأبصار والأفئدة بالذكر لأنها موضع الأفكار والاعتبار.

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هلكنا، قاله مجاهد.

الثاني: صرنا فيه رفاتاً وتراباً، قاله قتادة والعرب تقول لكل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيه أثره قد ضل، قال الأخطل:

كنت القذى في موج أكدر مزبد ... قذف الأتيُّ به فضلَّ ضلالاً.

الثالث: غُيِّبنا في الأرض، قاله قطرب وأنشد النابغة:

فآب مُضلُّوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزمٌ ونائل

وقرأ الحسن: صللنا، بصاد غير معجمة وفيه على قراءته وجهان:

أحدهما: أي أنتنت لحومنا من قولهم صل اللحم إذا أنتن، قاله الحسن.

الثاني: صللنا من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه قوله تعالى: ﴿مِن صَلصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي أَتُعَادُ أجسامنا وأرواحنا للبعث خلقاً جديداً تعجباً من إعادتها وإنكاراً لبعثهم وهو معنى قوله تعالى:

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِم كَافِرُونَ﴾ وقيل إن قائل ذلك أُبي بن خلف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي يقبض أرواحكم والتوفي أخذ الشـيء على تمام، مأخوذ من توفية العدد ومنه قولهم استوفيت دَيْني من فلان.

ثم في توفي ملك الموت لهم قولان:

الأول: بأعوانه.

الثاني: بنفسه. روى جعفر الصادق عن أبيه قال نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ(٤٠٤) [يا ملك الموت]: «ارْفُقْ بِصَاحِبِي فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ» فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفساً وقرعيناً فإني بكل مؤمن رفيق واعلَمْ أن ما(٤٠٥) من أهل بيت مدر ولا شعر(٤٠٦) إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيـرهم منهم بأنفسهم، والله يـا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها. قال جعفر(٤٠٧) إنما يتصفحهم عند مواقيت(٤٠٨) الصلوات(٤٠٩).

---

(٤٠٤) وفي تفسير ابن كثير (٤٥٨/٣) [يا ملك الموت] نقلاً عن رواية ابن أبي حاتم.

(٤٠٥) وفي ابن كثير (٤٥٨/٣) [ما في الأرض من بيت].

(٤٠٦) وفي ابن كثير (٤٥٨/٣) [في بر ولا بحر].

(٤٠٧) وفي ابن كثير (٤٥٨/٣) [قال جعفر بلغني أنه].

(٤٠٨) وتتمة العبارة في ابن كثير (٤٥٨/٣) [فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إلّه إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة].

(٤٠٩) هذا الأثر الذي أورده المؤلف هنا عن جعفر الصادق أثر معضل.

فقد رواه معضلاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٥٤٣/٦) ونقل الحافظ ابن كثير سنده من تفسير ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيـى المقري حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول. . . الحديث.

وهذا السند الذي نقله الحافظ ابن كثير فيه تحريف يقيناً في عمر بن سمرة وصـوابه عمـرو بن شمر والتصويب من الإصابة (٢٧٧/٢).

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرْجَعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى جزائه.

الثاني: إلى أن لا يملك لكم أحد ضراً ولاً نفعاً إلا الله.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي عند محاسبة ربهم وفيه أربعة أوجه:

أحدها: من الغم، قاله ابن عيسى.

ثم رأيت الحديث موصولاً وصله البزار (٧٨٤) مختصراً والطبراني (٤/ ٢٢٠) وابن قانع وابن شاهين في الجنائز مطولاً وابن مندة مختصراً وابن ابي عاصم كما في الاصابة (٢/ ٢٧٧) وأبو نعيم في الصحابة كما في الدر المنثور (٦/ ٥٤١).

من طريق عمرو بن شمر عن جعفر بن محمد عن أبيه سمعت الحارث بن الخزرج الأنصاري يقول حدثني أبي أنه سمع النبي ﷺ ونظر..... الحديث فذكره.

وهذا السند ضعيف جداً.

ففيه عمرو بن شمر وهو الجعفي الكوفي الشيعي قال البخاري منكر الحديث وقال يحيى بن معين لا يكتب حديثه وقال سرة ليس بثقة وقال الجوزجاني زائغ كذاب وقال ابن حبان في المجروحين رافضي يشتم الصحابة يروي الموضوعات عن الثقات في فضائل أهل البيت وغيرها لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب.

راجع الميزان (٣/ ٢٦٨) والمجروحين لابن حبان (٢/ ٧٥) وبعد هذا كله فقول الإمام الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٦) فيه عمر [كذا قال] وصوابه عمرو بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمهما وبقية رجاله رجال الصحيح «أقول هذا القول وقع سهواً من الحافظ الهيثمي رحمه الله وإلا فإن عمراً معروف وسبق بيان حاله وأما الحارث بن الخزرج فلم أهتد لترجمته. ولعل عذر الحافظ الهيثمي في قوله التحريف الذي وقع في اسم عمرو والله أعلم. واعلم أيها القارىء أن الراوي عن عمرو في رواية البزار قد دلس في اسمه فقال عمرو بن أبي عمرو... فتنبه».

الثاني : من الذل، قاله ابن شجرة.

الثالث: من الحياء، حكاه النقاش.

الرابع: من الندم، قاله يحيى بن سلام.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك، قاله ابن عيسى.

الثاني: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، قال قتادة، أبصروا حين لم ينفعهم البصر وسمعوا حين لم ينفعهم السمع.

﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي ارجعنا إلى الدنيا نعمل فيها صالحاً.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مصدقون بالبعث، قاله النقاش.

الثاني: مصدقون بالذي أتى به محمد ﷺ أنه حق، قاله يحيى بن سلام.

قال سفيان: فأكذبهم الله فقال: ﴿وَلَو رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هدايتها للإيمان(٤١٠).

الثاني: للجنة.

الثالث: هدايتها في الرجوع إلى الدنيا لأنهم سألوا الرجعة ليؤمنوا.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ ٱلْقَولُ مِنِّي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه سبق القول مني، قاله الكلبي ويحيى بن سلام.

الثاني: وجب القول مني، قاله السدي كما قال كثير:

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحباً وحقت لها العتبى لدنيا وقلّت

﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يعني من عصاه من الجنة والناس. وفي الجنة قولان:

أحدهما: أنه الجن، قاله ابن كامل.

---

(٤١٠) وهذه الهداية هي هداية التوفيق والمعونة فلو شاء الله أن يعطيها للعباد كلهم لفعل لكنه لم يشأ ذلك وذلك لحكمة يعلمها سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وفي الآية رد على القدرية والجبرية.

الثاني : أنهم الملائكة، رواه السدي عن عكرمة. وهذا التأويل [٤١١] معلول لأن الملائكة لا يعصون الله فيعذبون. وسموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار ومنه قول زيد بن عمرو:

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور

قوله : ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فذوقوا عذابي بما تركتم أمري ، قاله الضحاك.

الثاني : فذوقوا العذاب بما تركتم الإيمان بالبعث في هذا اليوم ، قاله يحيى بن سلام.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إنا تركناكم [٤١٢] من الخير، قاله السدي.

الثاني : إنا تركناكم في العذاب، قاله مجاهد.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ وهو الدائم الذي لا انقطاع له.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ يعني في الدنيا من المعاصي، وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق الطعام، قال ابن أبي ربيعة:

فذُقْ هجرها إن كنت تزعم أنه رشاد ألا يا رب ما كذب الزعم

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(٤١١) بل هذا القول باطل لأنه مخالف لما جاء في الكتاب حيث قال الله تعالى عن الملائكة منزهاً لهم عن الوقوع في الأدناس والأرجاس ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ولقول عكرمة عندي وجه وهو مني فإن كان صواباً فالحمد لله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان وأسأل الله العصمة من الزلل أقول وجه قول عكرمة عندي أن الله تعالى يملأ جهنم يوم القيامة من الملائكة الذين يتولون تعذيب الكافرين فيها ولا يدل ذلك على أنهم يعذبون والله أعلم بالصواب.

(٤١٢) واعلم أن النسيان يطلق على معنيين الأول النسيان الذي هو ضد التذكر وهذا محال في حق الله تعالى لأن الله تعالى لا ينسى وذلك كما قال ﴿في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ سورة طه: وأما النسيان المضاف إلى الرب هنا وفي سورة طه أيضاً عند قوله ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ فهو بمعنى الترك والإهمال لهم تحقيراً لشأنهم لأنهم تركوا أمر ربهم ولم يعظموه وارتكبوا نهيه وواقعوه فالجزاء من جنس العمل.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِئَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يصدق بحجتنا، قاله ابن شجرة.

الثاني: يصدق بالقرآن وآياته، قاله ابن جبير.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذين إذا دعوا إلى الصلوات الخمس بالأذان أو الإقامة أجابوا إليها قاله أبو معاذ، لأن المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من أبواب المساجد(٤١٣).

الثاني: إذا قرئت عليهم آيات القرآن خضعوا بالسجود على الأرض طاعة لله وتصديقاً بالقرآن. وكل ما سقط على شيء فقد خر عليه قال الشاعر:

وخر على الألاءِ ولم يوسد ... كأن جبينه سيف صقيل

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه صلوا حمداً لربهم، قاله سفيان.

الثاني: سبحوا بمعرفة الله وطاعته، قاله قتادة.

﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن عبادته، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عن السجود كما استكبر أهل مكة عن السجود له، حكاه النقاش.

قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي ترتفع عن مواضع الاضطجاع قال ابن رواحة:

يبيت يجافي جنبه عن فِراشِه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجله قولان:

أحدهما: لذكر الله إما في صلاة أو في غير صلاة قاله ابن(٤١٤) عباس والضحاك.

---

(٤١٣) وهذا القول في الطبري (٢١/٩٩) لابن جريج.

(٤١٤) وقد رواه ابن جرير عند ابن عباس (٢١/١٠٢) وسنده مسلسل بالضعفاء وكثيراً ما يتكرر في الطبري محمد بن سعد: هو محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ترجمه الخطيب في تاريخه وقال

الثاني: للصلاة ـ روى ميمون بن [٤١٥] شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال: «إِنْ شِئْتَ أَنبَأْتُكَ بِأَبوابِ الخَيرِ: الصَّوْمُ جُنَّـةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ» [٤١٦] ثم تلا هذه الآية.

(٣٢٣/٥) لين الحديث وأما أبوه فهو سعد بن محمد ذكره الحافظ في لسان الميزان (١٨/٣) وقال: قال أحمد جهمي وأما عمه فهو الحسين بن الحسن بن عطية فقد ضعفه غير واحد منهم ابن معين وابن حبان وغيرهما انظر الميزان (٥٣٢٨) وأما أبوهما فهو الحسن بن عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤١٥) وقع هنا تحريف في الاسم والصواب ميمون بن أبي شبيب والتصحيح من الطبري وغيره.

(٤١٦) رواه ابن جرير (١٠٢/٢١) والحاكم (٧٦/٢) وأبو بكر بن أبي شيبـة في كتاب الإيمان ص ١٦ من حديث الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به.

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهذا من أوهامهما فإن الإسناد منقطع كما قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٢٨ فإن ميمون لم يدرك معاذاً.

ورواه أحمد (٢٣٥/٥) من طريقة شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل.

وشهر ضعيف الحديث راجع ترجمته في الميزان (٢٨٣/٢ ـ ٢٨٥) ورواه أحمد (٢٣٥/٥ و ٢٣٧) وابن جرير (١٠٢/٢١) وابو بكر بن أبي شيبة في الإيمان ص ١٦ من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة عن عروة بن النزال يحدث عن معاذ.

ووقع في الطبري ونقله ابن كثير (٤٦٨/٣) عن عروة بن الزبير وهوتحريف يقيناً لأن الحديث معروف عن عروة بن النزال وليس ابن الزبير ومما يؤكد هذا أن الحافظ ابن حجر قال في ترجمته عروة بن النزال (١٧٠/٧) تهذيب التهذيب قال رحمه الله «روى عن معاذ بن جبل حديث الصوم جُنّة وعنه الحكم بن عتيبة ذكره المثنى بن حبان في الثقات» قلت لكن قال الحافظ الذهبي في الميزان (٦٥/٣) عروة بن النزال عن معاذ لا يعرف.

وقد أخرج النسائي هذا الحديث من طريق عروة بن النزال (١٦٦/٤) وقد نبه على ذلك صاحب تحفة الاشراف (٤١٨/٨).

وروى الحديث مطولاً الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٢٣١/٥) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ وقال الترمذي حسن صحيح وتعقب الترمذي الحافظُ ابن رجب بـأن أبا وائل لم يدرك معاذاً فهو على هـذا منقطع من هـذا الطريق وزاد السيـوطي في الدر (٥٤٧/٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن نصر في كتاب الصلاة وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان

وروى الحديث أحمد (٢٣٤/٥) مختصراً من طريق أبي بكر بن أبي مريم حدثني عطية بن قيس عن معاذ به وخلاصة القول أن الحديث صحيح لا غبار عليه على الإطلاق.

قال الألباني في الإرواء (١٤٠/٢) وهذا إسناد متصل رجاله ثقات غير أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم الشامي وهو ضعيف لاختلاطه ا هـ.

قلت وفي الباب عن أبي هريرة فليطلب من مظانه.

وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة أقاويل:

أحدها: التنفل بين المغرب والعشاء، قاله قتادة وعكرمة.

الثاني: صلاة العشاء التي يقال لها صلاة العتمة، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: صلاة الصبح والعشاء في جماعة، قاله أبو الدرداء وعبادة.

الرابع: قيام الليل، قاله مجاهد والأوزاعي ومالك وابن زيد.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خوفاً من حسابه وطمعاً في رحمته.

الثاني: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

ويحتمل ثالثاً: يدعونه في دفع ما يخافون والتماس ما يرجون ولا يعدلون عنه في خوف ولا رجاء.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يؤتون الزكاة احتساباً لها، قاله ابن عباس.

الثاني: صدقه يتطوع بها سوى الزكاة، قاله قتادة.

الثالث: النفقة في طاعة الله، قال قتادة: أنفقوا مما أعطاكم الله فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها.

الرابع: أنها نفقة الرجل على أهله.

قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَآ أُخْفِيَ(٤١٧) لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه للذين تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه للمجاهدين قاله تبيع. وفي ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ التي أخفيت لهم أربعة أوجه:

أحدها: رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال(٤١٨): قال رسول

(تنبيه) «وقع في رواية الطبري التي أوردها المؤلف «الصدقة تكفِّر الخطيئة» ومن هنا تعلم أن المؤلف أورد الحديث بالمعنى وقد ورد هذا اللفظ أعني لفظ تطفىء الخطيئة في الروايات الأخرى المطولة التي ذكرنا بعضها فتنبه.

(٤١٧) وفيها قراءتان قرأه حمزة ويعقوب بسكون الباء في أخفى وقرأ الباقون بفتح الباء انظر المبسوط للأصبهاني ص ٣٥٤.

(٤١٨) رواه البخاري (٨/٥١٥) ومسلم (٤/٢١٧٥) وابن ماجه (٤٤٧٢) وابن جرير (٢١/١٠٥) وابن أبي

الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِي أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ[٤١٩] اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية.

الثاني: أنه جزاء قوم أخفوا عملهم فأخفى الله ما أعده لهم. قال الحسن بالخفية خفية وبالعلانية علانية.

الثالث: أنها زيادة تحف من الله ليست في حياتهم يكرمهم بها في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه زيادة نعيمهم وسجود الملائكة لهم، قاله كعب.

ويحتمل خامساً: اتصال السرور بدوام النعيم.

﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني من فعل الطاعات واجتناب المعاصي.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَاتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً﴾ المؤمن هنا علي بن أبي طالب

شيبة (١٣/١٠٩) وعبد الرزاق (١١/٤١٦) بدون ذكر الآية وهناد في الزهد (١/٤٧) وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (١٩٦) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٤٩) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن الأنباري وزاد الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥١٦) نسبته لسعيد بن منصور.

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وسهل بن سعد.

(٤١٩) وفي الطبري (٢١/١٠٥) [قال أبو هريرة من بَلْه ما اطلعتم عليه].

وأما تفسيرها فقد قال الحافظ في الفتح (٨/٥١٦) قال الخطابي كأنه يقول دع ما اطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم».

رضي الله عنه والفاسق عقبة بن أبي معيط قال ابن عباس: سابّ عقبة علياً فقال أنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأملأ منك حشواً فقال له علي كرم الله وجهه: ليس كما قلت يا فاسق فنزلت، فيهما هذه الآية.

﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال قتادة: لا والله لا يستوون لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أما العذاب الأدنى ففي الدنيا وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنها مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، قاله أُبي.

الثاني: القتل بالسيف، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه الحدود، قاله ابن عباس.

الرابع: القحط والجدب، قاله إبراهيم.

الخامس: عذاب القبر، قاله البراء بن عازب ومجاهد.

السادس: أنه عذاب الدنيا كلها، قاله ابن زيد.

السابع: أنه غلاء السعر والأكبر خروج المهدي، قاله جعفر الصادق.

ويحتمل ثامناً: أن العذاب الأدنى في المال، والأكبر في الأنفس(٤٢٠).

والعذاب الأكبر عذاب جهنم في الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم.

الثاني: يتوبون من الكفر، قاله ابن عباس.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

(٤٢٠) وأولى الأقوال القول بعموم العذاب لهم في الدنيا واختار القول بالعموم الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى ولقد لقيته ليلة الإسراء روى أبو العالية الرياحي[٤٢١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ[٤٢٢]: «رأيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَىٰ بْنَ عمرانَ رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْداً كَأَنَّهُ مِن رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيتُ عِيسَىٰ ٱبنَ مَرْيَمَ رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ سَبْطَ[٤٢٣] الرَّأْسِ». قال أبو العالية[٤٢٤] قد بين الله ذلك في قوله: ﴿وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾.

الثاني: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها.

الثالث: فلا تكن في شك من لقاء موسى في الكتاب، قاله مجاهد والزجاج.

الرابع: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقيه موسى، قاله الحسن.

الخامس: فلا تكن في شك من لقاء موسى لربه حكاه النقاش.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جعلنا موسى، قاله قتادة.

الثاني: جعلنا الكتاب، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم رؤساء في الخير تبع الأنبياء، قاله قتادة.

الثاني: أنهم أنبياء، وهو مأثور.

﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على الدنيا، قاله سفيان.

الثاني: على الحق، قاله ابن شجرة.

الثالث: على الأذى بمصر لما كلفوا ما لا يطيقون، حكاه النقاش.

---

(٤٢١) وفي الطبري (٢١/١١٢) [قال حدثكم ابن عم نبيكم].

(٤٢٢) وفي الطبري (٢١/١١٢) [أُريت].

(٤٢٣) وتمام الحديث في الطبري (٢١/١١٣) [ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مِرْية من لقائه أنه قد رأى موسى].

(٤٢٤) رواه الطبري (٢١/١١٣).

﴿وَكَانُواْ بِئَايَاتِنَا﴾[٤٢٥] يعني بالآيات التسع ﴿يُوقِنُونَ﴾ أنها من عند الله.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية فيها وجهان:

أحدهما: يعني بين الأنبياء وبين قومهم، حكاه النقاش.

الثاني: يقضي بين المؤمنين والمشركين فيما اختلفوا فيه من الإيمان والكفر، قاله يحيى بن سلام.

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالمطر والثلج.

الثاني: بالأنهار والعيون.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الأرض اليابسة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنها الأرض التي أكلت ما فيها من زرع وشجر، قاله ابن شجرة.

الثالث: أنها الأرض التي لا يأتيها الماء إلا من السيول، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها أرض أَبْيَنَ لا تنبت، قاله مجاهد.

الخامس: أنها قرى نبيا بين اليمن والشام، قاله الحسن. وأصل الجرز الانقطاع مأخوذ من قولهم سيف جراز أي قطاع وناقة جراز أي كانت تأكل كل شيء لأنها لا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها. ورجل جروز أكول قال الراجز[٤٢٦]:

حبُّ جروز وإذا جاع بكى ... يأكل التمر ولا يلقى النوى

---

(٤٢٥) والقول بالعموم أولى من التخصيص لأن الآيات التي أنزلها الله تعالى عليهم كثير، منها آيات مادية كالآيات التسع ومنها آيات التوراة والإيمان بهذه وتلك مطلوب بالنسبة لهم فالمؤمن الموقن يؤمن بكل آية نزلت من عند الله.

(٤٢٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء.

وفتح القدير (٤/ ٢٤٩) وفيه «ويأكل....» بزيادة واو.

وتأول ابن عطاء هذه الآية على أنه توصل بركات[٤٢٧] المواعظ إلى القلوب القاسية.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه فتح مكة، قاله الفراء.

الثاني: أن الفتح انقضى بعذابهم في الدنيا، قاله السدي.

الثالث: الحكم بالثواب والعقاب في القيامة، قاله مجاهد. قال الحسن لم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَانُهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين قتلهم خالد بن الوليد يوم فتح مكة من بني كنانة، قاله الفراء.

الثاني: أن يوم الفتح يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثالث: أن اليوم الذي يأتيهم من العذاب، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون بالعذاب إذا جاء الوقت.

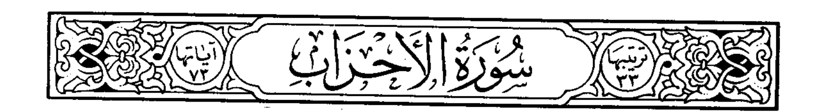
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية. قال قتادة: نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم، ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أعرض عن أذاهم وانتظر عقابهم.

الثاني: أعرض عن قتالهم وانتظر أن يؤذن لك في جهادهم.

الثالث: فأعرض بالهجرة وانتظر ما يمدك به من النصرة، والله أعلم.

(٤٢٧) وهذا من الإشارات التي حذرناك منها مراراً وليس في الآية دليل على ما قال ابن عطاء واللفظ على ظاهره ما لم يرد صارف فتنبه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ③﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ وهذا وإن كان معلوماً من حاله ففي أمره به أربعة أوجه:

أحدها: أن معنى هذا الأمر الإكثار من اتقاء الله في جهاد أعدائه.

الثاني: استدامة التقوى على ما سبق من حاله.

الثالث: أنه خطاب توجه إليه والمراد به غيره من أمته.

الرابع: أنه لنزول هذه الآية سبباً وهو ما روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة ليجددوا خطاب رسول الله ﷺ في عهد بينه وبينهم فنزلوا عند عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس ومعتب بن قشير وائتمروا بينهم وأتوا رسول الله ﷺ فعرضوا عليه أموراً كره جميعها فهمَّ رسول الله ﷺ والمسلمون أن يقتلوهم فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني في نقض العهد الذي بينك وبينهم إلى المدة المشروطة لهم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة.

﴿وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾ من أهل المدينة فيما دعوا إليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عليماً بسرائرهم حكيماً بتأخيرهم.

الثاني: عليماً بالمصلحة حكيماً في التدبير.

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أن النبي ﷺ قام يوماً يصلي فخطر[٤٢٨] خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه إن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله هذه تكذيباً لهم؛ قاله ابن عباس و يكون معناه ما جعل الله لرجل من جسدين.

الثاني: أن رجلاً من مشركي قريش من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد وكذب فنزلت فيه، قاله مجاهد. ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من عقلين.

الثالث: أن جميل بن معمر ويكنى أبا معمر من بني جُمَح كان أحفظ الناس لما يسمع وكان ذا فهم ودهاء فقالت قريش ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد إن له قلبين فلما كان يوم بدر وهزموا أفلت وفي يديه إحدى نعليه والأخرى في رجليه فلقيه أبو سفيان بشاطىء البحر فاستخبره فأخبره أن قريشاً قتلوا وسمى من قتل من

(٤٢٨) يعني سها سهوة.

أشرافهم، قال له: إنه قد ذهب عقلك فما بال نعليك إحداهما في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما كنت أظنها إلا في رجلي فظهر لهم حاله فنزلت فيه الآية، قاله السدي ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من فهمين.

الرابع: أن رجلاً كان يقول إن لي نفسين نفساً تأمرني ونفساً تنهاني فنزل ذلك فيه، قاله الحسن ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من نفسين.

الخامس: أنه مثل ضربه الله لزيد بن حارثة حين تبناه النبي ﷺ بعد أن أعتقه فلما نزل تحريم التبنّي منع من ادعائه ولداً ونزل فيه ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ يقول: ماجعل الله لرجل من أبوين، كذلك لا يكون لزيد أبوين حارثة ومحمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. وفيه إثبات لمذهب الشافعي في نفي الولد عن أبوين ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من أبوين.

السادس: معناه: أنه لا يكون لرجل قلب مؤمن معنا وقلب كافر علينا لأنه لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من دينين، حكاه النقاش.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وهو أن يقول لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، فهذا ظهار كانوا في الجاهلية يحرمون به الزوجات ويجعلونهن في التحريم كالأمهات فأبطل الله بذلك أن تصير محرمة كالأم لأنها ليست بأم وأوجب عليه بالظهار منها إذا صار فيه عامداً كفارة ذكرها في سورة المجادلة[٤٢٩] ومنعه من إصابتها حتى يكفر وسنذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ يعني بذلك أدعياء النبي. قال مجاهد كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك فيقول نعم فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعز أهله وكان زيد بن حارثة منهم قد تبناه رسول الله ﷺ على ما كان يصنع أهل الجاهلية فلما جاءت هذه الآية أمرهم الله أن يلحقوهم بآبائهم فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ في الإسلام.

---

(٤٢٩) وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبه من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسًا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ [المجادلة: ٣، ٤].

﴿ذَٰلِكُم قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أن امرأته بالظهار أُمُّه وأن دَعيه بالتبني ابنه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في أن الزوجة لا تصير في الظهار أُمّاً والدعيُّ لا يصير بالتبني ابناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني في إلحاق النسب بالأب، وفي الزوجة أنها لا تصير كالأم.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ يعني التبني. قال عبدالله بن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ قال السدي فدعاه النبي ﷺ إلى حارثة وعرف كل نسبه فأقرّوا به وأثبتوا نسبه.

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أعدل عند الله قولاً وحكماً.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فانسبوهم إلى أسماء إخوانكم ومواليكم مثل عبدالله و عبيدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد العزيز، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني: قولوا أخونا فلان وولينا فلان، قاله يحيى بن سلام. وروى محمد بن المنكدر قال: جلس نفر من أصحاب النبي ﷺ منهم جابر بن عبدالله الأنصاري فتفاخروا بالآباء فجعل كل واحد منهم يقول أنا فلان بن فلان حتى انتهوا إلى سلمان فقال أنا سلمان ابن الإسلام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال صدق سلمان وأنا عمر بن الإسلام وذلك قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُم فِي ٱلدِّينِ﴾.

الثالث: إنه إن لم يُعرف لهم أب ينسبون إليه كانوا إخواناً إن كانوا أحراراً، وموالي إن كانوا عتقاء كما فعل المسلمون فيمن عرفوا نسبه وفيمن لم يعرفوه فإن المقداد بن عمرو كان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث الزهري فرجع إلى أبيه وسفيان بن معمر كانت أمه امرأة معمر في الجاهلية فادعاه ابناً ثم أسلم سفيان وشهد بدراً فنسب إلى أبيه ونسبه في بني زريق من الأنصار. وممن لم يعرف له أب سالم، مولى أبي حذيفة ونسب إلى ولاء أبي حذيفة.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدت قلوبكم بعد النهي في هذا وغيره، قاله مجاهد.

الثاني: ما أخطأتم به ما سهوتم عنه، وما تعمدت قلوبكم ما قصدتموه عن عمد، قاله حبيب بن أبي ثابت.

الثالث: ما أخطأتم به أن تدعوه إلى غير أبيه، قاله قتادة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غفوراً رَحيماً﴾ أي غفوراً عما كان في الشرك، رحيماً بقبول التوبة في الإسلام.

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أولى بهم من بعضهم ببعض لإرساله إليهم وفرض طاعته عليهم، وقاله مقاتل بن حيان.

الثاني: أنه أولى بهم فيما رآه لهم بأنفسهم، قاله عكرمة.

الثالث: أنه كان في الحرف الأول: هو أب لهم. وكان سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أراد غزاة تبوك أمر الناس بالخروج فقال قوم منهم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فأنزل الله فيهم هذه الآية، حكاه النقاش.

الرابع: أنه أولى بهم في قضاء ديونهم وإسعافهم في نوائبهم على ما رواه عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة(٤٣٠) قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِن مُؤمنٍ إلاّ أنَا أولَىٰ النَّاس بِهِ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ اقْرَأوا إن شِئْتُم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فَأَيُّما(٤٣١) مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْتَرِثْهُ(٤٣٢) عُصْبَتُهُ مَن كَانُوا، وَإن تَرَكَ دَيناً أَوْ ضِيَاعاً فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا(٤٣٣) مَوْلاَهُ**».

---

(٤٣٠) رواه البخاري (٥١٧/٨) وابن جرير (١٢٢/٢١) وزاد السيوطي في الدر (٥٦٦/٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه وفي الباب عن جابر بن عبدالله ومالك بن أنس والمقدام الكندي.

(٤٣١) وفي الطبري (١٢٢/٢١) [وأيما].

(٤٣٢) وفي الطبري (١٢٢/٢١) [فلورثته وعصبته].

(٤٣٣) وفي الطبري (١٢٢/٢١) [وأنا مولاه].

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ يعني من مات عنها رسول الله ﷺ من أزواجه هن كالأمهات في شيئين.

أحدهما: تعظيم حقهن.

الثاني: تحريم نكاحهن. وليس كالأمهات في النفقة والميراث.

واختلف في كونهن كالأمهات في المحرم وإباحة النظر على وجهين:

أحدهما: هن محرم لا يحرم النظر إليهن لتحريم نكاحهن.

الثاني: أن النظر إليهن محرم لأن تحريم نكاحهن إنما كان حفظاً لحق رسول الله ﷺ فيهن فكان من حفظ حقه تحريم النظر إليهن ولأن عائشة رضي الله عنها كانت إذا أرادت دخول رجل عليها أمرت أختها أسماء أن ترضعه ليصير ابناً لأختها من الرضاعة فيصير محرماً يستبيح النظر.

وأما اللاتي طلقهن رسول الله ﷺ في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة لهن على ثلاثة أوجه:

أحدها: تثبت لهن هذه الحرمة تغليباً لحرمة رسول الله ﷺ.

الثاني: لا يثبت لهن ذلك بل هذه كسائر النساء لأن النبي ﷺ قد أثبت عصمتهن وقال: أزواجي في الدنيا هن أزواجي في الآخرة[٤٣٤].

الثالث: أن من دخل بها رسول الله ﷺ منهن ثبتت حرمتها ويحرم نكاحها وإن طلقها حفاظاً لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم تثبت لها هذه الحرمة، وقد همّ عمر بن الخطاب برجم امرأة فارقها النبي ﷺ فنكحت بعده فقالت: لم هذا وما ضرب عليَّ رسول الله ﷺ حجاباً ولا سميت للمؤمنين أماً، فكف عنها.

وإذا كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين فيما ذكرناه فقد اختلف فيهن هل هن أمهات المؤمنات على وجهين:

أحدهما: أنهن أمهات المؤمنين والمؤمنات تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء.

الثاني: أن هذا حكم يختص بالرجال المؤمنين دون النساء لاختصاص الحظر

(٤٣٤) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

والإباحة بالرجال دون النساء. وقد روى الشعبي عن مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها يا أماه فقالت لست بأم لك أنا أم رجالكم(٤٣٥).

﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾.

قيل إنه أراد بالمؤمنين الأنصار، وبالمهاجرين قريشاً. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا ناسخ للتوارث بالهجرة حكى سعيد عن قتادة قال كان نزل في الأنفال ﴿وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ فتوارث المسلمون بالهجرة فكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً ثم نسخ ذلك في هذه السورة بقوله ﴿وَأُوْلُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

الثاني: أن ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمؤاخاة في الدين روى هشام بن عمرو عن أبيه عن الزبير بن العوام قال أنزل فينا خاصة معشر قريش والأنصار لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فآخيناهم فأورثونا وأورثناهم، فآخى أبو بكر خارجة بن زيد وآخيت أنا كعب بن مالك، فلما كان يوم أُحد قتل كعب بن مالك فجئت فوجدت السلاح قد أثقله فوالله لقد مات ما ورثه غيري حتى أنزل الله هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في القرآن، قاله قتادة.

الثاني: في اللوح المحفوظ الذي قضى أحوال خلقه، قاله ابن بحر.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾ يعني أن التوارث بالأنساب أولى من التوارث بمؤاخاة المؤمنين وبهجرة المهاجرين ما لم يختلف بالمتناسبين دين فإن اختلف بينهما الدين فلا توارث بينهما روى شهر بن(٤٣٦) حوشب عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَينِ».

---

(٤٣٥) أثر أم المؤمنين عائشة نسبه السيوطي في الدر (٦/٥٦٧) لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه وصححه الحافظ ابن كثير (٣/٤٧٧) وقال «وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه».

(٤٣٦) هذه الرواية ضعيفة بهذا السند لأن شهراً ضعيف كما سبق بيانه.

والحديث ورد من، رواية جابر وعبدالله بن عمرو بن العاص وعائشة رضي الله عنها وأسامة بن زيد

﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أراد الوصية للمشرك من ذوي الأرحام(٤٣٧)، قاله قتادة.

الثاني: أنه عنَى الوصية للحلفاء الذين آخىٰ بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، قاله مجاهد.

الثالث: أنه أراد الذين آخيتم تأتون إليهم معروفاً، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أنه عنى وصية الرجل لإخوانه في الدين، قاله السدي.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كان التوارث بالهجرة والمؤاخاة في الكتاب مسطوراً قبل النسخ.

والثاني: كان نسخه بميراث أولي الأرحام في الكتاب مسطوراً قبل التوارث.

الثالث: كان أن لا يرث مسلم كافراً في الكتاب مسطوراً.

وفي ﴿ٱلْكِتَابِ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: في اللوح المحفوظ، قاله إبراهيم التيمي.

الثاني: في الذكر، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: في التوراة أمر بني اسرائيل أن يصنعوا مثله في بني لاوي بن يعقوب حكاه النقاش.

الرابع: في القرآن، قاله قتادة.

وسأقتصر على رواية ابن عمرو فقد رواها أبو داود (٢٩١١) وابن ماجة (٢٧٣١) والبغوي في شرح السنة (رقم ٣٢٣٢) والدارقطني (٤/٧٥) وأحمد (٢/١٧٨، ١٩٥) وابن الجارود (٩٦٧) والبيهقي (٦/٢١٨) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وحسن العلامة الألباني الحديث في الإرواء (٦/١٢١).

وأما قول الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٢/٥١) بأن أصحاب السنن الأربعة رووه من طريق عمرو بن شعيب فإن هذا سهو منه رحمه الله فإن الترمذي لم يروه من هذه الطريق إنما رواه الترمذي رحمه الله برقم (٢١٠٨) من حديث جابر بن عبدالله وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٧٦١٣). وكذلك لم يرو الحديث النسائي من هذه الطريق في السنن التي بين أيدينا ثم وجدت أن الحافظ رحمه الله قد قال في بلوغ المرام وهذا التعبير أدق من قوله في الفتح والله أعلم. وأما حديث أبي أمامة فلم أهتد إلى من خرجه. وقد خرجت رواية عبدالله بن عمرو لأنها توافق رواية أبي أمامة التي ذكرها المؤلف في اللفظ.

(٤٣٧) وتمام كلام قتادة في الطبري (٢١/١٢٤) [ولا ميراث لهم].

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ميثاقهم على قومهم أن يؤمنوا بهم، قاله ابن عباس.

الثاني: ميثاق الأمم على الأنبياء أن يبلغوا الرسالة إليهم، قاله الكلبي.

الثالث: ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم(٤٣٨) بعضاً، قاله قتادة.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ روى قتادة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قال «كُنتُ أَوَّلَهُم فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُم فِي البَعْثِ»(٤٣٩).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الميثاق الغليظ تبليغ الرسالة.

الثاني: يصدق بعضهم بعضاً.

الثالث: أن يعلنوا أن محمداً رسول الله، ويعلن محمد أنه لا نبي بعده.

وفي ذكر من سمى من الأنبياء مع دخولهم في ذكر النبيين وجهان:

أحدهما: تفضيلاً لهم.

الثاني: لأنهم أصحاب الشرائع.

قوله تعالى: ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٤٣٨) وتمام كلامه في الطبري (٢١/١٢٥) [وأن يتبع بعضهم بعضاً].

(٤٣٩) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٢٦) كما في السلسلة الصحيحة (١٨٥٦) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٧٠) نسبته لأبي نعيم في الدلائل وللحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولفظه كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدىء به قبلهم.

وهذا السند ضعيف لأن فيه عنعنة قتادة والحسن وهما مدلسان.

وقد رواه ابن جرير (٢١/١٢٥) عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله كان يقول. . . فذكره وهذا معضل وقد عرفت من وصله. في أعلاه.

أحدها: ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، حكاه النقاش.

الثاني: ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم، حكاه النقاش ابن عيسى.

الثالث: ليسأل الأنبياء عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم، حكاه ابن شجرة.

الرابع: ليسأل الأفواه الصادقة عن القلوب المخلصة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس يعني يوم الأحزاب حين أنعم الله عليهم بالصبر ثُم بالنصر.

﴿إِذْ جَآءَتْكُم جُنُودٌ﴾ قال مجاهد: جنود الأحزاب أبو سفيان وعيينة بن حصين وطلحة بن خويلد وأبو الأعور السلمي وبنو قريظة.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمْ ريحاً﴾ قال مجاهد: هي الصَّبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم وروى ابن جبير عن ابن عباس قال: (٤٤٠) قال رسول الله ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا و أُهْلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ**» وكان من دعائه يوم الأحزاب(٤٤١) «**اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَورَتَنَا وآمِن رَوْعَتَنَا**» فضرب الله وجوه أعدائه بريح الصَبا.

---

(٤٤٠) رواه البخاري (٢/٤٣٢) ومسلم (رقم ٩٠٠) وأحمد (١/٢٢٨) والبغوي في شرح السنة (٤/٣٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٧٣) نسبة الحديث لابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وابن مردوية وأبي الشيخ في العظمة وأبي نعيم في الدلائل.

(٤٤١) رواه ابن جرير (٢١/١٢٧) وأحمد (٣/٣) وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر (٦/٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وفي سنده ربيح بن عبد الرحمن وقال البخاري فيه منكر الحديث الميزان (٢/٣٨) وربيح لقب واسمه

﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ قال مجاهد وقتادة: هم الملائكة.

وفي ما كان منهم أربعة أقاويل:

أحدها: تفريق كلمة المشركين وإقعاد بعضهم عن بعض.

الثاني: إيقاع الرعب في قلوبهم، حكاه ابن شجرة.

الثالث: تقوية نفوس المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم وأنها كانت نصرتهم بالزجر حتى جاوزت بهم مسيرة ثلاثة أيام فقال طلحة بن خويلد: إن محمداً قد بدأكم بالسحر فالنجاة النجاة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ يعني من حفر الخندق والتحرز من العدو.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي وهو أعلاه من قبل المشرق، جاء منه عوف بن مالك في بني نضر، وعيينة بن حصين في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب أسفل أي تحتاً من النبي ﷺ، جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش، وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شخصت(٤٤٢).

الثاني: مالت:

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي زالت عن أماكنها حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة. وقيل إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب

سعيد وفي سنده أيضاً الزبير بن عبدالله مولى عثمان قال الذهبي في الميزان: ليس بذاك (٢/ ٦٨) ونقل عن ابن معين أنه قال فيه: يكتب حديثه وقال الحافظ عنه في التقريب: مقبول.

(تنبيه) وقع في تفسير ابن كثير خطأ في اسم ربيح حيث سماه هناك ربيع بن عبد الرحمن وهذا خطأ وتحريف والصواب ربيح كما سبق.

والمؤلف قد أورد الحديث هنا بالمعنى ولفظ الحديث «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا على صيغة الجمع لا المفرد كما صنع المؤلف هنا ـ وهو الثابت في الطبري وغيره.

(٤٤٢) وهو قول قتادة كما رواه الطبري (٢١/ ١٣١) وابن أبي حاتم كما في الدر (٦/ ٥٧٦).

الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال يوم الخندق: يا رسول الله ﷺ هل تأمر بشيء تقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال: ﴿نعم قُولُواْ: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَنَا وَآمِنْ رَوْعَتَنَا»[٤٤٣] قال: فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزموا بها.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيما وعدوا به من نصر، قاله السدي.

الثاني: أنه اختلاف ظنونهم فظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، قاله الحسن.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالحصار، حكاه النقاش.

الثاني: بالجوع فقد أصابهم بالخندق جوع شديد، قاله الضحاك.

الثالث: امتحنوا في الصبر على إيمانهم وتميز المؤمنون عن المنافقين، حكاه ابن شجرة. وحكى ابن عيسى أن ﴿هُنَالِكَ﴾ للبعد من المكان، وهناك للوسط وهنا للقريب.

﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: حركوا بالخوف تحريكاً شديداً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه.

---

(٤٤٣) تقدم تخريجه والتنبيه على إيراد المؤلف إياه بالمعنى.

الثالث: أنه حركهم الأمر بالثبات والصبر، وهو محتمل.

الرابع: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المرض النفاق، قاله قتادة.

الثاني: أنه الشرك، قاله الحسن.

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ حكى السدي(٤٤٤) أن النبي ﷺ كان يحفر الخندق لحرب الأحزاب فبينا هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صفاة(٤٤٥) فطار منها كهيئة الشهاب من نار في السماء، وضرب الثاني فخرج مثل ذلك، وضرب الثالث فخرج مثل ذلك فرأى ذلك سلمان فقال له النبي ﷺ «رأيتَ ما خرَجَ في كُلّ ضَرْبَةٍ ضَرَبْتَهَا؟ قال: نعم يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: تُفْتَحُ لَكُمْ(٤٤٦) بِيضُ المَدَائِنِ وَقُصُورُ الرُّومِ وَمَدَائِنُ اليَمن» قال ففشا ذلك في أصحاب رسول الله ﷺ فتحدثوا به، فقال رجل من الأنصار يدعى قشير بن معتب. وقال غيره قشير بن عدي الأنصاري من الأوس: وعدنا محمد أن تفتح لنا مدائن اليمن وقصور الروم وبيض المدائن وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قتل؟ هذا والله الغرور فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين قيل إنهم من بني سليم، وقيل إنه من قول أوس بن فيظي(٤٤٧) ومن وافقه على رأيه، ذكر ذلك يزيد بن رومان، وحكى السدي أنه عبدالله بن أبي وأصحابه.

﴿يَـٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُم فَارْجِعُواْ﴾ قرأ حفص عن عاصم(٤٤٨) بضم الميم، والباقون بالفتح. وفي الفرق بينهما وجهان:

---

(٤٤٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (٥٧٧/٦) للسيوطي.

(٤٤٥) وفي الدر المنثور (٥٧٧/٦) [على صفا] والصفا هو الحجر الأملس.

(٤٤٦) وفي الدر (٥٧٧/٦) [تفتح لكم أبواب المدائن] بدلاً من بيض.

(٤٤٧) وقع هنا خطأ في الاسم وصوابه أوس بن «قيظي» وليس فيظي والتصحيح من تفسير ابن كثير (٤٨٢/٣) والدر المنثور (٥٧٩/٦).

(٤٤٨) انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٢٠.

أحدهما: وهو قول الفراء أن المقام بالفتح الثبات على الأمر، وبالضم الثبات في المكان.

الثاني: وهو قول ابن المبارك انه بالفتح المنزل وبالضم الإقامة.

وفي تأويل ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أي لامقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن.

الثاني: لامقام لكم على القتال فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

الثالث: لا مقام في مكانكم فارجعوا إلى مساكنكم، قال النقاش.

والمراد بيثرب المدينة وفيه قولان:

أحدهما: أن يثرب هي المدينة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أن المدينة في ناحية من يثرب، قاله أبو عبيدة وقد روى يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب(٤٤٩) قال رسول الله ﷺ: «مَن قَالَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ فَلْيَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ، هَي طَابَةُ» ثلاث مرات.

﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ قال السدي: الذي استأذنه منهم رجلان من الأنصار من بني حارثة، أحدهما أبو عرابة بن أوس، والآخر أوس بن فيظي(٤٥٠). قال الضحاك: ورجع ثمانون رجلاً بغير إذن.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قاصية من المدينة نخاف على عورة النساء والصبيان من السبي، قاله قتادة.

---

(٤٤٩) رواه الإمام أحمد (٤/٢٨٥) من حديث البراء بن عازب وأشار الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٤٨١) إلى تفرد الإمام أحمد بـه وقال إسناده ضعيف أ هـ.

قلت: لأن في سنده يزيد بن أبي زياد الهاشمي الكوفي وهو ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعياً من الخامسة (تقريب) والحديث ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم [٥٦٤٧] وقد ورد من حديث ابن عباس مرفوعاً ولفظه «لا تدعونها يثرب فإنها طيبة يعني المدينة ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة» ونسبه السيوطي في الدر (٦/٥٧٩) لابن مردويه والله أعلم بسنده.

(٤٥٠) سبق ضبط هذا الاسم وأنه أوس بن قيظي. بالقاف وليس بالفاء.

الثاني: خالية ليس فيها إلا العورة من النساء، قاله الكلبي والفراء، مأخوذ من قولهم قد اعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب قال الشاعر:

له الشدة الأولى إذا القرن أعورا.

الثالث: مكشوفة الحيطان نخاف عليها السراق والطلب، قاله السدي والعرب تقول قد أعور منزلك إذا ذهب ستره وسقط جداره وكل ما كره انكشافه فهو عندهم عورة، وقرأ ابن عباس: إن بيوتنا عَوِرة، بكسر الواو، أي ممكنة العورة.

ثم قال ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ تكذيباً لهم فيما ذكروه.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فراراً من القتل.

الثاني: من الدِّين. وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار من بني حارثة وبني سلمة، همّوا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم أنزل الله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] الآية. فلما نزلت هذه الآية قالوا: والله ما سرّنا ما كنا هممنا به إن كان الله ولينا.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي لو دخل على المنافقين من أقطار المدينة ونواحيها.

﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لأتوهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تلبثوا عن الإجابة إلى الفتنة إلا يسيراً، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما تلبثوا بالمدينة إلا يسيراً حتى يعدموا، قاله السدي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ الآية، فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم عاهدوه قبل الخندق وبعد بدر، قاله قتادة.

الثاني: قبل نظرهم إلى الأحزاب، حكاه النقاش.

الثالث: قبل قولهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا.

وحكي عن ابن عباس أنهم بنو حارثة.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مسئولاً عنه للجزاء عليه.

الثاني: للوفاء به.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾.

فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن أراد بكم هزيمة أو أراد بكم نصراً، حكاه النقاش.

الثاني: إن أراد بكم عذاباً أو أراد بكم خيراً، قاله قتادة.

الثالث: إن أراد بكم قتلاً أو أراد بكم توبة، قاله السدي.

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ يعني المثبطين من المنافقين. قيل إنهم عبدالله بن أُبي وأصحابه.

﴿وَٱلْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا.

الثاني: أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمداً فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحداً.

الثالث: ما حكاه ابن زيد أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ انصرف من عنده يوم

الأحزاب فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف فقال: أنت هكذا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال له أخوه وكان من أبيه وأمه. هلّم إليّ قد تُبع[٤٥١] بك وبصاحبك أي قد أحيط بك وبصاحبك، فقال له: كذبت والله لأخبرنه بأمرك وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحضرون القتال إلا كارهين وإن حضروه كانت أيديهم مع المسلمين وقلوبهم مع المشركين قاله قتادة.

الثاني: لا يشهدون القتال إلا رياء وسمعة، قاله السدي، وقد حكي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إنما قل لأنه كان لغير الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد.

الثاني: بالقتال معكم، قاله ابن كامل.

الثالث: بالغنائم إذا أصابوها، قاله السدي.

الرابع: أشحة بالنفقة في سبيل الله، قاله قتادة.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل، قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب، قاله ابن شجرة.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ خوفاً من القتال على القول الأول، ومن النبي ﷺ على القول الثاني.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تدور أعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

الثاني: تدور أعينهم لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٥١) وفي الدر (٦/ ٥٨٠) والطبري (٢١/ ١٣٩) [قد بلغ بك].

أحدهما: أي رفعوا أصواتهم عليكم بألسنة حداد أي شديدة ذربة، ومنه قول النبي ﷺ[٤٥٢] «لَعَنَ ٱللَّهُ السَّالِقَةَ وَالخَارِقَةَ والحَالِقَةَ» يعني بالسالقة التي ترفع صوتها بالنياحة والخارقة التي تخرق ثوبها في المصيبة وبالحالقة التي تحلق شعرها.

الثاني: معناه آذوكم بالكلام الشديد. والسلق الأذى، قاله ابن قتيبة. قال الشاعر:

ولقد سلقن هوازنا ... بنواهلٍ حتى انحنينا

وقال الخليل: سلقته باللسان إذا أسمعته ما يكره وفي سلقهم بألسنةٍ حداد وجهان:

أحدهما: نزاعاً في الغنيمة، قاله قتادة.

الثاني: جدالاً عن أنفسهم، قاله الحسن.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على قسمة الغنيمة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: على المال ينفقونه في سبيل الله، قاله السدي.

الثالث: على النبي ﷺ بظفره.

﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ يعني بقلوبهم.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني حسناتهم أن يثابوا عليها لأنهم لم يقصدوا وجه الله تعالى بها.

---

(٤٥٢) حديث ليس منا من حلق وخرق وسلق.

والذي ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً لعن رسول الله من حلق أوخرق أوسلق. رواه ابن حبان برقم (٣١٤٤).

وله شاهد من حديث أبي أمامة رواه أيضاً برقم (٣١٤٦) ولفظه أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٠٩٢.

وورد الحديث بلفظ أنا بريء.

رواه البخاري (٣٢٦/١) ومسلم (٧٠/١) وأبو عوانة (٥٧/١) وأبو داود (٣١٣٠) والنسائي (٢٦٣/١) وابن ماجه (١٥٨٦) وابن أبي شيبة (١٠٧/٤) والبيهقي (٦٤/٤) وأحمد (٣٩٦/٤، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٦) وابن حبان (٣١٣٩).

وورد من حديث ابن مسعود مرفوعاً بلفظ ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب (ودعا بدعوى الجاهلية وهو في الصحيحة وغيرها.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وكان نفاقهم على الله هيناً.

الثاني: وكان إحباط عملهم على الله هيناً.

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ يعني أن المنافقين يحسبون أبا سفيان وأحزابه من المشركين حين تفرقوا عن رسول الله ﷺ مغلوبين لم يذهبوا عنه وأنهم قريب منهم ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا على ذلك لبقاء خوفهم وشدة جزعهم.

الثاني: تصنعاً للرياء واستدامة التخوف.

﴿وَإِنَ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه من المشركين.

﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي يود المنافقون لو أنهم في البادية مع الأعراب حذراً من القتل وتربصاً للدوائر.

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أي عن أخبار النبي ﷺ وأصحابه يتحدثون: أما هلك محمد وأصحابه، أما غلب أبو سفيان وأحزابه.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَا قَاتَلُواْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا كرهاً.

الثاني: إلا رياءً.

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي مواساة عند القتال، قاله السدي.

الثاني: قدوة حسنة يتبع فيها. والأسوة الحسنة المشاركة في الأمر يقال هو مواسيه بماله إذا جعل له نصيباً.

وفي المراد بذلك وجهان:

أحدهما: الحث على الصبر مع النبي ﷺ في حروبه.

الثاني: التسلية لهم فيما أصابهم فإن النبي ﷺ شُج و كُسِرَت رباعيته وقتل عمه حمزة.

﴿لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر، قاله ابن عيسى.

الثاني: لمن كان يرجو الله بإيمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، قاله ابن جبير.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي استكثر من العمل بطاعته تذكراً لأوامره.

الثاني: أي استكثر من ذكر الله خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين:

أحدهما: المنافقون عطفاً على ما تقدم من خطابهم.

الثاني: المؤمنون لقوله: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾

واختلف في هذه الأسوة بالرسول هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب على قولين:

أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب.

ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ...﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أن الله وعدهم في سورة البقرة فقال ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية. فلما رأوا أحزاب المشركين يوم الخندق ﴿قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قاله قتادة.

الثاني: ما رواه كثير بن عبدالله بن عمرو المزني عن أبيه[٤٥٣] عن جده قال خطب رسول الله ﷺ عام ذكرت الأحزاب فقال: «**أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيهَا يَعْنِي قُصُورِ الحِيرَةِ وَمَدَائِنِ كِسرَىٰ فَأَبْشِرُوا بِالنَّصْرِ**»، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ الآية.

﴿**. . . إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلا إيماناً وتسليماً للقضاء، قاله الحسن.

الثاني: إلا إيماناً بما وعد الله وتسليماً لأمر الله.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَاهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم بايعوا الله على ألا يفرُّوا، فصدقوا في لقائهم العدو يوم أحد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم قوم لم يشهدوا بدراً فعاهدوا الله ألا يتأخروا عن رسول الله ﷺ في حرب يشهدها أو أمر بها، فوفوا بما عاهدوا الله عليه، قاله أنس بن مالك.

﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فمنهم من مات ومنهم من ينتظر الموت، قاله ابن عباس ومنه قول بشر بن أبي خازم:

قضى نحب الحياة وكلُّ حي ... إذا يُدْعى لميتته أجابا

---

(٤٥٣) سنده ضعيف لضعف كثير بن عبدالله المزني وقد قال الإمام الشافعي عنه: ركن من أركان الكذب.

وقد صحت أحاديث أخرى تدل على ظهور المسلمين على ملك فارس والروم وقد وقعت كما أخبر رسول الله ﷺ بعد موته. منها حديث إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وقد فتح المسلمون المدائن في وقعة القادسية والروم في وقعة اليرموك.

الثاني: فمنهم من قضى عهده قتل أو عاش، ومنهم من ينتظر أن يقضيه بقتال أو صدق لقاء، قاله مجاهد.

الثالث: فمنهم من قضى نذره ومنه قول الراعي:

حتى تحنّ إلى ابن أكرمها حسباً وكن منجز النحب

فيكون النحب على التأويل الأول الأجل، وعلى الثاني العهد، وعلى الثالث النذر.

﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما غيروا كما غير المنافقون، قاله ابن زيد(٤٥٤).

الثاني: ما بدلوا ما عاهدوا الله عليه من الصبر ولا نكثوا بالفرار، وهذا معنى قول الحسن.

قوله: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الذين صدقوا لما رأوا الأحزاب ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية.

الثاني: الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من قبل فثابوا ولم يغيروا.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعذبهم إن شاء ويخرجهم من النفاق(٤٥٥) إن شاء، قاله قتادة.

الثاني: يعذبهم في الدنيا إن شاء أو يميتهم على نفاقهم فيعذبهم في الآخرة إن شاء(٤٥٦)، قاله السدي.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال السدي يخرجهم من النفاق بالتوبة حتى يموتوا وهم تائبون. (٤٥٧).

---

(٤٥٤) وعبارة ابن زيد في الطبري (٢١/١٤٨) [لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون].

(٤٥٥) وتمام عبارة قتادة في الطبري (٢١/١٤٨) [من النفاق إلى الإيمان].

(٤٥٦) قال الحافظ ابن كثير (٣/٤٨٥) في قوله ﴿ويعذب المنافقين﴾ هم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورأفته هي الغالبة لغضبه قال ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

(٤٥٧) **فائدة**: إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ وهل يجوز ألا يشاء تعذيب المنافق فيقال ويعذبه إن شاء فالجواب إنما معنى ذلك ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء فيستوجبوا بذلك العذاب فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم أهـ. بتصرف من تفسير الطبري (٢١/١٤٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: غفوراً بالتوبة رحيماً بالهداية إليها.

الثاني: غفوراً لما قبل التوبة رحيماً لما بعدها.

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ يعني أبا سفيان وجموعه من الأحزاب.

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بحقدهم.

الثاني: بغمّهم.

﴿لَمْ يَنَالُواْ خيراً﴾ قال السدي لم يصيبوا من محمد وأصحابه ظفراً ولا مغنماً.

﴿وكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه. حكى سفيان الثوري عن زيد عن مرة قال(٤٥٨) أقرأنا ابن مسعود هذا الحرف: ﴿وكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بعلي بن أبي طالب.

الثاني: بالريح والملائكة، قاله قتادة والسدي.

﴿وكَانَ ٱللَّهُ قَوِياً﴾ في سلطانة. ﴿عَزِيزاً﴾ في انتقامه.

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾ هم بنو قريظة من اليهود ظاهروا أبا سفيان ومجموعة من الأحزاب على رسول الله ﷺ أي عاونوه والمظاهرة

---

(٤٥٨) نسبه في الدر (٦/٥٩٠) لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

هي المعاونة. وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه فغزاهم بعد ستة عشر يوماً من الخندق قال قتادة نزل عليه جبريل وهو عند زينب بنت جحش يغسل رأسه فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهد إلى بني قريظة فإني قد قلعت أوتادهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال(٤٥٩) فسار إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى نزلوا على التحكيم في أنفسهم.

وفيمن نزلوا على حكمه قولان:

أحدهما: انهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم أن يقتل مقاتلوهم ويسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقال قومه: آثرت المهاجرين بالعقار علينا، فقال: إنكم ذوو عقار وليس للمهاجرين فكبّر رسول الله ﷺ وقال **«قُضِيَ فِيهِم(٤٦٠) بِحُكْمِ ٱللَّهِ»** قاله قتادة(٤٦١).

الثاني: أنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يحكموا سعداً لكن أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فقال: **«أَشِر عَلَيَّ فِيهِم»** فقال: لو وليتني أمرهم لقتلت مقاتليهم ولسبيت ذراريهم ولقسمت أموالهم فقال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ أَشَرتَ عَلَيَّ فِيهِم بِالَّذِي أَمَرَنِي ٱللَّهُ بِهِ»** وروي ذلك عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبيه.

﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم قال الشاعر:(٤٦٢).

---

(٤٥٩) يعني تركهم في اضطراب وهياج واختلاط وتشتت من الأمر.

(٤٦٠) وفي الطبري (٢١/ ١٥٠) [قضى فيكم بحكم الله].

(٤٦١) رواه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٤٠) من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال..... الحديث.
قال الشيخ الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٣/ ١٣٤) مرسل صحيح.
قلت: ورواه الطبري (٢١/ ١٥٣).
وورد الحديث من مسند عائشة رضي الله عنها رواه أحمد (٦/ ١٤١، ١٤٢) وحسنه الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣) والهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٨) والألباني في السلسلة الصحيحة (برقم ٦٧).
وورد من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢ والحاكم (٢/ ١٢٤) وصححه ووافقه الذهبي والنسائي كما في العلو للذهبي وصححه الحافظ الذهبي هناك انظر مختصر العلو ص ٨٧ وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤٦٢) هو لعبد بن الحسحاس لكن في اللسان مادة صيص.

فأصبحت النسوان عقرى وأصبحت نساء تميم يبتدرْن الصياصيا.

وسميت بذلك لامتناعهم بها، ومنه سميت قرون البقر صياصي لامتناعها بها، وسميت شوكة الديك التي في ساقه صيصية.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ قال قتادة بصنيع جبريل بهم.

﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ حكى عطية القرظي أنهم عُرضوا على النبي[٤٦٣] ﷺ يوم بني قريظة فمن كان احتلم أو نبتت عانته قتل، فنظروا إليّ فلم تكن نبتت عانتي فتركت فقيل إنه قتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً وهم الذين عناهم الله بقوله ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ وسبى سبعمائة وخمسين رجلاً وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ وقال قتادة: قتل أربعمائة وسبى سبعمائة.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم﴾ يريد بالأرض النخل والمزارع، وبالديار المنازل وبالأموال المنقولة.

﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها مكة، قاله قتادة.

الثاني: خيبر، قاله السدي وابن زيد.

الثالث: فارس والروم، قاله الحسن.

الرابع: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عكرمة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قديرٌ، قاله ابن اسحاق.

الثاني: على ما أراد أن يفتحه من الحصون والقرى، قدير، قاله النقاش.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

فأصبحت الثيران غرقى.... ووقع في فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٤).

فأصبحت الثيران صرعى....

(٤٦٣) رواه أبو داود (٤٤٠٤) والترمذي (١٥٨٤) والنسائي (٦/١٥٥) وابن ماجة (٢٥٤١) وأحمد في المسند (٥/٣١١) من طرق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي وقال الترمذي: حسن صحيح.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية.

وهذا أمر من الله لنبيه أن يخبر[٤٦٤] أزواجه. واختلف أهل التأويل في تخييره لهن على قولين:

أحدهما: خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه خيّرهن بين الطلاق أو المقام معه[٤٦٥]، وهذا قول عائشة رضي الله عنها وعكرمة والشعبي ومقاتل.

روى عبدالله[٤٦٦] بن أبي ثور عن ابن عباس قال: قالت عائشة[٤٦٧] رضي الله عنها: أنزلت آية التخيير فبدأني أول امرأة من نسائه، فقال «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً وَلاَ عَلَيك أَلَّا تَعْمَلِي حَتَّى تَسْتأْمِرِي أَبَوَيكِ»، وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم تلا آية التخيير فقالت أفي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل قولي. وقال سعيد بن جبير: إلا الحميرية فإنها اختارت نفسها.

واختلف في السبب الذي لأجله خير رسول الله ﷺ نساءه على خمسة أقاويل:

أحدها: لأن الله تعالى خير نبيه بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا وقال:[٤٦٨] «اللَّهُمَّ آحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِينَاً وَآحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ

---

(٤٦٤) هذا خطأ من الناسخ والصواب أن يخير أزواجه والله أعلم.

(٤٦٥) وقد جمع الحافظ رحمه الله بينهما جمعاً حسناً في الفتح (٥٢١/١) قال «والذي يظهر الجمع بين القولين لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر وكأنهن خُيِّرن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكهن وهو مقتضى سياق الآية.

(٤٦٦) هذا خطأ هنا في اسم الراوي وصوابه «روى عبيدالله بن عبدالله بن أبي ثور وقد وقع الخطأ أيضاً في ابن كثير (٤٨٩/٣) فليصحح والتصحيح من البخاري وغيره.

(٤٦٧) هذه الرواية من هذا الطريق رواها ابن ابي حاتم كما افاد الحافظ في الفتح (٢٧٩/٩) ورواها البخاري (٢٧٨/٩) عن ابن عباس عن عمر وقد ورد عن عائشة من طريق أخرى رواها البخاري (٥٢٠/٨) ومسلم (رقم ١٤٧٥) والترمذي (٣٢٠٤) وابن جرير (١٥٨/٢١) وزاد السيوطي في الدر (٥٩٥/٦) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الترمذي حسن صحيح وورد من حديث جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٤٦٨) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١١١/٤) من حديث أبي سعيد الخدري وفي

المَساكِين» فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكنَّ على مثل حاله إن كان اختيارهن مثل ما اختاره. حكاه أبو القاسم الصيمري.

الثاني: لأنهن تغايرن عليه، فروت عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: حلف رسول الله ﷺ ليهجرنّنا شهراً فدخل عليّ بعد صبحة تسعة وعشرين، فقلت يا رسول الله: ألم تكن حلفت لتهجرنا شهراً؟ فقال: «**إن الشهر هكذا وهكذا وهكذا**، ثم خنس الإبهام، ثم قال يا عائشة: **إنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً وَلاَعَلَيْكِ أَن لاَّ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَشِيري أَبَويكِ**؟ وخشي حداثة سني[٤٦٩] قلت: وما ذاك؟ قال أُمِرْتُ أَن أُخَيِّرَكُنَّ».

الثالث: أن أزواجه طالبنه وكان غير مستطيع فكان أوّلهن أم سلمة فسألته ستراً معلماً، فلم يقدر عليه، وسألته ميمونة حلة يمانية، وسألته زينب بنت جحش ثوباً مخططاً وهو البرد اليماني، وسألته أم حبيبة ثوباً سحولياً، وسألته حفصة ثوباً من ثياب مصر، وسألته جويرية معجزاً، وسألته سودة قطيفة جبيرية، وكل واحدة منهن طلبت نصيباً إلا عائشة لم تطلب شيئاً، فأمر الله تعالى بتخييرهن، حكاه النقاش.

الرابع: لأن أزواجه اجتمعن يوماً فقلن: نريد ما تريد النساء من الحلي والثياب حتى قال بعضهن: لو كنا عند غير النبي ﷺ إذن لكان لنا شأن وثياب وحلي، فأنزل الله تعالى آية التخيير، حكاه النقاش.

الخامس: لأن الله تعالى صان خلوة نبيه فخيرهن على ألا يتزوجن بعده، فلما أَجَبْنَ إلى ذلك أمسكهن. قال مقاتل بن حيان: قاله الحسن وقتادة: وكان تحته يومئذ

سنده أبو المبارك وهو مجهول كما في التقريب وفيه أيضاً يزيد بن سنان ضعفه الجمهور وقال البخاري فيه مقارب الحديث وللحديث شواهد من حديث أنس وأبي قتادة وعبادة بن الصامت وابن عباس ولهذا صحح الحديث العلامة العلائي وابن حجر الفقيه وحسنه الألباني انظر الإرواء (٣٦٣/٣) وأما هذه المسكنة التي سألها رسول الله من ربه هي بمعنى الإخبات والتواضع لا الفقر وقد نبه على ذلك غير واحد من العلماء منهم الإمام البيهقي كما نقله ابن حجر في التلخيص (ص ٢٢٥) وكذلك ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١١٥.

ومن هذا يتبين أن ما ذهب إليه العلامة المعلمي في تعليقه على الفوائد المجموعة من الحكم على الحديث بالوضع لا يصح بدعوى أن يخالف القرآن. (انظر ما كتبه في الفوائد ص ٢٤٢).

(٤٦٩) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥٩٦/٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢/٨) قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك لعارض فإذا استشارت أبويها أوضحا لها ما في ذلك من المفسدة وما في مقابله من المصلحة» أهـ.

تسع سوى الحميرية، خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة، هؤلاء خمس من قريش، وكان تحته صفية بنت حيي بن أخطب الحميرية(٤٧٠)، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. فلما اخترنه والصبر معه على ما يلاقيه من شدة ورخاء عوضهن الله تعالى على صبرهن بأمرهن بأمرين:

أحدهما: بأن يجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ تعظيماً لحقوقهن وتأكيداً لحرمتهن.

الثاني: أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال ﴿لَا يَحِلُّ لك النِّسَاءُ مِن بَعد..﴾ الآية. فكان تحريم طلاقهن مستداماً. وأما تحريم التزويج عليهن فقد كان ذلك لما كان النبي ﷺ في شدته وقلة مكنته.

ثم اختلف الناس بعد سعة الدنيا عليه هل أحل الله له النساء على قولين:

أحدهما: أنه كان تحريمه عليهن باقياً لأن الله تعالى جعله جزاء لصبرهن.

الثاني: أن الله تعالى أحل له النساء أن يتزوج عليهن عند اتساع الدنيا عليه، لأن علة التحريم الضيق والشدة، فإذا زالت زال موجبها. قالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء، يعني اللاتي حظرن عليه، وقيل أن الناسخ لتحريمهن قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية.

فأما غير رسول الله ﷺ فلا يلزمهم تخيير نسائهم فإن خيروهن فقد اختلف الفقهاء في حكمهن على ثلاثة مذاهب:

أحدها: إن اخترن الزوج فلافرقة، وإن اخترن انفسهن كانت تطليقة رجعية، وهذا قول الزهري وعائشة والشافعي.

الثاني: إن اخترن الزوج فهي تطليقة وله الرجعة، وإن اخترن أنفسهن فهي تطليقة بائن والزوج كأحد الخطاب، وهذا قول عليّ رضي الله عنه.

الثالث: إن اخترن الزوج فهي تطليقة والزوج كأحد الخطاب، وإن اخترن أنفسهن فهي ثلاث ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا قول زيد بن ثابت(٤٧١).

(٤٧٠) وفي الطبري (٢١/١٥٧) والدر المنثور (٦/٥٩٧) [الخيبرية].

(٤٧١) ورجح العلامة الشوكاني الأول في فتح القدير (٤/٢٧٦) وقال عن القول الثالث «ليس له وجه».

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: الزنى، قاله السدي.

الثاني: النشوز وسوء الخلق، قاله ابن عباس.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا[٤٧٢] الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. قاله قتادة.

الثاني: أنهما عذابان في الدنيا لعظم جرمهن بأذية رسول الله ﷺ.

قال مقاتل: حدّان في الدنيا غير السرقة.

وقال أبو عبيدة[٤٧٣] والأخفش: الضعفان أن يجعل الواحد ثلاثة، فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف الواحد اثنان فكان ضِعْفا الواحد ثلاثة.

وقال ابن قتيبة: المراد بالضعف المثل فصار المراد بالضعفين المثلين.[٤٧٤]

وقال آخر: إذا كان ضعف الشيء مثليه وجب أن يكون ضعفاه أربعة أمثاله.

قال سعيد بن جبير: فجعل عذابهن ضعفين، وجعل على من قذفهن الحد ضعفين.

---

(٤٧٢) فائدة واعلم أن الشرط المذكور في الآية لا يقتضي الوقوع وذلك كقوله ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [الزخرف: ٨١].

وقوله عن الأنبياء ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ الأنعام: ١٨ وقوله ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لإن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥].

(٤٧٣) قال العلامة الشوكاني (٤/ ٢٧٦ فتح القدير) «قوله ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي يعذبهن مثلي عذاب غيرهن من النساء وإذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات.

(٤٧٤) واستضعف هذا القول العلامة ابن جرير في تفسيره (٢١/ ١٥٩) ونقل العلامة الشوكاني (٤/ ٢٧٦) عن النحاس قوله «وهذه التفرقة لا يعرفها أحد من أهل اللغة» يعني التفرقة بين يضاعف ويضعف في المعنى. بل معناهما واحد.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ أي هيناً.

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي تُطِع الله ورسوله والقنوت الطاعة.

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾ أي فيما بينها وبين ربها.

﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتين﴾ أي ضعفين، كما كان عذابها ضعفين. وفيه قولان:

أحدهما: أنهما جميعاً في الآخرة.

الثاني: أن أحدهما في الدنيا والآخر في الآخرة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا، لكونه واسعاً حلالاً.

الثاني: في الآخرة وهو الجنة.

﴿كَرِيماً﴾ لكرامة صاحبه، قاله قتادة.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ لَسْتنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ﴾ قال قتادة: من نساء هذه الأمة.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ قال مقاتل: إنكن أحق بالتقوى من سائر النساء.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: معناه فلا ترقفن بالقول.

الثاني: فلا ترخصن بالقول، قاله ابن عباس.

الثالث: فلا تُلِن القول، قاله الفراء.

الرابع: لا تتكلمن بالرفث، قاله الحسن. قال متمم.

ولستُ إذا ما أحدث الدهر نوبة   عليه بزوّار القرائب أخضعا

الخامس: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب.

السادس: هو ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال، قاله ابن زيد.

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شهوة الزنى والفجور، قاله عكرمة والسدي.

الثاني: أنه النفاق، قاله قتادة. وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: صحيحاً، قاله الكلبي.

الثاني: عفيفاً، قاله الضحاك.

الثالث: جميلاً.

قوله عزوجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئت على وجهين:

أحدهما: بفتح القاف، قرأها نافع وعاصم. وتأويلها اقررن في بيوتكن، من القرار في المكان.

الثانية: بكسر القاف[٤٧٥]: قرأها الباقون. وتأويلها كن أهل وقار وسكينة.

﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلأُولَى﴾ وفيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح.

الثاني: كانت لهن مشية تكسرٍ وتغنج، فنهاهن عن ذلك، قاله قتادة، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال[٤٧٦] «المَائِلاتُ المُمِيلاتُ: ٱللَّائِي يَسْتَمِلْنَ قُلوبَ ٱلرِّجَالِ إِلَيهِنَّ».

الثالث: أنه كانت المرأة تمشي بين يدي الرجل، فذلك هو التبرج، قاله مجاهد.

---

(٤٧٥) الحجة في القراءات ص ٥٧٧ زاد المسير (٦/ ٣٧٩).

(٤٧٦) جزء من حديث رواه مسلم (٤/ ٢١٩٢ ـ ٢١٩٣) وأحمد (٢/ ٣٥٦ ـ ٤٤٠) والمؤلف رحمه الله قد فسر هذه اللفظة.

الرابع: هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشده ليواري قلائدها وعنقها وقرطها، ويبدو ذلك كله منها، فذلك هو التبرج. قال مقاتل بن حيان.

الخامس: أن تبدي من محاسنها ما أوجب الله تعالى عليها ستره، حكاه النقاش وأصله من برج العين وهو السعة فيها.

وفي ﴿ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي وابن أبي نجيح.

الثاني: زمان إبراهيم، قاله مقاتل والكلبي، وكانت المرأة في ذلك الزمان تلبس درعاً مفرجاً ليس عليها غيره وتمشي في الطريق، وكان زمان نمرود.

الثالث: أنه ما بين آدم ونوح عليهما السلام ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما تكون النساء، ورجالهم حسان، وكانت المرأة تريد الرجل على نفسها، فهو تبرج الجاهلية الأولى: قاله الحسن.

الرابع: أنه ما بين نوح وإدريس[٤٧٧]. روى عكرمة عن ابن عباس أن الجاهلية الأولى كانت ألف سنة. وفيه قولان:

أحدهما: أنه كانت المرأة في زمانها تجمع زوجاً وخلما، والخلم الصاحب، فتجعل لزوجها النصف الأسفل ولخلمها نصفها الأعلى، ولذلك يقول بعض الخلوم:

فهل لك في البدال أبا خبيب   فأرضى بالأكارع والعجُوز

الثاني: وهو مبدأ الفاحشة، وهو أن بطنين من بني آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وأن إبليس اتخذ لهم عيداً فاختلط أهل السهل بأهل الجبل فظهرت الفاحشة فيهم، فهو تبرج الجاهلية الأولى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾وفي الرجس ها هنا ستة أقاويل:

أحدها: الإثم، قاله السدي.

الثاني: الشرك، قاله الحسن.

(٤٧٧) أورده الحافظ في الفتح (٨/٣٨١) من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقال إسناده قوي.

الثالث: الشيطان، قاله ابن زيد.

الرابع: المعاصي.

الخامس: الشك.

السادس: الأقذار.

وفي قوله تعالى ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ـ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم[٤٧٨]، قاله أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم.

الثاني: أنه عنى أزواج النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثالث: أنها في الأهل والأزواج، قاله الضحاك.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الإثم، قاله السدي.

الثاني: من السوء، قاله قتادة.

الثالث: من الذنوب، قاله الكلبي. ومعانيها متقاربة.

وفي تأويل هذه الآية لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه:

أحدها: يذهب عنكم رجس الأهواء والتبرج ويطهركم من دنس الدنيا والميل إليها.

الثاني: يذهب عنكم رجس الغل والحسد، ويطهركم بالتوفيق والهداية.

الثالث: يذهب عنكم رجس البخل والطمع ويطهركم بالسخاء والإيثار. روى أبو ليلى الكندي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو في بيتها على منام له، عليه كساء خيبري.

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: السنة[٤٧٩]، قاله قتادة.

الثاني: الحلال والحرام والحدود، قاله مقاتل.

---

(٤٧٨) وفي ذلك أحاديث كثيرة مشهورة منها حديث الكساء رواه الترمذي وصححه وقد أورد الحافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث في فضائل أهل البيت راجعها في التفسير (٣/٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٤٧٩) وهو الصواب ولا ينافيه القول الثاني فإن السنة تشتمل على أحكام الحلال والحرام أيضاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ قال عطية العوفي: لطيفاً باستخراجها خبيراً بموضعها.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه يحيى بن عبدالرحمن عن أم سلمة قالت: (٤٨٠) يارسول الله ما للرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر النساء؛ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ﴾ ـ الآية وفيها قولان:

أحدهما: يعني بالمسلمين والمسلمات المتذللين والمتذللات. وبالمؤمنين والمؤمنات المصدقين والمصدقات.

الثاني: أنهما في الدين، فعلى هذا في الإسلام والإيمان قولان:

أحدهما: أنهما واحد في المعنى وإن اختلفا في الأسماء(٤٨١).

الثاني: أنهما مختلفان على قولين:

أحدهما: أن الإسلام الإقرار باللسان، والإيمان التصديق به، قاله الكلبي.

---

(٤٨٠) تقدم تخريجه في سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ ونزيد هنا أن الحاكم رواه (٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

ورواه ابن جرير (٢٢ / ١٠) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات... الحديث.

(٤٨١) والتحقيق أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإذا ذكر الإيمان والإسلام في حديث أو آية فسر الأول بالاعتقادات الباطنة وفسر الثاني بالاعمال الظاهرة. وإذا ذكر الإسلام مفرداً دخل فيه الإيمان وكذا العكس وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إثبات هذه المسألة في كتابه الفذ الإيمان فراجعه فإنه لا نظير له في بابه.

الثاني : أن الإسلام هو اسم الدين والإيمان هو التصديق به والعمل عليه .

﴿وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المطيعين والمطيعات ، قاله ابن جبير .

الثاني : الداعين والداعيات .

﴿وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الصادقين في إيمانهم والصادقات ، قاله ابن جبير .

الثاني : في عهودهم .

﴿وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على أمر الله ونهيه ، قاله ابن جبير .

الثاني : في البأساء والضراء .

﴿وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : المتواضعين والمتواضعات ، قاله ابن جبير .

الثاني : الخائفين والخائفات : قاله يحيى بن سلام وقتادة .

الثالث : المصلين والمصليات ، قاله الكلبي .

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المتصدقين والمتصدقات بأنفسهم في طاعة الله .

الثاني : بأموالهم . ثم فيه وجهان :

أحدهما : المؤدين الزكوات المفروضات .

الثاني : المتطوعين بأداء النوافل بعد المفروضات ، قاله ابن شجرة .

﴿وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الإمساك عن المعاصي والقبائح .

الثاني : عن الطعام والشراب وهو الصوم الشرعي . وفيه وجهان :

أحدهما : صوم الفرض .

الثاني : شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر ، قاله ابن جبير . وروي عن النبي ﷺ أنه قال[٤٨٢] «صَومُ الشَّهْرِ وَثَلاثَةُ أَيَّامٍ يُذْهِبْنَ وَغْرَ الصَّدْرِ» .

﴿وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَٱلْحَافِظَاتِ﴾ فيه وجهان :

---

(٤٨٢) جزء من حديث رواه مسدد مرسلاً عن مجاهد كما نقله الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٣٠٣) =

أحدهما: عن الفواحش.

الثاني: أنه أراد منافذ الجسد كلها فيحفظون أسماعهم عن اللغو والخنا، وأفواههم عن قول الزور وأكل الحرام. وفروجهم عن الفواحش.

﴿وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ﴾ فيهم ثلاثة أوجه:

أحدها: باللسان قاله يحيى بن سلام.

الثاني: التالون لكتابه، قاله ابن شجرة.

الثالث: المصلين والمصليات، حكاه النقاش.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ لعملهم، قاله ابن جبير، قال قتادة: وكانت هذه الآية أول آية نزلت في النساء فذكرن بخير.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها نزلت في زينب بنت جحش خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله بن جحش وأنهما ولدا عمة رسول الله ﷺ أمهما أميمة بنت عبد المطلب وأن زيداً كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت: أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. قال مقاتل: ساق إليها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً من طعام وعشرة أمداد من تمر.

الثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ قال «قَدْ قَبِلْتُ» فزوجها زيد بن حارثة فسخطت

= ونقل محقق المطالب عن البوصيري قوله رواه مسدد مرسلاً والنسائي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ا هـ وقلت ولفظه في النسائي (٤/٢٠٤) أمرني رسول الله ﷺ بركعتي الضحى وأن لا أنام إلا على وتر وصيام ثلاثة أيام من الشهر.

هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

﴿وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ فيه قولان:

أحدهما: فقد جار جوراً مبيناً، قاله ابن شجرة.

الثاني: فقد أخطأ خطأً طويلاً، قاله السدي ومقاتل.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ قال قتادة والسدي وسفيان هو زيد بن حارثة وفيه وجهان: (٤٨٣)

أحدهما: أنعم الله عليه لمحبة رسوله وأنعم الرسول عليه بالتبني.

الثاني: أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه الرسول ﷺ بالعتق.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني زينب بنت جحش، قاله الكلبي، أتى النبي ﷺ منزل زيد زائراً فأبصرها قائمة فأعجبته فقال: «سُبْحَانَ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ» فلما سمعت زينب منه ذلك جلست قال أبو بكر بن زياد: وجاء زيد إلى قوله فذكرت له ذلك فعرف أنها وقعت في نفسه فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كِبْراً وإنها لتؤذيني بلسانها فقال له رسول الله ﷺ «آتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» وفي قلبه ﷺ غير ذلك.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

---

(٤٨٣) وهذا الوجه ليس بشيء وفيه نسبة ما لا يليق بجناب رسول الله ﷺ وقد ورد في ذلك آثار كلها لا تصلح فهي إما مراسيل أو منقطعات لا حجة فيها ولهذا قال الحافظ في الفتح (٨/٣٨٤): وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين ولا ينبغي التشاغل بها» اهـ ولنا في إبطال هذه الآثار المشار اليها رسالة بعنوان «سل الحسام لنصرة خير الأنام» يسر الله طبعها.

أحدها: أن الذي أخفاه في نفسه ميله إليها.

الثاني: إشارة لطلاقها، قاله ابن جريج.

الثالث: أخفى في نفسه إن طلقها زيد تزوجها.

الرابع: أن الذي أخفاه في نفسه أن الله أعلمه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، قاله الحسن[٤٨٤].

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن نبي الله خشي قالة الناس، قاله قتـادة.

الثاني: أنه خشي أن يبديه للناس فأيّد الله سره، قاله مقاتل بن حيان.

قال الحسن: ما نزلت على النبي ﷺ آية أشد عليه منها.

وقال عمر بن الخطاب: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية التي أظهرت غيبه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الوطر الأرب المنتهي وفيه هنا قولان:

أحدهما: أنه الحاجة، قاله مقاتل.

الثاني: أنه الطلاق، قاله قتـادة.

قال يحيى بن سلام: فدعا رسول الله ﷺ زيد فقال له «**آئتِ زَينبَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ زَوَّجْنِيهَا**» فانطلق زيد فاستفتح الباب فقالت من هذا؟ فقال: زيد قالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلقني؟ فقال إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ ففتحت له فدخل عليها وهي تبكي فقال زيد: لا أَبْكَىٰ الله لَكِ عيناً قد كنت نعمت المرأة إن كنت لتبرين قسمي وتطيعين أمر الله وتشبعين مسرتي فقد أبدلك الله خيراً مني فقالت: من لا أبا لك؟ قال: رسول الله ﷺ فخرت ساجدة لله تعالى قال الضحاك: فتزوجها رسول الله ﷺ وكان يومئذ في عسرة فأصدقها قِرْبَةً وعَبـاءَةً

---

(٤٨٤) وهو الصواب مر القول في ذلك وقد رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي رحمه الله وصحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٣٨٤) وقال: «والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمرلا أبلغ في الإبطال منه وهو التزوج امراة الذي يدعي ابناً ووقوع ذلك من إمام المسلمين يكون أدعى لقبولهم إنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم ا هـ.

ورحى اليد ووسادة حَشْوُهَا ليف وكانت الوليمة تمراً وسُوَيقاً. قال أنس فجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن(٤٨٥). قال قتادة: (٤٨٦): فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ تقول أنتن زوجكن آباؤكن وأما أنا فزوجني ربُّ العرش تبارك وتعالى.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً﴾ حكى ابن سلام أن المشركين قالوا للنبي ﷺ زعمت أن حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد فقال الله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ أي أن زيداً دعيٌّ وليس بابن من الصلب فلم يحرم نكاح زوجته.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفعُولاً﴾ أي كان تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش حكماً لازماً وقضاء واجباً، ومنه قول الشاعر:

حتى إذا نزلت عجاجة فتنة ... عمياء كان كتابها مفعولاً

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فيما أحله الله له من تزويج زينب بنت جحش، قاله مقاتل.

الثاني: التي وهبت نفسها للنبي إذ زوجها الله إياه بغير صداق ولكن النبي ﷺ قد تطوع عليها وأعطاها الصداق، قاله الحسن.

الثالث: في أن ينكح من شاء من النساء وإن حرم(٤٨٧) على أمته اكثر من أربع لأن اليهود عابوه بذلك، قاله الضحاك.

---

(٤٨٥) رواه مسلم (١٠٤٨/٢) وزاد السيوطي في الدر (٦١٢/٦) نسبته لابن سعد وأبي يعلى وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه وغيرهم.

(٤٨٦) رواه البخاري (٢٤٨/١٣) وغيره من حديث أنس ولفظه كانت زينب تفتخر على أزواج النبي تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

(٤٨٧) وذلك لحديث غيلان بن أسلم حينما أسلم وكان تحته عدة من النساء فقال له النبي ﷺ «أمسك أربعاً وفارق سائرهن».

قال الطبري: نكح رسول الله خمس عشرة، ودخل بثلاث عشرة، ومات عن تسع، وكان يقسم لثمان.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ السنة الطريقة المعتادة أي ليس على الأنبياء حرج فيما أحل الله لهم كما أحل لداود مثل هذا في نكاح من شاء وفي المرأة التي نظر إليها(٤٨٨) وتزوجها ونكح مائة امرأة وأحل لسليمان ثلاثمائة(٤٨٩) امرأة وسبعمائة سُرّية.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعلاً مفعولاً، قاله الضحاك.

الثاني: قضاء مقضياً وهو قول الجمهور. وكانت زينب إذا أراد رسول الله ﷺ سفراً تصلح طعامه وهي أول من مات من أزواجه في خلافة عمر رضي الله عنه وهي أول امرأة حملت على نعش لأن عمر قال حين ماتت: واسوأتاه تحمل أم المؤمنين مكشوفة كما يحمل الرجال فقالت أسماء بنت عميس: يا أمير المؤمنين إني قد كنت شاهدت في بلاد الحبشة شيئاً فيه للمرأة صيانة ووصفته له فأمر بعمله فلما رآه قال: نِعم خباء الظعينة.

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني زيد بن حارثة فإن المشركين قالوا إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأكذبهم الله بقوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم﴾ أي لم يكن أباً لزيد.

---

(٤٨٨) وهذه القصة لا تصح ولنا في إبطالها رسالة بعنوان «الشهاب المرصود على من اتهم النبي داود» وسنتكلم على إبطالها في سورة ص بشيء من التفصيل فإلى هناك والله المستعان وعليه التكلان.

(٤٨٩) والذي في صحيح البخاري (٦/ ٣٣٠) من حديث ابي هريرة مرفوعاً «قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً»

وفي بعض الروايات تسعين وعند مسلم سبعين وعند النسائي مائة فالمذكور هنا شيء مبالغ فيه جداً راجع الفتح (٦/ ٣٣١).

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ يعني آخرهم وينزل عيسى فيكون[٤٩٠] حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيقتل الدجال ويكسر الصليب وقد روى نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَخرجَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِن ثَلاثِينَ كُلُّهم يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ولا نَبِيَّ بَعْدِي**» [٤٩١] قال مقاتل بن سليمان ولم يجعل محمداً أبا أحد من الرجال لأنه لو جعل له ابناً لجعله نبياً وليس بعده نبي قال الله ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: اذكروه بالقلب ذكراً مستديماً يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته.

الثاني: اذكروا الله باللسان ذكراً كثيراً، قاله السدي. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [٤٩٢]: «**مَن عَجزَ عَنِ اللَّيْلِ أن يُكابِدَهُ، وَجَبُنَ عَنِ العَدُوِّ أَن يُجاهِدَهُ، وبَخِلَ بِالمَالِ أَن يُنفِقَهُ فَلْيُكثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**» وفي ذكره هنا وجهان:

أحدهما: الدعاء له والرغبة إليه، قاله ابن جبير.

الثاني: الإقرار له بالربوبية والاعتراف له بالعبودية.

قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ قال قتادة صلاة: الصبح والعصر، قال الأخفش: والأصيل ما بين العصر والليل. وقال الكلبي: الأصيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفي التسبيح هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه التسبيح الخاص الذي هو التنزيه.

---

(٤٩٠) يعني حاكماً بالشريعة الإسلامية عدلاً في حكمه.

(٤٩١) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٢٧٨) وأبو داود (٤/٤٥١ ـ ٤٥٢) والترمذي (٢٢٠٢)، (٢٢٢٩) وابن ماجه (٢٢١٩) و (٣٩٥٢) والحاكم (٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤٩٢) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

الثاني: أنه الصلاة.

الثالث: أنه الدعاء، قاله جرير.

فلا تنس تسبيح الضُّحى إن يونسا دعا ربه فانتاشه حين سبحا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُم وَمَلَآئِكَتُهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ثناؤه، قاله أبو العالية.

الثاني: كرامته، قاله سفيان.

الثالث رحمته، قاله الحسن.

الرابع: مغفرته، قاله ابن جبير.

وفي صلاة الملائكة قولان:

أحدهما: أنه دعاؤهم، قاله أبو العالية.

الثاني: استغفارهم، قاله مقاتل بن حيان.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من الكفر إلى الإيمان، قاله مقاتل.

الثاني: من الضلالة إلى الهدى، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: من النار إلى الجنة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ قال ابن عباس شاهداً على أمتك ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار.

قوله: ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: إلى طاعة الله، قاله ابن عيسى.

الثالث: إلى الإسلام: قاله النقاش.

وفي قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ثلاثة أوجه:

أحدها: بأمره، قاله ابن عباس.

الثاني: بعلمه قاله الحسن.

الثالث: بالقرآن، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن سراج منير أي مضيء لأنه يُهْتدىٰ به، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه الرسول كالسراج المنير في الهداية، قاله ابن شجرة، ومنه قول كعب بن زهير: (٤٩٣)

إن الرسول لنورٌ يستضاءُ به مُهَنّدُ من سيوف الله مَسْلول

قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّه لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثواباً عظيماً، قاله الكلبي.

الثاني: أنه الجنة، قاله قتادة والكلبي. وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أنزل الله عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً.﴾ [الفتح: ١] الآيات فقال المسلمون هنيئاً لك يا رسول الله بما أعطاك الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾ قال مقاتل يريد بالكافرين من أهل مكة أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور السلمي وبالمنافقين من أهل المدينة عبد الله ابن أُبي وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق اجتمعوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد اذكر أن لآلهتنا شفاعة.

فقال الله: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ وفيه أوجه:

أحدها: دع ذكر آلهتهم أن لها شفاعة، قاله مقاتل.

الثاني: كف عن أذاهم وقتالهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال، قاله الكلبي.

الثالث: معناه اصبر على أذاهم. قاله قتادة وقطرب.

الرابع: هو قولهم زيد بن محمد وما تكلموا به حين نكح زينب. قاله الضحاك.

---

(٤٩٣) بيت من قصيدة كعب وقد تقدم الكلام عنها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ...﴾ الآية. أجمع أهل العلم أن الطلاق إن كان قبل المسيس والخلوة فلا عدة فيه وليس للمطلقة من المهر إلا نصفه إن كان لها مهر سُمِّي ولا رجعة للمطلق ولكنه كأحد الخطاب إن كان طلاقه دون الثلاث. وإن كان ثلاثاً حرمت عليه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وقال عطاء وجابر بن زيد إذا طلق البكر ثلاثاً[فهي] طلقة(٤٩٤) واحدة وهو خلاف قول الجمهور.

وإن كان الطلاق بعد الخلوة وقبل المسيس ففي وجوب العدة وكمال المهر وثبوت الرجعة قولان:

أحدهما: وهو قول أبي حنيفة أن العدة قد وجبت والمهر قد كمل والرجعة قد ثبتت وأقام الخلوة مقام المسيس إلا أن يكونا في الخلوة مُحرمين أو صائمين أو أحدهما.

والقول الثاني: وهو مذهب الشافعي وهو المعول عليه من أقاويله أنه لا عدة ولا رجعة ولا تستحق من المهر إلا نصفه.

﴿.. فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ معنى فمتعوهن أي متعة الطلاق بدلاً من الصداق لأن المطلقة قبل الدخول إذا كان لها صداق مسمى فليس لها متعة وإن لم يكن لها صداق مسمى فلها بدل نصف المسمى متعة تقوم مقام المسمى تختلف باختلاف الإعسار والإيسار وقدرها حماد بنصف مهر المثل وقال أبو عبد الله الزيدي أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن.

فأما المدخول بها ففي استحقاقها المتعة من الصداق قولان:

أحدهما: ليس لها مع استكمال الصداق متعة.

---

(٤٩٤) وفي إيقاع الطلاق الثلاث ثلاث بلفظ واحد خلاف بين العلماء راجع زاد المعاد (٦/ ٢٤١ ـ ٢٧٢).

الثاني : لها المتعة بالطلاق[٤٩٥] ولها الصداق بالنكاح .

وفي قوله : ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ وجهان :

أحدهما : أنه دفع المتعة حسب الميسرة والعسرة ، قاله ابن عباس

الثاني : أنه طلاقها طاهراً من غير جماع ، قاله قتادة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني صداقهن وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أحل له لهذه الآية أزواجه الأول اللاتي كن معه قبل نزول هذه الآية قاله مجاهد. وأما إحلال غيرهن فلا لقوله ﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْ بَعْدُ﴾

الثاني : أنه أحل له بهذه الآية سائر النساء ونسخ به قوله ﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْ بَـعْدُ﴾ .

الثالث : أنه أحل بها من سماه فيها من النساء دون من لم يسمه من قوله .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإماء.

﴿مِمَّا أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يعني من الغنيمة فكان من الإماء مارية أم ابنه إبراهيم ومما أفاء الله عليه صفية وجويرية أعتقهما وتزوج بهما .

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ﴾ قاله أُبي بن كعب ثم قال : ﴿ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فيه قولان :

---

(٤٩٥) ويشهد لهذا القول قوله تعالى ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ سورة البقرة : ٢٤١ .

أحدهما: يعني المسلمات.

الثاني: المهاجرات إلى المدينة. روى أبو صالح عن أم هانىء قالت[٤٩٦]: نزلت هذه الآية وأراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني لأني لم أهاجر واختلف في الهجرة على قولين:

أحدهما: أنها شرط في إحلال النساء لرسول الله ﷺ من غريبة وقريبة حتى لا يجوز أن ينكح إلا بمهاجرة.

الثاني: أنها شرط في إحلال بنات عمه وعماته المذكورات في الآية، وليست شرطاً في إحلال الأجنبيات.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ اختلف أهل التأويل هل كان عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها علي قولين:

أحدهما: لم تكن عنده امرأة وهبت نفسها له، وهو قول ابن عباس ومجاهد وتأويل من قرأ إن وهبت بالكسر محمول على المستقبل.

الثاني: أنه كانت عنده امرأة وهبت نفسها، وهو قول الجمهور وتأويل من قرأ بالفتح أن وهبت على الماضي. وكان ابن شجرة يذهب إلى أن تأويل من قرأ أن وهبت بالفتح أنه في امرأة بعينها متى وهبت نفسها حل له أن ينكحها، ومن قرأ بالكسر أنه في كل امرأة وهبت نفسها أنه يحل له أن ينكحها.

واختلف في التي وهبت نفسها له على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أم شريك بنت جابر بن ضباب، وكانت امرأة صالحة، قاله عروة بن الزبير.

الثاني: أنها خولة بنت حكيم، وهذا قول عائشة رضي الله عنها.

الثالث: أنها ميمونة بنت الحارث، قاله ابن عباس[٤٩٧].

---

(٤٩٦) رواه ابن جرير (٢٢/٢٠) والترمذي (٢/١٥٣) والحاكم (٢/٢٤٠) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه إلامن هذا الوجه من حديث السدي وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/٦٢٨) لابن سعد وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي وغيرهم وكذا ابن أبي حاتم بنحوه كما في ابن كثير (٣/٤٩٩).

(٤٩٧) رواه النسائي كما في الفتح (٨/٣٨٦) قال الحافظ عن الأثر منقطع وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف ويعارضه حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له، اخرجه الطبري (٢٢/٣٢) واسناده حسن اهـ.

الرابع: أنها زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. قاله الشعبي.

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها خالصة له إذا وهبت له نفسها أن ينكحها بغير أمر ولي ولا مهر. وليس ذلك لأحد من المؤمنين، قاله قتادة.

الثاني: أنها خالصة له إذا وهبت له نفسها أن لا يلزمه لها صداق وليس ذلك لغيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك وسعيد بن المسيب.

الثالث: أنها خالصة له أن يملك عقد نكاحها بلفظ الهبة وليس ذلك لغيره من المؤمنين، قاله الشافعي.

قوله عزوجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِم فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فرضنا ألا تتزوج امرأة إلا بولي وشاهدين.

الثاني: فرضنا ألا يتجاوز الرجل أربع نسوة، وهذا قول مجاهد.

الثالث: فرضنا عليهم لهن النفقة عليهن والقسم بينهن. قاله بعض الفقهاء.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني أن يحللن له من غير عدد محصور ولا قسم مستحق ﴿لِكَيلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾؛ قاله ابن عيسى.

الثاني: إلى قوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ويشبه أن يكون قول يحيى بن سلام.

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: تطلق من تشاء من نسائك وتمسك من تشاء منهن، قاله ابن عباس.

الثاني: تترك نكاح من تشاء وتنكح من تشاء، قاله الحسن.

الثالث: تعزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها، وتأتي من شئت من أزواجك فلا

تعزلها، قاله مجاهد. ويدل على أن القَسم في هذا التأويل كان ساقطاً عنه.

الرابع: تؤخر من تشاء من أزواجك، وتضم إليك من تشاء منهن، قاله قتادة.

وروى منصور عن ابن رزين قال[٤٩٨]: بلغ بعض نسوة النبي ﷺ أنه يريد أن يخلي سبيلهن، فأتينه فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك، فأرجأ منهن نسوة وآوى نسوة فكان ممن أرجأ جويرية وميمونة وأم حبيبة وصفية وسودة. وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما تشاء، وكان ممن آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان قسمه في ماله ونفسه فيهن سواء.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أي من ابتغيت فأويته إليك ممن عزلت أن تؤديه إليك.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فيهن وجهان:

أحدهما: فلا جناح عليك في من ابتغيت، وفي من عزلت. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: فلا جناح في من عزلت أن تؤويه إليك، قاله مجاهد.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إذا علمن أنه لا يطلقهن قرت أعينهن ولم يحزن.

الثاني: إذا علمن أنه لا يتزوج عليهن قرت أعينهن ولم يحزن. قاله قتادة.

الثالث: إذا علمن أن هذا من حكم الله تعالى فيهن مَرَّت أعينهن ولم يحزن. قاله قتادة.

الرابع: أنهن إذا علمن أن له ردهن إلى فراشه إذا اعتزلهن قرَّت أعينهن ولم يحزن، قاله مجاهد.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحل لك نساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله

(٤٩٨) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٣٥ أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين وهذا مرسل ا هـ.

والدار الآخرة. قال ابن عباس وقتادة: وهن التسع صار مقصوراً عليهن وممنوعاً من غيرهن.

الثاني: لا يحل لك النساء من بعد الذي أحللنا لك بقولنا ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّٰتِي ءَآتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إلى قوله ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. الآية.

وكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته المهاجرات معه، قاله أبي بن كعب.

الثالث: لا يحل لك النساء من غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات، ويحل ما سواهن من المسلمات(٤٩٩)، قاله مجاهد.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولا أن تبدل بالمسلمات مشركات، قاله مجاهد.(٥٠٠)

الثاني: ولا تطلق زوجاتك لتستبدل بهن من أعجبك حسنهن، قاله الضحاك، وقيل التي أعجبه حسنها أسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبي طالب عنها.

الثالث: ولا أن تبدل بأزواجك زوجات غيرك فإن العرب كانوا في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم فيعطي أحدهم زوجته لرجل ويأخذ بها منه زوجته بدلاً منها، قاله ابن زيد.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ

---

(٤٩٩) قال الشوكاني (٢٦٣/٤) «وهذا القول فيه بعد لأنه يكون التقدير لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر».

(٥٠٠) قال الحافظ ابن كثير (٥٠٢/٣) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه اهـ.

ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو نضرة عن أنس[٥٠١] بن مالك أن النبي ﷺ مر بنساء من نسائه وعندهن رجال يتحدثون، فكره ذلك وكان إذا كره الشيء عُرف من في وجهه فلما كان العَشي خرج فصعد المنبر فتلا هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: غير منتظرين نضجه، قاله الضحاك ومجاهد.

الثاني: غَيْرَ متوقعين لحينه ووقته، قاله قتادة.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ﴾ فدل هذا على حظر الدخول بغير إذن.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ أي فاخرجوا، فدلّ على أن الدخول للأكل يمنع من المقام بعد الفراغ من الأكل.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ..﴾ روى أبو قلابة عن أنس[٥٠٢] قال: لما أهديت إلى رسول الله ﷺ زينبُ بنت جحش وضع طعاماً ودعا قوماً فدخلوا وزينب مع رسول الله ﷺ، فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾

قوله عز وجل: ﴿.. فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ أن يخبركم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يأمركم به.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حاجة، قاله السدي.

الثاني: صحف القرآن، قاله الضحاك.

الثالث: عارية، قاله مقاتل. ومعانيها متقاربة.

---

(٥٠١) رواه البخاري (٨/٤٠٦،٤٠٧) ومسلم (٢/١٠٥٠) وابن جرير (٢٢/٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٤٠) نسبته لأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٥٠٢) رواه الطبري من هذا الطريق (٢٢/٣٨) وسبق تخريجه بنحوه مطولاً في التعليق السابق.

﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أمرن وسائر النساء بالحجاب عن أبصار الرجال وأمر الرجال بغض أبصارهم عن النساء.

وفي سبب الحجاب ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه مجاهد عن عائشة(٥٠٣) رضي الله عنها قالت: كنت آكل مع رسول الله ﷺ حيساً في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال عمر لو أُطَاعُ فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آيات الحجاب.

الثاني: ما رواه عروة بن الزبير عن عائشة(٥٠٤) رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إلى المباضع وهي صعيد أفيح يتبرزن فيه، وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك يا رسول الله، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي، وكانت امرأة طويلة فناداها بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب قالت: فأنزل الله تعالى الحجاب.

الثالث: ما روى ابن مسعود أن عمر رضي(٥٠٥) الله عنه أمر نساء النبي ﷺ بالحجاب فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزلت الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أطهر لها من الريبة.

الثاني: أطهر لها من الشهوة.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ حكى السدي أن رجلاً من قريش من بني تميم قال عند نزول الحجاب أيحجبنا رسول

(٥٠٣) رواه النسائي وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وصححه السيوطي في الدر (٦/٦٤٠) وقال الهيثمي (٦٣/٧) رواه الطبري في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

(٥٠٤) رواه الطبري (٤٠/٢٢) قال الحافظ ابن كثير (٥٠٥/٣) هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه أحمد والبخاري ومسلم في حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ثم ساق الحديث بلفظ البخاري.

تنبيه: كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب المناصع والتصويب من البخاري وغيره.

(٥٠٥) رواه الطبري (٤٠/٢٢) من طريق عطاء بن السائب عن ابي وائل عن ابن مسعود وذكره السيوطي في الدر (٦٤٢/٦) من رواية ابن مردويه وقال الحافظ في الكشاف ص ١٣٧ رواه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي.

الله عن بنات عمنا ويتزوج نساءَنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية. ولتحريمه تعديهن لزمت نفقاتهن من بيت المال.

واختلف أهل العلم في وجوب العدة عليهن بوفاة رسول الله ﷺ عنهن على وجهين:

أحدهما: لا تجب عليهن العدة لأنها مدة تربص ينتظر بها الإباحة.

الثاني: تجب لأنها عبادة وإن لم تعقبها إباحة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا جناح عليهن في ترك الحجاب: قاله قتادة.

الثاني: في وضع الجلباب، قاله مجاهد.

﴿وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ قال الشعبي لم[٥٠٦] يذكر العم لأنها تحل لابنه فيصفها له.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني النساء المسلمات دون المشركات، قاله مجاهد.

الثاني: أنه في جميع النساء.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الإماء دون العبيد، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنه عام في الإماء والعبيد. واختلف من قال بهذا فيما أبيح للعبد على قولين:

أحدهما: ما أبيح لذوي المحارم من الآباء والأبناء ما جاوز السرة وانحدر عن الركبة لأنها تحرم عليه كتحريمها عليهم.

---

(٥٠٦) وعكرمة أيضاً وخالف الجمهور قولهما والراجح قول الجمهور هو الصواب.

الثاني: ما لا يواريه الدرع من ظاهر بدنها، قاله إبراهيم. لأنه العبد وإن حرم في الحال فقد يستباح بالعتق في ثاني حال[٥٠٧]. وسبب نزول هذه الآية ما حكاه الكلبي أنه لما نزل في آية الحجاب ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ قام الآباء والأبناء وقالوا يا رسول الله نحن لا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب، فنزلت هذه الآية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قاله أبو العالية.

الثاني: أن صلاة الله تعالى عليه المغفرة له، وصلاة الملائكة الإستغفار له، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أن صلاة الله تعالى عليه رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء له، قاله الحسن، وهو معنى قول عطاء بن أبي رباح.

الرابع: أن صلاتهم عليه أن يباركوا عليه؟ قاله ابن عباس.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ روى عبد الرحمن بن أبي ليلى[٥٠٨] قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قُولُواْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ».

---

(٥٠٧) يعني بهذا أن العبد بعد عتقه لا يجوز للمرأة الظهور عليه لأنه صار أجنبياً فلا يحل لها أن تظهر شيء من بدنها أمامه في هذه الحال.

(٥٠٨) رواه البخاري (٨/٤١٠) ومسلم (١/٣٠٥) وابن جرير (٢٢/٤٣) واقتصر على صيغة التشهد والترمذي (٤٨٣) وأبو داود (٩٧٦) والنسائي (٣/٤٧) وابن ماجة (٩٠٤) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٤٧) نسبته لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن مردويه.

قال أبو العباس ثعلب: معنى قولنا اللهم صل على محمد أي زد محمداً بركة ورحمة، ويجري فيه التأويلات المذكورة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلموا لأمره بالطاعة له تسليماً.

الثاني: وسلموا عليه بالدعاء له تسليماً أي سلاماً.

حكى مقاتل قال: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون فما لنا يا رسول الله؟ فنزلت ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ﴾ الآية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنيَا وَٱلآخِرَةِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أصحاب التصاوير؛ قاله عكرمة.

الثاني: أنهم الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم قوم من المنافقين كانوا يكذبون على رسول الله ﷺ ويبهتونه قاله يحيى بن سلام.

وفي قوله: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه يؤذون أولياء الله.

الثاني: أنه جعل أذى رسوله ﷺ أذى له تشريفاً لمنزلته.

الثالث: هو ما روي عن النبي ﷺ[٥٠٩]: «يَقُولُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَتَمَنِي ٱبْنُ آدَمَ وَمَا كَانَ يَنبَغِي لَهُ أَن يَشْتُمَنِي، وَكَذَّبَنِي وَمَا كَانَ لَهُ أَن يُكَذِّبَنِي فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَولُهُ إِنَّ لِيَ وَلَداً

(٥٠٩) رواه البخاري (٨/٥٦٨) من حديث أبي هريرة وكذا البغوي في شرح السنة (١/٨١) ورواه البخاري (٨/١٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ إِنِّي لَا أَبْعَثُ بَعدَ المَوتِ أحداً. وَلَعنَةُ الدُّنْيَا التَّقْتِيلُ وَالجَلاءُ، وَلَعْنَةُ الآخِرَةِ النَّارُ».

قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ**﴾ الآية. فيمن نزلت فيه هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في الزناة وكانوا يمشون فيرون المرأة فيغمزونها؛ قاله الكلبي(٥١٠).

الثاني: نزلت في قوم كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه، ويكذبون عليه. قاله مقاتل والنقاش.

الثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطل بالإفك، قاله الضحاك. وروى قتادة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٥١١) قرأها ذات ليلة فأفزعه ذلك حتى انطلق إلى أبيّ فقال يا أبا المنذر إني قرأت كتاب الله فوقعت مني كل موقع. ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟**﴾ والله إني لأعاقبهم وأضربهم، فقال: إنك لست منهم، إنما أنت مؤدب، إنما أنت معلم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿. . . **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الجلباب الرداء، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: أنه القناع؛ قاله ابن جبير.

---

(٥١٠) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند.

(٥١١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر (٦/٦٥٧).

الثالث: أنه كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، قاله قطرب.

وفي إدناء جلابيبهن عليهن قولان:

أحدهما: أن تشده فوق رأسها وتلقيه فوق خمارها حتى لا ترى ثغرة نحرها، قاله عكرمة.

الثاني: أن تغطي وجهها حتى لا تظهر إلا عينها اليسرى، قاله عَبيدة[٥١٢] السلماني.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليعرفن من الإماء بالحرية.

الثاني: يعرفن من المتبرجات بالصيانة. قال قتادة: كانت الأمة إذا مرت تناولها المنافقون بالأذى فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الزناة، قاله عكرمة والسدي.

الثاني: أصحاب الفواحش والقبائح، قاله سلمة بن كهيل.

وفي قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ﴾ قولان:

أحدهما: عن إيذاء نساء المسلمين قاله الكلبي.

الثاني: عن إظهار ما في قلوبهم من النفاق، قاله الحسن وقتادة.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين يكاثرون النساء ويتعرضون لهن، قاله السدي.

الثاني: أنهم الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة.

الثالث: أن الإرجاف التماس الفتنة، قاله ابن عباس. وسميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفاضة الناس فيها.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه لنسلطنك عليهم، قاله ابن عباس.

---

(٥١٢) رواه الطبري (٢٢/٤٩) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٦٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر وسنده صحيح صححه غير واحد من العلماء.

الثاني : لنعلمنك بهم، قاله السدي .

الثالث : لنحملنك على مؤاخذتهم، وهو معنى قول قتادة .

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل بالنفي عنها، وقيل الذي استثناه ما بين قوله لهم اخرجوا وبين خروجهم .

قوله : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني سنته فيهم أن من أظهر الشرك قتل، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : سنته فيهم أن من زَنَىٰ حُد، وهو معنى قول السدي .

الثالث : سنته فيهم أن من أظهر النفاق أبعد، قاله قتادة .

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني تحويلاً وتغييراً، حكاه النقاش .

الثاني : يعني أن من قتل بحق فلا دية له على قاتله، قاله السدي .

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله : ﴿. . . إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ في السادة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الرؤساء[٥١٣]

الثاني : أنهم الأمراء، قاله أبو أسامة .

الثالث : الأشراف، قاله طاوس .

وفي الكبراء هنا قولان :

(٥١٣) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/٣٠٦) «وفي هذا زجر عن التقليد شديد وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن فهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب .

أحدهما: أنهم العلماء، قاله طاووس.

الثاني: ذوو الأسنان، وهو مأثور.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ يعني طريق الإيمان.

وفي قوله الرسولا والسبيلا وجهان:

أحدهما: لأنها مخاطبة يجوز مثل ذلك فيها عند العرب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن الألف للفواصل في رؤوس الآي، قاله ابن عيسى. وقيل إن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من قريش هم المطعمون يوم بدر.

قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: عذاب الكفر وعذاب الإضلال.

﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ بالباء قراءة عاصم يعني عظيماً وقرأ الباقون(٥١٤) بالتاء يعني اللعن على اللعن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أَذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ معناه لا تؤذوا محمداً فتكونوا كالذين آذوا موسى.

وفيما آذوا به رسوله محمد ﷺ قولان:

أحدهما: قولهم زيد بن محمد، حكاه النقاش.

الثاني: أن النبي ﷺ قسم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي ﷺ فغضب وقال(٥١٥) «**رَحِمَ اللَّهُ مُوسَىٰ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذا فَصَبِرَ**» قاله أبو وائل.

وفيما أوذي به موسى عليه السلام ثلاثة أقاويل:

---

(٥١٤) الحجة في القراءات (٥٨٠)، زاد المسير (٦/٤٢٤).

(٥١٥) رواه البخاري (١٠/٤٢٦) ومسلم (١٠٦٢)(١٤١) وابن ابي حاتم كما في الدر (٦/٦٦٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أحدها: أن رَمَوهُ بالسحر والجنون.

الثاني: ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال[٥١٦] **«إنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سَتِيراً لَا يَكَادُ يُرَىٰ مِن جَسَدِهِ شَـيءٌ يَسْتَحَيامِنْه فآذَاهُ مَن آذَاهُ مِن بَنِي إسْرَائِيلَ وَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ إلَّا مِن عَيب بِجِلْدِهِ أَوْجِسْمِهِ، إمَّا مِن بَرَصٍ وَإمَّا آدرٌ أَوْ بِهِ آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبرئَهُ مِمَّا قَالُوا وَإِنَّ مُوسَىٰ خَلَا يوماً وَحْدَهُ فَوضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ آغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إلَى ثَوبِهِ لِيَأْخُذَهُ وَإِنَّ آلْحجَرَ عَدَا بِثِيَابِهِ فَطَلَبَهُ مُوسَىٰ فَانتَهَىٰ إلَىٰ مَلَإٍ مِن بَنِي إسْرَائِيلَ فرأوهُ عُرْيَاناً كَأَحْسَنِ آلرِّجالِ خلْقاً فَبرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا»**.

الثالث: ما رواه ابن عباس عن علي رضي الله عنه ان موسى صعد وهارون الجبل فمات هارون فقال بنوا إسرائيل أنت قتلته وكان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجلس بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته ثم دفنته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وأن الله جعله أصم أبكم ومات هارون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه بشهرين.

﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المقبول، قاله ابن زيد.

الوجه الثاني: لأنه مستجاب الدعوة قاله الحسن.

الثالث: لأنه ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إلا النظر، قاله ابن سنان. قال قطرب: والوجيه مشتق من الوجه لأنه أرفع الجسد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

قوله: **﴿وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾** فيه ستة تأويلات:

أحدها: عدلاً، قاله السدي.

الثاني: صدقاً، قاله قتادة.

---

(٥١٦) رواه البخاري (١/٣٣٠) (٦/٣١٢) ومسلم (٣٣٩) والترمذي (٣٢١٩) والطبري (٢٢/٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٦٤) نسبته لابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وعبد بن حميد وأحمد بن حنبل وقال الحافظ ابن كثير (٣/٥٢) وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وانت كما ترى قد رواه مسلم.

الثالث: صواباً، قاله ابن عيسى.

الرابع: هو قول لا إله إلا الله، قاله عكرمة.

الخامس: هو الذي يوافق ظاهره باطنه.

السادس: أنه ما أريد به وجه الله دون غيره.

ويحتمل سابعاً: أن يكون الإصلاح بين المتشاجرين وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيه وجهان: (٥١٧)

أحدهما: يصلحها بالقبول.

الثاني: بالتوفيق.

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أن هذه الأمانة هي ما أمر الله سبحانه من طاعته ونهي عن معصيته، قاله أبو العالية.

الثاني: أنها القوانين والأحكام التي أوجبها الله على العباد وهو قريب من الأول، قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وابن جبير.

الثالث: هي ائتمان الرجال والنساء على الفروج، قاله أبي (٥١٨). وقيل إن أول

---

(٥١٧) رواه الطبري (٢٢/٥٢) وأحمد بن منيع وابن ابي حاتم وإسناده قوي كما قال الحافظ في الفتح (٨/٣٩٥) وقال «وما في الصحيح أصح من هذا ولكن لا مانع أن يكون للشيء سبباً فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة» قلت وقوله وما في الصحيح، يقصد الحديث السابق في التعليق السابق.

(٥١٨) رواه ابن جرير (٢٢/٥٥) بسند صحيح.

ما خلق الله من آدم الفرج فقال: «**يَا آدَمُ هَذِهِ أَمَانَةٌ خَبَّأْتُهَا عِنْدَكَ فَلَا تَلْبِسْها**(*) **إِلَّا بِحَقٍ فَإِن حَفِظْتَهَا حَفِظْتُكَ**.» (٥١٩).

الرابع: أنها الأمانات التي يأتمن الناس(٥٢٠) بعضهم بعضاً عليها وأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله(٥٢١) وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل، قاله السدي.

الخامس: أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها قاله بعض المتكلمين.

وفي عرض هذه الأمانة ثلاثة أقاويل:

أحدها: ان عرضها هو الأمر بما يجب من حفظها وعظم المأثم في تضييعها. قاله بعض المتكلمين.

الثاني: الأمانة عورضت بالسموات والأرض والجبال فكانت أثقل منها لتغليظ حكمها فلم تستقل بها وضعفت عن حملها، قاله ابن بحر.

الثالث: أن الله عرض حملها ليكون الدخول فيها بعد العلم بها.

واختلف قائلو هذا على وجهين:

أحدهما: أنها عرضت على السموات والأرض والجبال، قاله ابن عباس، ومجاهد.

(*) هكذا بالأصل والذي في نوادر الاصول فلا تبسل منها شيئاً إلا بحقها والابسال هنا التصحيح وفيه انقطاع.

(٥١٩) وقد ورد هذا الحديث موقوفاً رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع رقم ١٣٣ وفيه انقطاع عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو فإن الأول لم يلق أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كما قال العلائي في التحصيل وعلاوة على ذلك فإن في سند الحديث أيضاً ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٥٢٠) وهذا التفسير هو تفسير لبعض الامانة لا كلها والتحقيق أن الامانة امانتان: امانة تتعلق بحق الله ورسوله وامانة تتعلق بحق العباد. فالأول كالصلاة والصيام وسائر الأعمال والاوامر الشرعية واتباع رسول الله ووجوب محبته وطاعته.

والثانية: كالعقود بين الناس والعهود التي لا تشتمل على معصية والودائع وحفظ الاسرار والبيع والشراء، وغير ذلك فالقول بعموم ذلك اشمل للنوعين وبه قال غير واحد من المفسرين ولنا في جمع ما قيل في تفسيرها رسالة بعنوان «طلب الاعانة في شرح حديث رفع الامانة» يسر الله طبعها.

(٥٢١) وقد ابطل الشوكاني هذا القول وشدد النكير عليه فراجعه في فتح القدير (٤/٣٠٨، ٣٠٩).

الثاني: أنها عرضت على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة قاله الحسن.

﴿فَأَبَينَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أَبَينَ أن يحملنها عجزاً وأشفقن منها خوفاً.

الثاني: أبين أن يحملنها حذراً وأَشْفَقْنَ منها تقصيراً.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جميع الناس، قاله ثعلب.

الثاني: أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده، قاله الحسن. روي عن معمر عن الحسن أن الأمانة لما عرضت على السموات والأرض والجبال قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقالت: لا. قال مجاهد: فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال: وما هي؟ قال: ﴿إن أَحْسَنْتَ آجَرْتُكَ وَإِنْ أَسأْتَ عَذَّبْتُكَ﴾ قال تحملتها يا رب. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها إلى أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر.

﴿إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ظلوماً لنفسه، جهولاً بربه، قاله الحسن.

الثاني: ظلوماً في خطيئته، جهولاً فيما حَمَّلَ ولده من بعده، قاله الضحاك.

الثالث: ظلوماً لحقها، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره، قاله ابن جريج.

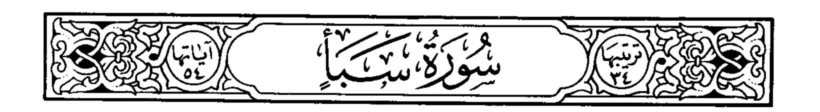
قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعذبهم بالشرك والنفاق وهو معنى قول مقاتل.

الثاني: بخيانتهما الأمانة. قال الحسن: هما اللذان ظلماها، واللذان خاناها: المنافق، والمشرك.

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي يتجاوز عنهم بأداء الأمانة والوفاء بالميثاق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ لمن تاب من شِرْكه ﴿رَحِيماً﴾ بالهداية إلى طاعته. والله أعلم.



مكية في قول الجميع إلا آية منها في قول الضحاك والكلبي وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦] فإنها مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي خلق ما في السموات وما في الأرض.

الثاني: الذي يملك ما في السموات وما في الأرض.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو حمد أهل الجنة من غير تَكْلِفٍ فسرورهم بحمده كقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعْدَه، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، قاله ابن عيسى.

الثاني: يعني أن له الحمد في السموات وفي الأرضين لأنه خلق السموات قبل الأرضين فصارت هي الأولى، والأرضون هي الآخرة، حكاه النقاش.

الثالث: له الحمد في الآخرة على الثواب والعقاب لأنه عَدْل منه، قاله بعض المتأخرين.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ يعني الحكيم في أمره، الخبير بخلقه.

قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما يلج في الأرض المطر، وما يخرج منها النبات، قاله الضحاك.

الثاني: ما يلج فيها الأموات، قاله الكلبي، وما يخرج منها كنوز الذهب والفضة والمعادن، حكاه النقاش.

الثالث: ما يلج فيها: البذور، وما يخرج منها: الزروع.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الملائكة تنزل من السماء وتعرج فيها، قاله السدي.

الثاني: وما ينزل من السماء: القضاء، وما يعرج فيها: العمل، وهو محتمل.

الثالث: ما ينزل من السماء: المطر، قاله الضحاك، وما يعرج فيها: الدعاء. وهو محتمل.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَواْ فِي ءَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن سعيهم فيها بالجحود لها، قاله الضحاك.

الثاني: بالتكذيب بها.

﴿مُعَاجِزِينَ﴾ وقرىء. ﴿مُعْجِزِينَ﴾ (٥٢٢) وفي تأويل معاجزين أربعة أوجه:
أحدها: مسابقين، قاله قتادة.
الثاني: مجاهدين(*)، قاله ابن زيد.
الثالث: مراغمين مشاقين، وهو معنى قول ابن عباس وعكرمة.
الرابع: أي لا يعجزونني هرباً ولا يفوتونني طلباً، وهو معنى قول الكلبي. وفي تأويل معجزين ثلاثة أوجه:
أحدها: مثبطين الناس عن اتباع الرسول، قاله مجاهد.
الثاني: مضعّفين لله أن يقدر عليهم، قاله بعض المتأخرين.
الثالث: معجزين من آمن وصَدَّقَ بالبعث بإضافة العجز إليه.
ويحتمل رابعاً: أنهم نسبوا المؤمنين إلى العجز عن الانتصار لدينهم إما بضعف الحجة وإما بقلة القوة.
﴿أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قال قتادة: الرجز هو العذاب الأليم.
قوله عز وجل: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم قولان:
أحدهما: أصحاب محمد ﷺ قاله قتادة.
الثاني: أنهم المؤمنون من أهل الكتاب، قاله الضحاك.
﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ قال الحسن هو القرآن كله حق.
﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فيه قولان:
أحدهما: يهدي إلى دين الله وهو الإسلام، رواه النواس بن سمعان(٥٢٣) الأنصاري عن رسول الله ﷺ.
الثاني: إلى طاعة الله وسبيل مرضاته.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ

(٥٢٢) الحجة في القراءات ص ٥٨٢ وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو.
(*) هكذا في الاصول ولعله محرف من كلمة معاندين.
(٥٢٣) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة.

﴿فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني بالبعث.

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي يخبركم أنكم إذا متم فأكلتكم الأرض أو الطير حتى صرتم عظاماً ورفاتاً.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي تحشرون وتبعثون. قيل إن أبا سفيان ابن حرب قال هذا لأهل مكة، فأجاب بعضهم بعضاً.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي قائل هذا أن يكون كذاباً أو مجنوناً فرد الله تعالى عليهم قولهم هذا بأن قال:

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ﴾ العذاب في الآخرة، والضلال البعيد في الدنيا. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه البعيد من الهدى، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه الشقاء الطويل، قاله السدي.

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ألم ينظروا إلى السماء والأرض كيف أحاطت بهم؟ لأنك إن نظرت عن يمينك أو شمالك، أو بين يديك أو خلفك رأيت السماء والأرض، قاله قتادة، إذكاراً لهم بقدرة الله تعالى عليهم وإحاطتها بهم، لأنهم، لا يرون لأوليتهما ابتداء ولا لآخرتهما انتهاء، وإن بعدوا شرقاً وغرباً.

الثاني: يعني ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فمن أهلكهم الله تعالى من الأمم الماضية في أرضه ﴿وَمَا خَلْفَهُم﴾ من أمر الآخرة في سمائه، قاله أبو صالح.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني كما خسفنا بمن كان قبلهم.

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الكسف العذاب قاله السدي.

الثاني: قطعاً من السماء ليعلموا أنه قادر على أن يعذب بسمائه إن شاء ويعذب بأرضه إن شاء، وكل خلقه له جند، قاله قتادة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه المجيب، قاله مجاهد وعطاء.

الثاني: أنه المقبل بتوبته، قاله قتادة، قال الشاعر:

أناب إلى قولي فأصبحت مرصداً له بالمكافأة المنيبة والشكر

الثالث: أنه المستقيم إلى ربه، وهو قول الضحاك.

الرابع: أنه المخلص للتوحيد، حكاه النقاش.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: النبوة.

الثاني: الزبور.

الثالث: فصل القضاء بالعدل.

الرابع: الفطنة والذكاء.

الخامس: رحمة الضعفاء.

السادس: حسن الصوت.

السابع: تسخير الجبال له والطير.

﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: سبحي معه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: سيري معه قاله الحسن وهو من السير ما كان في النهار كله أو في الليل كله، وقيل: بل هو سير النهار كله دون الليل.

الثالث: ارجعي إذا رجع، قال الشاعر: (٥٢٤).

يومان يوم مقاماتٍ وأنديةٍ ويوم سير إلى الأعداء تأويب.

أي رجوع بعد رجوع.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال قتادة كان يعمل به كما يعمل بالطين لا يدخله النار ولا يضربه بمطرقة.

ويحتمل وجهاً آخر أنه سهل له الحديد أن يعمل منه ما شاء وإن كان على جوهره وطبعه من قولهم قد لان لك فلان إذا تسهل عليك.

قوله عز وجل: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ أي درعاً تامة، ومنه إسباغ النعمة إتمامها، قال الشاعر:

وأكثرهم دروعاً سابغات وأمضاهم إذا طعنوا سنانا

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عدِّل المسامير في الحلقة لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة، قاله مجاهد.

الثاني: لا تجعل حلقه واسعة فلا تقي صاحبها، قال قتادة: وكان داود أول من عملها، وكانت قبل ذلك صفائح.

وفي ﴿السَّرْدِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه النقب الذي في حلق الدرع، قاله ابن عباس، قال لبيد(٥٢٥):

وما نسجت أسراد داود وابنه مضاعفة من نسجه إذ يقاتل

الثاني: أنه المسامير التي في حلق الدرع، قاله قتادة، مأخوذ من قولهم: سرد الكلام يسرده إذا تابع بينه، ومنه قول النبي ﷺ: في الأشهر الحرم ثلاثة سردٌ وواحد فرد. وقال الهذلي(٥٢٦):

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبّع

وحكى ضمرة بن شوذب أن داود عليه السلام كان يرفع كل يوم درعاً فيبيعها

---

(٥٢٤) هو سلامة بن جندل والبيت في اللسان (أوب)، والطبري (٢٢/٦٥) ومجاز القرآن (٢/١٠) وروح المعاني (٢٢/١١٣) وزاد المسير (٦/٤٩٣).

(٥٢٥) وفي نسخة أخرى للمخطوطة كثير بدلاً من لبيد.

(٥٢٦) اللسان (سبغ) والطبري (٢٢/٦٧).

بستة آلاف درهم، ألفان لأهله، وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري.

وحكى يحيى بن سلام والفراء أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيما يريد به ولا يدري ما يريد، فلم يسله حتى إذا فرغ منها داود قام فلبسها وقال: نعمت جنة الحرب هذه، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله.

﴿وَٱعْمَلُواْ صَالِحاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إِلَه إلا الله والله أكبر، قاله ابن عباس.

الثاني: فعل جميع الطاعات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي يعلم ما تعملون من خير أو شر.

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين.

وقال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقبل بإصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للمسرع.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال قتادة هي عين بأرض اليمن، قال السدي: سيلت له ثلاثة أيام، قال عكرمة: سال له القطر ثلاثة أيام من صنعاء اليمن كما يسيل الماء.

وقال الضحاك: هي عين بالشام.

وفي القطر قولان:

أحدهما: أنه النحاس، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني: الصُّفر[٥٢٧]، قاله مجاهد وعطاء وابن زيد.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني أن منهم من سخره الله تعالى للعمل بين يديه، فدل على أن منهم غير مسخر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي بأمر ربه.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني عن طاعة الله تعالى وعبادته، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عما يأمره سليمان، قاله قتادة. لأن أمر سليمان كان كأمر الله تعالى لكونه نبياً من أنبيائه.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي النار المسعرة وفيه قولان:

أحدهما: نذيقه ذلك في الآخرة، قاله الضحاك.

الثاني: في الدنيا، قاله يحيى بن سلام. لأنه لم يكن يسخر منهم إلا الكفار فإذا آمنوا أرسلوا، قال وكان مع المسخرين منهم ملك بيده سوط من عذاب السعير فإذا خالف سليمان ضربه الملك بذلك السوط.

قوله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها قصور، قاله عطية.

الثاني: المساجد، قاله قتادة، والحسن.

الثالث: المساكن، قاله ابن زيد.

قال أبو عبيدة: محراب الدار أشرف موضع فيها، ولا يكون إلا أن يرتقى إليه.

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ هي الصور[٥٢٨]، قال الحسن ولم تكن يومئذ محرمة، وفيها قولان:

أحدهما: أنها من نحاس، قاله مجاهد.

الثاني: من رخام وشبَه، قاله قتادة.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها كانت طواويس وعقاباً ونسوراً تكون على كرسيه ودرجات سريره لكي يهاب من شاهدها أن يتقدم، قاله الضحاك.

---

(٥٢٧) نوع من أجود أنواع النحاس.

(٥٢٨) وقد استدل بالآية أن التصوير كان مباحاً في شرع سليمان لكن نسخ بشرع نبينا محمد ﷺ فتح القدير (٣/٣١٧).

الثاني : صور الأنبياء الذين قبله، قاله الفراء.

﴿وَجِفَانٍ﴾ قال مجاهد : صحاف.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كالحياض، قاله الحسن.

الثاني : كالجوبة من الأرض، قاله مجاهد.

الثالث : كالحائط، قاله السدي.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عظام، قاله مجاهد.

الثاني : أن أثافيها[٥٢٩] منها، قاله ابن عباس.

الثالث : ثابتات لا يزلن عن أماكنهن، قاله قتادة، مأخوذ من الجبال الرواسي لثبوتها وثبوت الأرض بها. قال ابن جريج : ذكر لنا أن تلك القدور باليمن أبقاها الله تعالى آية وعبرة.

﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : أنه توحيد الله تعالى، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : تقوى الله والعمل بطاعته، قاله محمد بن كعب.

الثالث : صوم النهار وقيام الليل، قاله ابن أبي زياد، فليس ساعة من نهار إلا وفيها من آل داود صائم ولا ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم.

الرابع : اعملوا من الأعمال ما تستوجبون عليه الشكر، قاله ابن عطاء.

الخامس : اذكروا أهل البلاء وسلوا ربكم العافية.

السادس : ما حكاه الفضيل[٥٣٠] أنه لما قال الله تعالى : ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ فقال داود إِلٰهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ قاله : «الآنَ شَكَرْتَنِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ النِّعَمَ مِنِّي»

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : المؤمن، قاله يحيى بن سلام.

---

(٥٢٩) وهي الحجارة التي تنصب وتجعل تحت القدر.

(٥٣٠) رواه ابن أبي حاتم ونقله الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٢٩).

الثاني : الموحّد، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: المطيع، وهو مقتضى قول محمد بن كعب.

الرابع: ذاكر نعمه، وروي أن النبي ﷺ تلا هذه[٥٣١] الآية ثم قال: «**ثَلاَثَةٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُتِي مِثْلُ مَا أُوتِيَ ءَالُ دَاوُد: العَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، والقَصدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِ وَالعَلاَنِيَةِ**».

وفي الفرق بين الشاكر والشكور ثلاثة أوجه:[٥٣٢]

أحدها: أن الشاكر من لم يتكرر شكره والشكور من تكرر شكره.

الثاني: أن الشاكر على النعم والشكور على البلوى.

الثالث: أن الشاكر خوفه أغلب والشكور رجاؤه أغلب.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ**..﴾ الآية، روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ[٥٣٣] «**إِنَّ سُلَيْمَانَ نَبِيَّ اللَّهِ عَلَيهِ السَّلامُ كَانَ لاَ يُصَلِّي صَلاَةً إِلاَّ وَجَدَ شَجَرَةً ثَابِتَةً بَيْنَ يَدَيهِ فَيقُولُ لَهَا: مَا ٱسْمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا كَذَا، فيَقُولُ لِمَ أَنتِ؟ فَتقُولُ لِكَذَا وَكَذَا، فَصَلَّىٰ يَوماً فَإِذَا شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ بَيْنَ يَدَيهِ فَقَالَ لَهَا مَا اسْمُكِ؟ فَقَالَتْ: الخَرُّوبُ فَقَالَ: لِمَ أَنتَ؟ فَقَالَتْ لِخَرَابِ هٰذَا البَيْتِ**.

(٥٣١) رواه ابن النجار في تاريخه وطريق عطاء بن يسار عن أبي ذر مرفوعاً بنفس اللفظ الذي أورده المؤلف.

ورواه الحكيم الترمذي من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً إلا أنه. قال وذكر الله في السر والعلانية بدلاً منه وخشية الله.

وكذا رواه ابن مردويه مثله لكن من طريق عطاء بن يسار عن حفصة ورواه ابن المنذر عن عطاء مرسلاً راجع الدر (٦/ ٦٨١).

(٥٣٢) رواه الطبري (٢٢/ ٧٤) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٦٨٣) نسبته للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في الطب النبوي وابن مردويه قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٥٢٩) بعد أن أورده من رواية ابن جرير حديث مرفوع غريب في صحته نظر...... وفي رفعه عنه نكارة والأقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن السائب بن مسلم الخرساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة.

(٥٣٣) وهي قرأءة ابن المتوكل وابي الجوزاء وعاصم الجحدري زاد المسير (٦/ ٤٤١).

فَقَالَ سُلَيمَانُ اللَّهُمَّ أَغُمَّ عَلَى الجِنِّ مَوتي حَتَّى يَعْلَمَ الإنسُ أَنَّ الجِنَّ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ الغَيبَ قَالَ فَهَيَّأَ عَصاًثُمَّ تَوكَّأَ عَليهَا حَولاً وَهُم لَا يَعْلَمُونَ ، قَالَ ثُمَّ أَكَلَتْهَا الأَرَضَةُ فَسَقَطَ فَعَلِمُوا عِندَ ذَلِكَ مَوتَهُ فَشَكَرَتِ الجِنُّة ذَلِكَ لِلأَرَضَةِ فَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهَا بِالمَاءِ﴾ قال السدي : والطين، ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فإنما هو مما تأتيها به الشياطين شكراً : قال وقدروا مقدار أكلها العصا فكان مقدار سنة .

وفي ﴿دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ قولان :

أحدهما : الأرضة ، قاله ابن عباس ومجاهد ،وقد قرىء دابة[٥٣٤] الأَرض بفتح الراء وهو واحد الأرضة .

الثاني : أنها دابة تأكل العيدان يقال لها القادح ، قاله ابن زيد .

والمنسأةالعصا ،قال الشاعر[٥٣٥] :

إذا دببت على المنسأة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وأصلها مأخوذ من نسأت الغنم إذا سقتها، وقال السدي هي العصا بلسان الحبشة .

وفي دلالتها للجنة على موته قولان :

أحدها : وهو المشهور المرفوع عن النبي ﷺ أن سليمان وقف في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه فمات وبقي على حاله قائماً على عصاه سنة والجن لا تعلم بموته ، وقد كان سأل الله أن لا يعلموا بموته حتى مضى عليه سنة .

واختلف في سبب سؤاله لذلك على قولين :

أحدهما : لأن الجن كانوا يذكرون للإنس أنهم يعلمون الغيب ، فسأل الله تعالى ذلك ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وهذا مأثور .

الثاني : لأن داود عليه السلام كان أسس بيت المقدس ثم مات فبناه سليمان بعده وسخر الجن في عمله ، وقد كان بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة فسأل الله تعالى ألا يعلم الجن بموته حتى يتموا البناء فأتموه .

ثم دلتهم دابة الأرض في أكل منسأته على موته بعد سنة من موته لأنه سقط

---

(٥٣٤) واللسان (نسأ) والطبري (٢٢ / ٧٤) فتح القدير (٣١٧) .

(٥٣٥) تقدم تخريجه في تعليق رقم ١١ .

عنها حين أكلتها الأرضة فعلمت الجن أنه قد مات.

والقول الثاني: ما حكاه ابن عباس أن الله تعالى ما قبض نبيه سليمان إلا على فراشه وكان الباب في وجهه مغلقاً على عادته في عبادته فلما كان بعد سنة أكلت الأرضة العتبة فخر الباب ساقطاً فتبينت الجن ذلك. قال: وكان سليمان يعتمد على العتبة إذا جلس.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ﴾ والشياطين ومن كانوا مسخرين في العمل.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

الثاني: تبينت الإنس أن الجن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة. وروى سفيان عن عمر وعن ابن عباس أنه كان يقرأ في التلاوة: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الإنسُ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ سَنَةً﴾.

الثالث: أن الجن دخلت عليهم شبهة توهموا بها أنهم يعلمون الغيب فلما خر تبينوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

وحكي أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه واستكمل بناءه في السنة الحادية عشرة من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء فقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد فأوزعني [أن]أشكرك على ما أنعمت علي، وتوفني على ملتك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني اسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفيته، ولا فقير إلا أغنيته، والخامس ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إلحاداً أو ظلماً يا رب العالمين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ

﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ الآية. وقد ذكرنا اختلاف الناس في سبإ على قولين:

أحدهما: أنه اسم أرض باليمن يقال لها مأرب، قاله سفيان.

الثاني: اسم قبيلة.

واختلف من قال بهذا هل هو اسم امرأة أو رجل على قولين.

أحدهما: أنه اسم امرأة نسبت القبيلة إليها لأنها أمهم.

الثاني: أنه رجل. روي أن فروة الغطيفي (٥٣٦) سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أبلد أم رجل أم امرأة؟ فقال: «**بَلْ رَجُلٍ وَلَدَ عَشْرَةً، فَسَكَنَ اليَمَنَ مِنهُم سِتَّةٌ وَالشَّامَ أَرْبَعَةٌ أَمَّا اليَمَانِيُّونَ فَمَذْحِجُ وَكِنْدَةُ والأزد وَالأشعَرِيُّونَ وَأَنْمَارُ وحِمْيَرُ وَأَمَّا الشَّامِيُّونَ فَلَخْمٌ وَجِذَامُ وَغَسَّانُ وَعَامِلَةٌ**».

وذكر أهل النسب أنه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قال السدي: بعث إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً.

وأما ﴿جَنَّتَانِ﴾ فقال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على أحدهما: نحن بنينا سالمين، في سبعين خريفاً دائبين، وعلى الآخر: نحن بنينا صرواح، مقيل ومراح. وكانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله.

وفي الآية التي لسبأ في مساكنهم قولان:

أحدهما: أنه لم يكن في قريتهم بعوضة قط ولا ذبابة ولا برغوث ولا حية ولا

---

(٥٣٦) رواه الطبري (٢٢/٧٦) والترمذي (٢/١٥٤) وقال الترمذي حديث غريب حسن وزاد السيوطي في الدر (٦/) نسبته لعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وزاد الحافظ في نسبته في ترجمة فروة في الأصابة لابن سعد وابن داود وابن السكن مطولاً ومختصراً وقال الهيثمي (٧/٩٤) بعد أن أورده من رواية ابن عباس رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجالهما ثقات وأورده من حديث يزيد بن حصين وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه.

(*) وفي نسخة اثنا عشر.

عقرب وان الركب ليأتون في ثيابهم القمل والدواب فتموت تلك الدواب، قاله عبد الرحمن بن زيد

الثاني: أن الآية هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها مكتل فيمتلىء وما مسته بيدها، قاله قتادة.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ يعني الذي رزقكم من جنتكم.

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُ﴾ يعني على ما رزقكم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ قال مجاهد: هي صنعاء.

ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن أرضها[٥٣٧] وليست بسبخة[٥٣٨].

الثاني: لأنها ليس بها هوام.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَىٰ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الشام، قاله مجاهد وقتادة.

﴿ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني بالشجر والثمر والماء. وقيل إنها كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية.

ويحتمل أن يكون التي باركنا فيها بكثرة العدد.

﴿قُرىً ظَاهِرَةً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، قاله الحسن، وأبو مالك

---

(٥٣٧) هنا كلمة غير واضحة.

(٥٣٨) اي ملحة.

الثاني : أنها العامرة.

الثالث: الكثيرة الماء.

الرابع: أن القرى الظاهرة هي القرى القريبة، قاله سعيد بن، جبير، والضحاك.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها السروات، قاله مجاهد.

الثاني : أنها قرى لصنعاء، قاله ابن منبه.

الثالث: أنها قرى ما بين مأرب والشام، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيرَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: قدرنا فيها المقيل والمبيت، قاله الكلبي:

الثاني : أنهم كانوا يصبحون في قرية ويمسون في أخرى، قاله الحسن.

الثالث: أنه قدر فيها السير بأن جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتيبة.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من الجوع والظمأ، قاله قتادة. حتى أن المرأة تمشي وعلى رأسها مكتل فيمتلىء من الثمر.

الثاني : آمنين من الخوف قاله يحيى بن سلام، كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحركه.

قوله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير﴿بَعِّد﴾ بغير ألف وبتشديد العين[٥٣٩]، وقرأ الباقون ﴿بَاعِدْ﴾ بألف وبتخفيف العين وفيهما ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم قالوا ذلك لأنهم ملّوا النعم كما ملَّ بنو اسرائيل المن والسلوى، قاله الحسن.

الثاني : أنهم قالوا لو كانت ثمارنا أبعد مما هي كانت أشهى في النفوس وأحلى، قاله ابن عيسى، وهو قريب من الأول لأنه بطر. فصار نوعاً من الملل.

(٥٣٩) زاد المسير (٦/٤٤٨).

الثالث: معناه زد في عمارتنا حتى تبعد فيه أسفارنا، حكاه النقاش. وهذا القول منهم طلباً للزيادة والكثرة.

وقرأ بعض القراء(٥٤٠) ﴿بعُدَ﴾ بضم العين وتخفيفها،وهذا القول منهم شكوى لبعد سفرهم وتمني قصره.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ظلموها بقولهم باعد بين أسفارنا، قاله ابن زيد.

الثاني: بتكذيب الرسل وهم ثلاثة عشر نبياً. قال الكلبي: أنهم قالوا لرسلهم حين ابتلوا وهم مكذبون: وقد كنا نأبى عليكم وأرضنا عامرة خير أرض فكيف اليوم وأرضنا خراب شر أرض.

الثالث: أنهم ظلموا أنفسهم بالتغيير والتبديل بعد أن كانوا مسلمين، قاله الحسن.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾أي يتحدث الناس بما كانوا فيه من نعيم وما صاروا إليه من هلاك، حتى ضرب المثل فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، ومنه قول الشاعر:

باد قوم عصف الدهر بهم ... فرقوا عن صرفه أيدي سبأ

﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم فرقوا بالهلاك حتى صاروا تراباً تذروه الرياح، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم مزقوا بالتفرق والتباعد، قاله قتادة.

حكى الشعبي قال: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما خزاعة فلحقوا بمكة، وأما الأوس والخزرج فلحقوا بيثرب يعني المدينة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبار على البلوى شكور على النعماء.

الثاني: صبور على أمر الله شكور في طاعة الله.

---

(٥٤٠) وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن عبد الرحمن السلمي وابن رجاء وابن السميفع وابن أبي عبلة، وقرأ أبو عمران الجوني وعاصم الجحدري بُوعِدَ برفع الباء وبواو ساكنة مع كسر العين، زاد المسير (٦/٤٤٩).

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

قوله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه لما أُهْبِطَ آدم من الجنة ومعه حواء، وهبط إبليس، قال إبليس أما إذ أصيب من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظناً من إبليس، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ قاله الحسن.

الثاني: أن إبليس إذ قال: خُلِقْتُ من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء، لأحتنكن ذريته إلا قليلاً، فصدق ظنه عليه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه قال: يا رب أرأيت هؤلاء القوم الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم عليّ لا تجد أكثرهم شاكرين، ظن منه فصدق عليهم ظنه، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه ظن أنه إن أغواهم أجابوه وإن أضَلّهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قاله الكلبي.

﴿**فَاتَّبَعُوهُ إلاَّ فَرِيقاً مِّنَ المُؤْمِنِينَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاتبعوا إبليس، قاله الحسن.

الثاني: فاتبعوا ظنه، قاله مجاهد.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞

قوله عز وجل: ﴿**وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ حكى الفراء فيه وجهين:

أحدهما: حتى يؤذن له في الشفاعة.

الثاني: حتى يؤذن له فيمن يشفع له، ووجدت الأول قول الكلبي والثاني قول مقاتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه خلي عن قلوبهم الفزع، قاله ابن عباس، وقال قطرب: أخرج ما فيها من الخوف.

الثاني: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم الشياطين فزع عن قلوبهم ففارقوا ما كانوا عليه من إضلال أوليائهم، قاله ابن زيد.

الرابع: أنهم دعوا فاستجابوا من قبورهم مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ فسمي الداعي فزعاً والمجيب فزعاً. قال زهير[٥٤١]:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا قصار ولا عُزْلُ

الخامس: أنهم الملائكة[٥٤٢] فزعوا عند سماع الوحي من الله تعالى لانقطاعه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وكان لصوته صلصلة كوقع الحديد على الصفا، فخرُّوا عنده سجوداً مخافة القيامة فسألوا فقالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق أي الوحي، وهذا معنى قول كعب.

السادس: وهو تأويل قراءة الحسن[٥٤٣]: حتى فرغ عن قلوبهم بالنين معجمة يعني فرغ ما فيها من الشك والشرك.

﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي قال لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا.

﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجدوا ما وصفوه عن الله تعالى حقاً.

الثاني: أن يصدقوا بما قاله الله تعالى أنه حق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

(٥٤١) روح المعاني (٢٢/ ١٣٩).

(٥٤٢) ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة رواه البخاري وغيره(٨/ ٤١٤) مرفوعاً إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير.

(٥٤٣) وهي قراءة قتادة وابن يعمر أيضاً زاد المسير (٦/ ٤٥٢).

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن رزق السمٰوات المطر ورزق الأرض النبات، قاله الكلبي.

الثاني: أن رزق السمٰوات ما قضاه من أرزاق عباده، ورزق الأرض ما مكنهم فيه من مباح. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وهذا جواب قل من يرزقكم من السمٰوات والأرض، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون للمشركين حين سئلوا عن ذلك لأنهم لا يجحدون أن الله رازقهم.

الثاني: أن يكون أمراً في أمر الله أن يجابوا به لأنهم لا يجحدونه لتقوم به الحجة عليهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ[٥٤٤]﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه: إننا نحن لعلى هدى وإنكم أنتم لفي ضلال مبين، قاله عكرمة وأبو عبيدة وزياد بن أبي مريم. قال الفراء: أو بمعنى الواو.

الثاني: أن أحدنا لعلى هدى والآخر لفي ضلال مبين، دفعاً لأنقصهما، ومنعاً من أرذلهما كقول القائل: إن أحدنا لكاذب، دفعا للكذب عن نفسه وإضافته إلى صاحبه وإن أحدنا لصادق، إضافة للصدق إلى نفسه ودفعاً عن صاحبه، قاله مجاهد.

الثالث: معناه: الله رزقنا وإياكم لعلى هدى كنا أو في ضلال مبين حكاه النقاش.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني يوم القيامة.

---

(٥٤٤) وهذا اسلوب من باب اللف والنشر في البلاغة.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي يقضي بيننا لأنه بالقضاء يفتح وجه الحكم، وقال السدي هي لغة يمانية.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ قال مجاهد: بالعدل.

﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ أي القاضي العليم وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: العليم بما يخفون، قاله محمد بن إسحاق.

الثاني: العليم بالحكم، قاله ابن زياد(*).

الثالث: العليم بخلقه، قاله مقاتل.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنه رسول إلى كافة الناس أي إلى جميعهم، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه أنك رسول الله إلى جميع الناس وتضمهم، ومنه كف الثوب لأنه ضم طرفيه.

الثالث: معناه إنا أرسلناك كافاً للناس أي مانعاً لهم من الشرك وأدخلت الهاء للمبالغة، قاله ابن بحر.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ

(*) وفي نسخه ابن زيد.

مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني كفار العرب، ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: التوراة، والإنجيل، قاله السدي.

الثاني: من الأنبياء والكتب، قاله قتادة.

الثالث: من أمر الآخرة، قاله ابن عيسى. قال ابن جريج: قائل ذلك أبو جهل ابن هشام.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه بل غركم اختلاف الليل والنهار، قاله السدي.

الثاني: بل عملكم من الليل والنهار، قاله سفيان.

الثالث: بل معصية الليل والنهار، قاله قتادة.

الرابع: بل مر الليل والنهار، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: بل مكرهم في الليل والنهار، قاله الحسن.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أشباهاً، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: شركاء، قاله أبو مالك.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا

مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني من نبي ينذرهم بعذاب الله.

﴿إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ فيهم ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جبابرتها، قاله ابن جريج.

الثاني: أغنياؤها، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ذوو النعم والبطر، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً﴾ قالوا ذلك للأنبياء والفقراء ويحتمل قولهم ذلك وجهين:

أحدهما: أنهم بالغنى والثروة أحق بالنبوة.

الثاني: أنهم أولى بما أنعم الله عليهم من الغنى أن يكونوا على طاعة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي ما عذبنا بما أنتم فيه من الفقر.

الثاني: أي ما أنعم الله علينا بهذه النعمة وهو يريد عذابنا، فرد الله تعالى عليهم ما احتجوا من الغنى فقال لنبيه ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يوسعه.

﴿وَيَقْدِرُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن يقتر عليه، قال الحسن يبسط لهذا مكراً به، ويقدر لهذا نظراً له.

الثاني: بنظره له، رواه حصين بن أبي الجميل.

الثالث: بخير له، رواه حارث بن السائب.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ قال

مجاهد: أي قربى والزلفه القربة، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن أموالكم في الدنيا لا تدفع عنكم عذاب الآخرة.

الثاني: أن إنعامنا بها عليكم في الدنيا لا يقتضي إنعامنا عليكم بالجنة في الآخرة.

﴿إلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ روى ليث عن طاووس أنه كان يقول اللهم ارزقني الإيمان والعمل، وجنبني المال والولد، فإني سمعت فيما أوحيْتَ ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بَٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٓ إلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

﴿فَأُوْلَٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أضعاف الحسنة بعشر أمثالها، وأضعاف الدرهم بسبعمائة، قاله ابن زيد.

الثاني: أن المؤمن إذا كان غنياً تقياً آتاه الله أجره مرتين بهذه الآية، قاله محمد ابن كعب.

الثالث: يعني فله جزاء مثل عمله لأن الضعف هو المثل ويقتضي ذلك المضاعفة، قاله بعض المتأخرين.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ يعني غرفات الجنة.

﴿ءَامِنُونَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: آمنون من النار، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: من انقطاع النعم، قاله النقاش.

الثالث: من الموت، قاله مقاتل.

الرابع: من الأحزان والأسقام.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فهو يخلفه إن شاء إذا رأى ذلك صلاحاً كإجابة الدعاء، قاله ابن عيسى.

الثاني: يخلفه بالأجر في الآخرة إذا أنفقه في طاعة، قاله السدي.

الثالث: معناه فهو أخلفه لأن نفقته من خلف الله ورزقه، قاله سفيان بن الحسين.

ويحتمل رابعاً: فهو يعني عنه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ يعني المشركين ومن عبدوه من الملائكة.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَآئِكَةِ أَهَؤُلَآءِ إِيَّاكُم كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا السؤال للملائكة تقرير وليس باستفهام، وإن خرج مخرج الاستفهام.

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنت الذي توالينا بالطاعة دونهم.

الثاني: أنت ناصرنا دونهم.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعني أنهم أطاعوا الجن في عبادتنا، وصاروا بطاعتهم عابدين لهم دوننا.

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ أي جميعهم بهم مؤمنون، وهذا خروج عن الظاهر.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتيناهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ يعني مشركي قريش ما أنزل الله تعالى عليهم كتاباً قط يدرسونه، فيه وجهان:

أحدهما: فيعلمون بدرسه أن ما جئت به حق أم باطل، قاله السدي.

الثاني: فيعلمون أن الله تعالى شريكاً على ما زعموه، قاله ابن زيد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ أي ما بعثنا إليهم رسولاً غيرك.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني من قبل أمة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ فيه أربعة:

أحدها: يعني أنهم ما عملوا معشار ما أمروا به، قاله الحسن.

الثاني: أنه يعني ما أعطى ٱللَّه سبحانه قريشاً ومن كذب محمداً ﷺ من أمته معشار ما أعطى من قبلهم من القوة والمال، قاله ابن زيد.

الثالث: ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، حكاه النقاش.

الرابع: ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من البيان والحجة والبرهان.

قال ابن عباس فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه.

وفي المعشار ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه العشر وهما لغتان.

الثاني: أنه عشر العشر وهو العشير.

الثالث: هو عشير العشير، والعشير عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف جزء، وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في التقليل.

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي عقابي وفي الكلام إضمار محذوف وتقديره: فأهلكناهم فكيف كان نذير.

قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بطاعة الله عز وجل، قاله مجاهد.

الثاني: بلا إله إلا الله، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: بالقرآن لأنه يجمع كل المواعظ.

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ يعني أن تقوموا لله بالحق، ولم يُرد القيام على

الأرجل كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧].

وفي قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه جماعة وفرادى، قاله السدي.

الثاني: منفرداً برأيه ومشاوراً لغيره، وهذا قول مأثور.

الثالث: مناظراً مع غيره ومفكراً في نفسه، قاله ابن قتيبة.

ويحتمل رابعاً: أن المثنى عمل النهار، والفرادى عمل الليل، لأنه في النهار مُعانٌ وفي الليل وحيد.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ قال قتادة أي ليس بمحمد جنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني في الآخرة. قال مقاتل: وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ سأل كفار قريش ألا يؤذوه ويمنعوا منه لقرابته منهم حتى يؤدي رسالة ربه، فسمعوه يذكر اللات والعزى في القرآن فقالوا يسألنا ألا نؤذيه لقرابته منا ويؤذينا بسب آلهتنا فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من مودة قاله ابن عباس، لأن النبي ﷺ سأل قريشاً أن يكفوا عن أذيته حتى يبلغ رسالة ربه.

الثاني: من جُعْل قاله قتادة، ويشبه أن يكون في الزكاة.

ويحتمل ثالثاً: أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي فهو لكم دوني.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي ما ثوابي إلا على الله في الآخرة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شهيد أن ليس بي جنون.

الثاني: شهيد أني لكم نذير بين يدي عذاب شديد.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: بالوحي، قاله قتادة.

الثاني: بالقرآن، رواه معمر.

وفي قوله: ﴿يَقْذِفُ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يتكلم.

الثاني: يوحي.

الثالث: يلقي.

﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ قال الضحاك: الخفيات.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بعثة رسول الله ﷺ، قاله ابن زيد.

الثاني: القرآن، قاله قتادة.

الثالث: الجهاد بالسيف، قاله ابن مسعود.

﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الباطل الشيطان. رواه معمر.

الثاني: أنه إبليس، رواه خليد.

الثالث: أنه دين الشرك، قاله ابن بحر.

وفي إبداء الباطل وإعادته ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يخلق ولا يبعث، قاله قتادة(٥٤٥).

الثاني: لا يحيي ولا يميت، قاله الضحاك.

الثالث: لا يثبت إذا بدا، ولا يعود إذا زال، قاله ابن بحر.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ

(٥٤٥) قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٤٤) وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ها هنا إبليس أي أنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك قال وهذا إن كان حقاً لكن ليس هو المراد ها هنا والله أعلم.

بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾ في فزعهم خمسة أقاويل:

أحدها: فزعهم يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثاني: فزعهم في الدنيا حين رأوا بأس الله عز وجل، قاله قتادة.

الثالث: هو الجيش(٥٤٦) الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعوا فهذا هو فزعهم، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة، قاله السدي.

الخامس: هو فزعهم في القبور من الصيحة، قاله الحسن.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فلا نجاة، قاله ابن عباس.

الثاني: فلا مهرب، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: فلا سبق، قاله قتادة.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: من تحت أقدامهم، قاله مجاهد.

الثاني: يوم بدر، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: هو جيش(٥٤٧) السفياني(٥٤٨)، قاله ابن عباس.

---

(٥٤٦) وقد ثبت في صحيح البخاري (٤/ ٢٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قال قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؛ قال يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» لكن لا علاقة بين الحديث وتفسير الآية التي نحن بصددها.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٥٤٤) والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفزع) يوم القيامة وهو الطامة العظمى ا هـ.

(٥٤٧) السفياني هو رجل من دمشق يأتي على رأس جيش ويقاتل في آخر الزمان وخروجه من علامات الساعة.

(٥٤٨) وقد ذكر في حديث طويل رواه ابن جرير (٢٢/ ١٠٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه وهو حديث

الرابع: عذاب الدنيا، قاله الضحاك.

الخامس: حين خرجوا من القبور، قاله الحسن.

السادس: هو يوم القيامة، قاله القاسم بن نافع.

ويحتمل سابعاً: في أسرِّ ما كانوا فيه نفوساً، وأقوى ما كانوا عليه أملاً لأنه أقرب بلاء من نعمه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني بالله، قاله مجاهد.

الثاني: بالبعث، قاله الحسن.

الثالث: بالرسل، قاله قتادة.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وفي التناوش ثلاثة أقاويل:

أحدها: هو الرجعة، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر(٥٤٩):

تمنى أن تؤوب إليّ ميٌّ ... وليس إلى تناوشها سبيل

الثاني: هو التوبة، قاله السدي.

الثالث: هو التناول من قولهم نشته أنوشه نوشاً إذا تناوله من قريب، وقد تناوش القوم إذا دنا بعضهم من بعض ولم يلتحم القتال بينهم، قال الشاعر(٥٥٠):

فهي تنوش الحوض نوشاً من علا ... نوشاً به تقطع أجواز الفلا

﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من الآخرة إلى الدنيا، قاله مجاهد.(٥٥١)

الثاني: ما بين الآخرة والدنيا، رواه القاسم بن نافع.

الثالث: هو طلبهم الأمر من حيث لا ينال، قاله الحسن.

ويحتمل قولاً رابعاً: بعيد عليهم لاستحالته عندهم.

موضوع كما قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٤٤) وقد ورد ذكره أيضاً في حديث رواه الحاكم (٤/٥٢٠) وصححه على شرط الشيخين.

(٥٤٩) وهذا التأويل الذي ذكره المؤلف هنا على الحديث لم يصح فتنبه.

(*) هكذا بالأصول.

(٥٥٠) أورده في فتح القدير (٤/٣٣٦) وفيه تمنى أن يتوب.

(٥٥١) هو أبو النجم الراجز ونسبه في اللسان «نوش» إلى غيلان بن حريث والطبري (٢٢/١١٠) ونسبه في اللسان في (وش) لابن النجم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كفروا بالله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: بالبعث، قاله الحسن.

الثالث: بالرسول، قاله قتادة.

﴿مِن قَبْلُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا، قاله مجاهد.

الثاني: من قبل العذاب.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يرجمون بالظن ويقولون في الدنيا لا بعث ولا جنة ولا نار، قاله الحسن.

الثاني: أنه طعنهم في القرآن، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: هو طعنهم في رسول الله ﷺ بأنه شاعر أو ساحر، قاله مجاهد، وسماه قذفاً لخروجه عن غير حق.

قوله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني بالموت، وفيه خمسة تأويلات:

أحدها: حيل بينهم وبين الدنيا، قاله مجاهد.

الثاني: بينهم وبين الإيمان، قاله الحسن.

الثالث: بينهم وبين التوبة، قاله السدي.

الرابع: بينهم وبين طاعة الله تعالى، قاله خليد.

الخامس: حيل بين المؤمن وبين العمل، وبين الكافر وبين الإيمان، قاله يزيد ابن أبي يزيد.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أوائلهم من الأمم الخالية، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة، قاله الضحاك.

الثالث: هم أمثالهم من الكفار الذين لم يقبل الله سبحانه منهم التوبة عند المعاينة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعرفون نبيهم، قاله مقاتل.

الثاني: هو شكهم في وقوع العذاب، قاله الضحاك.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحسن يقال فطر ناب الناقة إذا طلع، وفطر دمه إذا أخرجه. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها.

وفي تأويله ههنا وجهان:

أحدهما: خالق السموات والأرض، قاله قتادة، والكلبي، ومقاتل.

الثاني: أنه شقها لما ينزل منها وما يعرج فيها.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَآئِكَةِ رُسُلًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى الأنبياء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: إلى العباد رحمة أو نقمة، قاله السدي.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة. والمثنى والثلاث والرباع ما تكرر فيه الاثنان والثلاثة والأربعة.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه حسن الصوت، قاله الزهري وابن جريج.

الثاني: أنه الشعر الجعد، حكاه النقاش.

الثالث: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أنه العقل والتمييز.

ويحتمل خامساً: أنه العلوم والصنائع(٥٥٢). ويكون معناه على هذين التأويلين: كما يزيد في الخلق ما يشاء كذلك يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء.

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: من خير، قاله قتادة.

الثاني: من مطر، قاله السدي.

الثالث: من توبة، قاله ابن عباس.

الرابع: من وحي، قاله الحسن.

الخامس: من رزق وهو مأثور.

---

(٥٥٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/٣٣٨) «ولا وجه لقصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كل زيادة».

السادس: من عافية، قاله الكلبي.

السابع: من دعاء، قاله الضحاك.

ويحتمل ثامناً: من توفيق وهداية.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً﴾** فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة، ويكون سوء عمله معاندة الرسول.

الثاني: أنهم الخوارج، رواه عمرو بن القاسم، ويكون سوء عمله تحريف التأويل.

الثالث: الشيطان، قاله الحسن ويكون سوء عمله الإغواء.

الرابع: كفار قريش، قاله الكلبي، ويكون سوء عملهم الشرك.

وقيل إنها نزلت في العاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب، وقال غيره نزلت في أبي جهل بن هشام.

وفي قوله: **﴿فَرَءَاهُ حَسَناً﴾** وجهان:

أحدهما: صواباً، قاله الكلبي.

الثاني: جميلاً.

وفي الكلام محذوف اختلف فيه على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المحذوف منه: فإنه يتحسر عليه يوم القيامة، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن المحذوف منه: كمن آمن وعمل صالحاً لا يستويان، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن المحذوف منه: كمن عمل الحسن والقبح.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالعزة المنعة فيتعزز بطاعة الله تعالى، قاله قتادة.

الثاني: علم العزة لمن هي، فلله العزة جميعاً.

وقيل إن سبب نزول هذه الآية ما رواه الحسن أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزهم كما وصف الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُم عِزّاً﴾ فأنزل اللّه تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه التوحيد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الثناء على من في الأرض من صالح المؤمنين يصعد به الملائكة المقربون، حكاه النقاش.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أداء الفرائض.

الثاني: أنه فعل القرب كلها.

وفي قوله: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب، قاله الحسن، ويحيى بن سلام.

الثاني: أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، قاله الضحاك وسعيد بن جبير.

الثالث: أن العمل يرفعه الله بصاحبه، قاله قتادة، والسدي.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ يعني يشركون في الدنيا.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يعني في الآخرة.
﴿وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: يفسد عند الله تعالى، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: يبطل، قاله قتادة.
الثالث: يهلك، والبوار الهلاك، قاله قطرب.
وفي المراد: ﴿أُوْلَئِكَ﴾ قولان:
أحدهما: أهل الشرك.
الثاني: أصحاب الربا، قاله مجاهد.
قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدم.
﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعنى نسله.
﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أصنافاً، قاله الكلبي.
الثاني: ذكراناً وإناثاً، والواحد الذي معه آخر من شكله زوج والاثنان زوجان، قال اللَّه تعالى ﴿وأَنَّهُ خلَقَ الزَّوْجَينَ الذَّكَرَ والأُنْثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] وتأول قتادة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي زوّج بعضكم لبعض.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ يعني بأمره.
﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ..﴾ الآية. فيه قولان:
أحدهما: ما نمد في عمر معمر حتى يصير هرماً، ولا ينقص من عمر أحد حتى يموت طفلاً إلا في كتاب.
الثاني: ما يعمر من معمر قدر الله تعالى مدة أجله إلا كان ما نقص منه بالأيام الماضية عليه في كتاب عند الله.
قال سعيد بن جبير: هي صحيفة كتب الله تعالى في أولها أجله، ثم كتب في أسفلها ذهب يوم كذا ويوم كذا حتى يأتي على أجله، وبمثله قال أبو مالك، والشعبي.
وفي عمر المعمر ثلاثة أقاويل:
أحدها: ستون سنة، قاله الحسن.

الثاني : أربعون سنة .

الثالث: ثماني عشرة سنة، قاله أبو غالب .

﴿ . . . إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي هين .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : أن إثبات ذلك على الله يسير .

الثاني : أن زيادة عمر المعمر ونقصان عمر الآخر عند الله تعالى يسير .

وللكلبي فيه ثالث: أن حفظ ذلك بغير كتاب على الله يسير .

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما يستويان في أنفسهما .

الثاني : في منافع الناس بهما .

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ والفرات هو العذب وذكره تأكيداً لاختلاف اللفظين كما يقال هذا حسن جميل .

﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُ﴾ أي ماؤه .

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي مُرٌّ مأخوذ من أجة النار كأنه يحرق من شدة المرارة ، قال الشاعر:

دُرَّةٌ في اليمين أخرجها الغا ... ئص من قعر بحر ملح أجاج

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً﴾ يعني لحم الحيتان مأكول من كلا البحرين.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ اللؤلؤ والمرجان يستخرج من الملح، ويكون المراد أحدهما وإن عطف بالكلام عليهما.

وقيل: بل هو مأخوذ منهما لأن في البحر عيوناً عذبة، وما بينهما يخرج اللؤلؤ عند التمازج وقيل من مطر السماء.

ثم قال: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وإن لبسها النساء دون الرجال لأن جمالها عائد عليهم جميعاً.

﴿وَتَرى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: مقبلة ومدبرة وريح واحدة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: مواقر، قاله الحسن:

قال الشاعر:

تراها إذا راحت ثقالاً كأنها مواخر فلك أو نعام حوافل

الثالث: معترضة، قاله أبو وائل.

الرابع: جواري، قاله ابن قتيبة.

الخامس: تمخر الماء أي تشقه في جريها شقاً، قاله علي بن عيسى.

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ قال مجاهد: التجارة في الفلك.

ويحتمل وجهاً آخر ما يستخرج من حليته ويصاد من حيتان.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فيه وجهان]:

أحدهما: على ما آتاكم من نعمه(٥٥٣).

الثاني: على ما آتاكم من فضله.

ويحتمل ثالثاً: على ما أنجاكم من هوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(٥٥٣) قال الشوكاني (٤/٣٤٣) قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حق المؤمن والكافر والكفر والإيمان فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ولا الكفر ولا الإيمان.

وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تحمل نفس ما تحمله نفس أخرى من ذنوبها، ومنه الوزير لأنه يحمل أثقال الملك بتدبيره.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ قال مجاهد مثقلة بالذنوب، ومعنى الكلام أن النفس التي قد أثقلتها ذنوبها إذا دعت يوم القيامة من يتحمل الذنوب عنها لم تجد من يتحمل عنها شيئاً من ذنوبها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المدعو إلى التحمل قريباً مناسباً، ولو تحمله عنها ما قُبل تحمله، لما سبق من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في السر حيث لا يطلع عليه أحد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: في التصديق بالآخرة، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: يخشونه في ضمائر القلوب كما يخشونه في ظواهر الأفعال.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ..﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، كما لا يستوي الأعمى

والبصير، ولا تستوي الظلمات ولا النور، ولا يستوي الظل ولا الحرور لا يستوي المؤمن والكافر، قاله قتادة.

الثاني: أن معنى قوله وما يستوي الأعمى والبصير أي عمى القلب بالكفر وبصره بالإيمان، ولا تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا يستوي ظل الجنة وحرور النار، قاله السدي.

والحرور الريح الحارة كالسموم، قال الفراء: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون إلا بالنهار.

وقال الأخفش: الحرور لا يكون إلا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل والنهار.

قال قطرب: الحرور الحر، والظل البرد. ومعنى الكلام: أنه لا يستوي الجنة والنار.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، كما أنه لا يستوي الأحياء والأموات فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر، قاله قتادة.

الثاني: أن الأحياء المؤمنون الذين أحياهم الإيمان. والأموات الكفار الذين أماتهم الكفر وهذا مقتضى قول السدي.

الثالث: أن الأحياء العقلاء، والأموات الجهال، قاله ابن قتيبة وفي ﴿لَا﴾في هذا الموضع وفيما قبله قولان:

أحدهما: أنها زائدة مؤكدة.

الثاني: أنها نافية لاستواء أحدهما بالآخر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي يهدي من يشاء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾فيه وجهان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله، كما أنك لا تُسمع الموتى في القبور كذلك لا تسمع الكافر.

الثاني: أن الكافر قد أماته الكفر حتى أقبره في كفره فلذلك لا يسمع، وقيل إن مراد الله تعالى بهذه الآية الإخبار أن بين الخير فروقاً، كما أن بين الشر فروقاً، ليطلب

من درجات الخير أعلاها ولا يحتقر من درجات الشر أدناها، وهو الظاهر من قول علي ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً﴾ أي بالقرآن بشرى بالجنة.

﴿وَنَذِيراً﴾ من النار. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي سلف فيها نبي، قال ابن جريج: إلا العرب.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ وفيه مضمر محذوف تقديره مختلف ألوانها وطعومها وروائحها، فاقتصر منها على ذكر اللون لأنه أظهرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجدد القطع مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعته، حكاه ابن بحر.

الثاني: أنها الخطط واحدتها جُدة مثل مُدة ومدد، ومنه قول زهير[٥٥٤]:

كأنه أسفع الخدين ذو جُدد ... طاوٍ ويرتع بعد الصيف عريانا

﴿بِيضٌ وَحُمرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ والغربيب الشديد السواد الذي لونه كلون الغراب. ومنه قول النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الشَّيخَ ٱلْغِرْبِيبَ[٥٥٥]» يعني

---

(٥٥٤) فتح القدير (٤/٣٤٧).

(*) وفي نسخه للمخطوطة كأنها.

(٥٥٥) رواه ابن عدي في الكامل كما نقله السيوطي في الجامع الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم ١٦٨٨ وسبب ضعفه أن فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وتردد فيه المناوي في الفيض (٥/٢٨٤) فقال فيه رشدين فإن كان ابن سعد.. وإن كان ابن كريب... الخ اهـ والصواب الأول وأورده له الذهبي في الميزان (٢/٥٠) في ترجمته هذه الحديث.

الذي يخضب بالسواد، قال امرؤ القيس(٥٥٦):

العين طامعة واليد سابحة　　　والرجل لافحة والوجه غربيب

وقيل فيه تقديم وتأخير، وتقديره سود غرابيب.

وفي المراد بالغرابيب السود ثلاثة أوجه:

أحدها: الجبال السود، قاله السدي.

الثاني: الطرائف السود، قاله ابن عباس.

الثالث: الأودية السود، قاله قتادة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذلك مختلف ألوانه أبيض وأحمر وأسود.

الثاني: يعني بقوله كذلك أي كما اختلف ألوان الثمار والجبال والناس والدواب والأنعام كذلك تختلف أحوال العباد في الخشية.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾يعني بالعلماء الذين يخافون(٥٥٧).

قال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم. قال ابن مسعود: المتقون سادة، والعلماء قادة. وقيل: فاتحة الزبور الحكمة خشية الله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(٥٥٦) ديوانه: ٢٢٦ وفيه:

العين قادحة واليد سابحة　　　والرجل طامحة واللون غربيب

وروح المعاني (٢٢ / ١٩٠) والبيت فيه:

العين طامحة واليد شامخة　　　والرجل لائحة والوجه غربيب

(٥٥٧) قال الحافظ ابن كثير (٥٥٣/٣) أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به اتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر ا هـ.

قوله عز وجل: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ يعني الجنة، وفيها وجهان:

أحدهما: لن تفسد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لن تكسد، قاله علي بن عيسى والأول أشبه لقول الشاعر(٥٥٨).

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذا أنا بور

قوله عز وجل: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعني ثواب أعمالهم.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يفسح لهم في قبورهم، قاله الضحاك.

الثاني: يشفعهم فيمن أحسن إليهم في الدنيا، قاله أبو وائل.

الثالث: يضاعف لهم حسناتهم، وهو مأثور.

الرابع: غفر الكثير وشكر اليسير، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل خامساً: يوفيهم أجورهم على فعل الطاعات ويزيدهم من فضله على اجتناب المعاصي ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنب.

﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة. ووصفه بأنه شكور مجاز ومعناه أن يقابل بالإحسان مقابلة الشكور لأنه يقابل على اليسير بأضعافه.

وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الكتاب هو القرآن، ومعنى الإرث انتقال الحكم إليهم.

الثاني: أن إرث الكتاب هو الإيمان بالكتب السالفة لأن حقيقة الإرث إنتقال الشيء من قوم إلى قوم.

---

(٥٥٨) هو عبد الله بن الزبعري والبيت في اللسان (بور).

وفيه: يا رسول الإله. . . . . . .

وفي ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنهم بنو إسرائيل لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً﴾[آل عمران: ٣٣] الآية. قاله ابن بحر.

الثالث: أمة محمد ﷺ. قاله الكلبي.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: ﴿فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كلام مبتدأ لا يرجع إلى المصطفين، وهذا قول من تأوّل المصطفين الأنبياء، فيكون من عداهم ثلاثة أصناف على ما بينهم.

الثاني: أنه راجع إلى تفصيل أحوال الذين اصطفينا، ومعنى الاصطفاء الاختيار وهذا قول من تأول المصطفين غير الأنبياء، فجعلهم ثلاثة أصناف.

فأما الظالم لنفسه ها هنا ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنهم أهل الصغائر من هذه الأمة، روى شهر بن حوشب أن عمر بن الخطاب(٥٥٩) رضي الله عنه قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له.

الثاني: أنهم أهل الكبائر وأصحاب المشأمة، قاله السدي.

الثالث: أنهم المنافقون وهم مستثنون.

الرابع: أنهم أهل الكتاب، قاله الحسن.

الخامس: أنه الجاحد، قاله مجاهد(٥٦٠).

وأما المقتصد ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه المتوسط في الطاعات وهذا معنى حديث أبي الدرداء(٥٦١)، روى

(٥٥٩) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٣٩ رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبدالله الحرازي عمن سمع عمر فذكره موقوفاً ا هـ. وذكره السيوطي في الدر (٧/٢٥) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث. والرواية التي أشار إليها الحافظ فيها فرج بن فضالة وهو ضعيف والرواية التي أوردها المؤلف هنا فيها ضعف أيضاً فشهر بن حوشب حاله معروف وبينه وبين عمر مفازة تنقطع دونها أعناق المطي.

(٥٦٠) قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٥٥) والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به عن رسول الله ﷺ أحاديث من طرق يشد بعضها بعضاً.

(٥٦١) رواه أحمد (٥/١٩٨) (٦/٤٤٤) والحاكم (٢/٤٢٦) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٥) رواه أحمد

ابراهيم عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال: « **أَمَّا السَّابِقُ فَيدْخلُ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا ٱلْمُقْتَصِدُ فَيُحَاسَب حِسَاباً يَسِيراً، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَيُحْصَرُ فِي طُولِ الحَبْسِ ثُمَّ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنهُ** ».

الثاني: أنهم أصحاب اليمين، قاله السدي.

الثالث: أنهم أصحاب الصغائر وهو قول متأخر.

الرابع: أنهم الذين اتبعوا سنن النبي ﷺ من بعده، قاله الحسن.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم المقربون، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم المستكثرون من طاعة الله تعالى، وهو مأثور.

الثالث: أنهم أهل المنزلة العليا في الطاعات، قاله علي بن عيسى.

الرابع: أنه من مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة.

روى عقبة بن صهبان قال: سألت عائشة(٥٦٢) رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: كلهم من أهل الجنة، السابق من مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالحياة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي. وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٤) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور.

(٥٦٢) رواه الطيالسي (١٤٨٩) والحاكم (٢/ ٤٢٦) وزاد في الدر (٧/ ٢٤) نسبته لابن مردويه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط.

وقال الحاكم صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه الصلت بن دينار وهو ليس بالقوي وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٧) رواه الطبراني في الأوسط وفيه الصلت بن دينار وهو متروك.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أنه خوف النار، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه حزن الموت، قاله عطية.

الثالث: تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة.

الرابع: حزن المنّة، قاله سمُرة.

الخامس: حزن الظالم لما يشاهد من سوء حاله، قاله ابن زيد.

السادس: الجوع حكاه النقاش.

السابع: خوف السلطان، حكاه الكلبي.

الثامن: طلب المعاش، حكاه الفراء.

التاسع: حزن الطعام، وهو مأثور.

ويحتمل عاشراً: أنه حزن التباغض والتحاسد لأن أهل الجنة متواصلون لا يتباغضون ولا يتحاسدون.

وفي وقت قولهم لذلك قولان:

أحدهما: عند إعطاء كتبهم بأيمانهم لأنه أول بشارات السلامة، فيقولون عندها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾

الثاني: بعد دخول الجنة، قاله الكلبي، وهو أشبه لاستقرار الجزاء والخلاص من أهوال القيامة فيقولون ذلك عند أمنهم شكراً.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ أي دار الإقامة وهي الجنة.

وفي الفرق بين المقامة بالضم والفتح وجهان:

أحدهما: أنها بالضم دار الإقامة، وبالفتح موضع الإقامة.

الثاني: أنها بالضم المجلس الذي يجتمع فيه للحديث.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعب، قاله ابن عيسى.

الثاني: وجع، قاله قتادة.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه العناء، قاله أبو جعفر الطبري[٥٦٣].

الثاني: أنه الإعياء، قاله قطرب وابن عيسى.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ قال ابن جريج: وهم يستغيثون فيها ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه البلوغ، قاله الحسن لأنه أول زمان التذكر.

الثاني: ثماني عشرة سنة.

الثالث: أربعون سنة، قاله ابن عباس ومسروق.

الرابع: ستون سنة، قاله علي بن أبي طالب مرفوعاً.

الخامس: سبعون سنة لأنه آخر زمان التذكر، وما بعده هرم. روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[٥٦٤]: **«لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى عَبدٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً»**.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: محمد ﷺ، قاله ابن زيد.

الثاني: الشيب، حكاه الفراء والطبري.

الثالث: الحمى.

الرابع: موت الأهل والأقارب.

ويحتمل خامساً: أنه كمال العقل.

---

(٥٦٣) جامع البيان (٢٢/ ١٤٠).

(٥٦٤) رواه البخاري (١١/ ٢٠٤) والترمذي (٢٣٣٢) والطبري (٢٢/ ١٤٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَذُوقُواْ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: حسرة الندم.

الثاني: عذاب جهنم.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي ٱلأَرْضِ﴾ قال قتادة خلفاً بعد خلف قرناً بعد قرن، والخلف هو الثاني للمتقدم، ولذلك قيل لأبي بكر رضي الله عنه يا خليفة الله، فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضٍ بذلك. وقال بعد السلف إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي فعليه عقاب كفره.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾فيه وجهان:

أحدهما: شركاءكم في الأموال التي جعلتم لهم قسطاً منها الأوثان.

الثاني: الذين أشركتموهم في العبادة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلأَرْضِ﴾ قاله السدي يعني في الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ﴾ حتى صاروا شركاء في خلقها.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أم أنزلنا عليهم كتاباً بأن لله تعالى شركاء من الملائكة والأصنام فهم مستمسكون به، وهذا قول ابن زياد.

الثاني: أم أنزلنا عليهم كتاباً بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به، وهو معنى قول الكلبي[٥٦٥].

﴿بَلْ إن يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إلاَّ غُرُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وعدوهم بأن الملائكة يشفعون.

الثاني: وعدوهم بأنهم ينصرون عليهم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وحلفوا بالله جل اسمه يميناً

﴿لَئِن جَآءَهُم نَذِيرٌ﴾ أي نبي.

﴿لَّيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إحْدَى ٱلأُمَمْ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نفوراً عن الرسول.

الثاني: نفوراً عن الحق.

قوله عز وجل: ﴿ٱسْتِكْبَاراً فِي ٱلأَرضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استكباراً عن عبادة الله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: استكباراً بمعاصي الله، وهذا قول متأخر.

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّىءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشرك بالله، قاله يحيى.

---

(٥٦٥) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث.

الثاني: أنه المكر برسول الله ﷺ ودينه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ﴾[الأنفال: ٣٠] الآية.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله الكلبي، يحيق بمعنى يحيط.

الثاني: قاله قطرب، يحيق بمعنى ينزل، وأنشد قول الشاعر[٥٦٦]:

وقد دفعوا المنية فاستقلت ذراعاً بعدما كادت تحيقُ

قال فعاد ذلك عليهم بقتلهم يوم بدر.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني سنة الله في الأولين، وفيها وجهان:

أحدهما: نزول العذاب بهم عند إصرارهم في التكذيب.

الثاني: لا تقبل منهم التوبة عند نزول العذاب.

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ يعني من الذنوب.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ قال يحيى بن سلام بحبس المطر عنهم وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني جميع الحيوان مما دب ودرج، قاله ابن مسعود، قال قتادة: وقد فعل ذلك زمان نوح عليه السلام.

الثاني: من الإنس والجن دون غيرهما لأنهما مكلفان بالعقل، قاله الكلبي.

الثالث: من الناس وحدهم، قاله ابن جريج.

---

(٥٦٦) فتح القدير (٣٥٦/٤).

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه قولان:

أحدهما: الأجل المسمى الذي وعدهم في اللوح المحفوظ، قاله مقاتل.

الثاني: إلى يوم القيامة، قاله يحيى.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نزول العذاب.

الثاني: البعث في القيامة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بصيراً بأجلهم.

الثاني: بصيراً بأعمالهم. والله أعلم.